

تاريخ القضايا والأقليات الإسلامية المعاصرة

د. أحمد صالح عبوش

د. عمر مهدي الحيالي









تاريخ القضايا والأقليات
الإسلامية المعاصرة

323.11

د. أحمد صالح عبوش/د. عمر مهدي الحيالي

تاريخ القضايا والأقليات الإسلامية المعاصرة

عمان - دار الفكر ناشرون وموزعون 2015

ر.أ.: 4368-12-2013

الواصفات: الاقليات//الحرية الدينية//الاسلام

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الاولى، 2015 - 1436



www.daralfiker.com

المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان

ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري

هاتف: 4621938 6 962+ فاكس: 4654761 6 962+

ص.ب: 183520 عمان 11118 الأردن

بريد الكتروني: info@daralfiker.com

بريد المبيعات: sales@daralfiker.com

ISBN: 978-9957-07-073-9

تاريخ القضايا والأقليات الإسلامية المعاصرة

د. أحمد صالح عبوش
د. عمر مهدي الحيالي

الطبعة الأولى
1436-2015



الإهداء

إلى الأقليّات الإسلامية في العالم أجمع ،

نُهدي هذا الجهد . . .

الفهرس

المقدمة

لم نجد معضلة في تاريخ الإنسانية أشد بأساً وقهراً مثل تلك التي تعرف اليوم في عالمنا بمعضلة الأقليّات بشتى اجناسها وأديانها والوانها، والمنتشرة في جميع بقاع الأرض، فهي كقطعة من معدن ثمين وشديد، فإما أن يكون تاجاً على الرأس لتكون سلطاناً، أو أن يكون قيداً في يديك لتصبح عبداً من بين العبيد.

إن دراسات تتعلق بالأقليّات يكتنفها الغموض وعدم الدقة إلى حد ما، كونها تمثل مصدر قلق بالنسبة للحكومات والدول الحاضنة لها، وهذا ما يفسر عدم دقة أعداد الأقليّات المسلمة في العديد من دول العالم، وغالباً ما تتعرض هذه الأقليّات في بعض الدول إلى أساليب القهر والتعسف، والبعض منها يعاني من مشكلة عدم الاعتراف الرسمي بالدين الإسلامي، ناهيك عن غياب التنظيم بين المؤسسات الإسلامية، وحضور الانصهار مع المجتمعات الغربية بقوة؛ لكن إلى حد ما لا يعني ذلك تلاشي الهوية الإسلامية من النفوس والشخوص، وهذا ما تحاوله اليوم بعض الدول الإسلامية في دفع عجلة الأقليّات الإسلامية إلى الأمام وابعادها كل البعد عن خطر الانصهار، إلا أنه تقدم بطيء وخجول، فالقوة الدافعة بحاجة إلى دافع، والعجلة بحاجة إلى مكوِّر حاذق.

قُسِّمت الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول: جاء الفصل الأول في تبيان معنى الاقلية لغة واصطلاحاً، متتبعاً الأقليّات عبر التاريخ من العصور القديمة وصولاً إلى نهاية العهد العثماني، أما الفصل الثاني فقد أُفرد للأقليّات الإسلامية في العصر الحديث في قارة أوروبا والأمريكيتين وآسيا وأفريقيا.

وجاء الفصـل الثالث ليسلط الضـوء على عوامل تأخر المسلمين ونقاط ضعف الأمة بدءاً بالأسـباب الداخلية كالجهل، وسـوء فهم العقيدة، وسقوط الخلافة الإسلامية وترك عقيدة الجهاد والأخذ بتلابيب النظم والتجارب الغربية والخارجية كالدور الصـهيوني عبر المؤامرات والتنصـير والاسـتعمار والاعلان والتأثير الفكري، وعلاقة الاستشراق بالاستعمار، ناهيك عن الدور الشيوعي وما عاناه المسلمون لاسيما في مناطق شرق أوروبا.

وخُصِّص الفصل الرابع لدراسة بعض القضايا والأقليّات الإسلامية المعاصرة متتبعاً أوضاع تلك الأقليّات وبدايات تلك القضايا بتسلسل تاريخي يبدأ من دخول الإسلام إلى تلك البلدان حتى تأثيرات احداث الحادي عشر من أيلول (2001) وأبرز تلك القضايا: القضية الفلسطينية وتفاعلاتها في ظل الصراع العربي– الصهيوني، وبروز حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وأريتريا وصراعها مع الاستعمارين الأثيوبي والبريطاني حتى نيل الاستقلال.

أما الصـومال فجاءت الدراسة لكل قسم من أقسـامه على حدة (البريطاني، الفرنسي، والإيطـالي)، والثـورات الوطنية مـع التركيز على التآمـر الأثيوبي– البريطـاني على وحدة الصومال. أما كشمير فتتبعنا معاناتها عبر العصور وتقويض مكانة المسلمين على يد (الهنادكة) والبريطانيين معاً وصـولاً إلى تحولها إلى نقطة صراع باكستاني–هندي مع التأكيد على الدور الضعيف الذي لعبته الهيئات والمنظمات الدولية الذي لا يرقى إلى حل المشكلة.

فضـلاً عن دراسـة واقع البوسنة والهرسـك ذات الغالبية الإسلامية في شرقي أوروبا وما تعرض له المسـلمون من اضـطهاد سياسـي في العهد اليوغسـلافي (الملكي والجمهوري) مع التركيز على الدور الإجرامي المشـين الذي مارسته كل من صربيا وكرواتيا، وحرب الإبادة التي شُـنت ضـد المسـلمين عقب اعلان الاسـتقلال عام (1992) مع الاشـارة إلى المواقف الإسلامية والعربية والغربية إزاء تطورات الأوضاع في البوسنة والهرسك.

وتناولنا دراسـة عامة لوضع الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي وما عاناه سكان تلك المناطق خلال العهدين القيصري والشيوعي بعد ثورة (1917) من اضطهاد وقتل وتجويع وابادة وتهجير وحرب فكرية على كل ما هو إسـلامي حتى انهيار الاتحاد السوفيتي وحصول تلك الجمهوريات على استقلالها التام.

أما الفصل الأخير فقد تناول أهم المشكلات التي تعاني من الأقليّات الإسلامية: السياسية، والاقتصـادية والاجتماعيـة والفكرية، لذا فقد شـملت قضـايا الحقوق والتمثيل السياسـي

ومشاكل الزواج ومحو الهوية وعمليات التغيير والتشويش الفكري ، والتنويه الإعلامي والتفكك الأسري ، وقضايا المحرمات وإدمان المخدرات ، وضعف التحصيل الدراسي ، وغياب التعليم الإسلامي وغيرها .

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر المهمة نذكر منها: قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي وكتاب «الأقليّات المسلمة في العالم ، انتشار المسلمين في الدول والبلدان غير العربية وغير الإسلامية» ، لمسعود الخوند ، وكتاب «المسلمون في أوروبا وأمريكا» ، لمؤلفه علي بن المنتصر الكتاني ، وكتاب«حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة» ، لمؤلفه جميل عبد الله المصري ، وكتاب «أوضاع الأقليّات والجاليات الإسلامية في العالم قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر» لمؤلفه مجدي الداغر ، وكتاب «البوسنة والهرسك تاريخ ومشاهد» للكاتب مروان درويش .

والله ولي التوفيق

المؤلفون

الفصل الأول

معنى الأقلّيّات

1

الفصل الأول

معنى الأقليّات

يُعرّف القانون الدولي الأقلية بأنها: «مجموعة من السكان الأصليين أو المهاجرين المستوطنين ممن يختلفون عن الغالبية إما من ناحية العرق أو الدين أو اللغة، لكنهم يتمتعون بحقوق المواطنة كافة من دون تمييز، وتتولى الدولة حماية حقوقهم وحرياتهم مع الاعتراف بولايتها الكاملة عليهم»[1].

ويختلف وضع الأقلية السابقة سواءً كانت عرقية أم دينية عن الوافدين الأجانب حتى وإن أقاموا إقامة دائمة ومتصلة للعمل داخل البلاد، وأمثال هؤلاء يتمتعون بحقوق وحريات محدودة طبقاً لقواعد القانون الدولي الخاص في كل دولة، وبإمكان الدولة إخراجهم من إقليمها أو منعهم من الدخول إذا وقع ما يهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي[2].

وتتصل مشكلة الأقليّات بأمرين لهما دور بالغ التأثير فيها، الأمر الأول: مبدأ المواطنة بمعنى أن حقوق وواجبات المواطنة هو الأساس في الجنسية، وإذا كان للأقلية حق المواطنة طبقاً للجنسية، فإن جميع الحقوق والواجبات ستكون على قدم المساواة بالنسبة لجميع المواطنين. أما الأمر الثاني: حقوق الإنسان، ويشمل ذلك ما نصت عليه الاتفاقيات الدولية في الحقوق السياسية والاجتماعية والمدنية، وذلك أن الحفاظ على حقوق الإنسان يعد أكبر من الحفاظ على حقوق المواطن في أية دولة كانت[3].

ويذكر المفكر الإسلامي محمد عمارة في كتابه «الإسلام والأقليّات»: أن مصطلح الأقلية

1 جمال الدين محمد محمود، الإسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، دار الكاتب المصري واللبناني، (القاهرة، بيروت، 1992)، ص385.
2 المصدر نفسه، ص385.
3 المصدر نفسه، ص386.

في استخداماتنا الثقافية والاجتماعية الحديثة والمعاصرة، مصطلح قادم من البيئة والمفاهيم الغربية التي وفدت إلى واقعنا الثقافي والاجتماعي منذ الاحتكاك بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية في العصر الحديث، وهذا ما يجعله مصطلحاً محملاً بمعاني الظلال (العنصرية- الإثنية- العرقية) التي ارتبطت بالثقافة الغربية، عندما استخدم للتعبير عن الأفراد ممن يعدون أنفسهم أو يعدهم الآخرون مشتركين في بعض السمات والخصائص التي تميزهم عن التجمعات الأخرى في مجتمع يستطيعون في إطاره تطوير سلوكهم الثقافي الخاص[1].

فالأقلية الإثنية في مفهومها الغربي ليست مجرد أقلية عددية، أو هي أقلية سياسية، وإنما هي أقلية لها هوية ثقافية مختلفة عن الهوية الثقافية لغالبية المجتمع الذي تعيش فيه، وهويتها الثقافية هذه عادة ما تتطور في اتجاه متميز أو مختلف عن الهوية الغالبة لأغلبية المجتمع الذي تقطن فيه. ومن أجل ذلك، يمكن أن نفهم رفض أقباط مصر(الأقلية العددية في مصر) ومعهم المصريون، لمصطلح الأقلية بالمفهوم الغربي، فهم لا يتنازلون عن هويتهم الثقافية والقومية والحضارية والعرقية. وقولهم: «نحن بوصفنا أقباطاً، لا نشعر بأننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقي (إثني) لأننا مصريون، يجري فينا دم واحد منذ أيام الفراعنة، ومن جهة العربية، فنحن نحيا العربية، لأنها هويتنا الثقافية والثقافة الإسلامية هي السائدة الآن، وأي قبطي يحمل في الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية، يتحدث بها ببساطة دون الشعور بأنها دخيلة بل هي جزء من مكوناته»[2].

ومن الجدير بالذكر أن تراثنا الإسلامي والحضاري والتاريخي واللغوي، لم يعرف استخدام مصطلح الأقلية بهذا المفهوم الوافد من الغرب، وإنما عرفه فقط بمعناه اللغوي (أي الأقلية العددية) في مقابل الأكثرية العددية، دونما أية مفاضلة أو تمييز بسبب هذه الكثرة أو القلة في الأعداد.

إن الأكثرية العددية هي الأفضل دوماً من الأقلية العددية داخل المجتمع الواحد، وهذا كلام لا معنى له ولا صحة مطلقاً، ويحدثنا القرآن الكريم حول ذلك في العديد من الآيات في الذكر الحكيم: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[4]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ

1 محمد عمارة، الإسلام والأقليّات الماضي والحاضر والمستقبل، مكتبة الشروق الدولية، (القاهرة، 2003)، ص7.
2 المصدر نفسه، ص ص7-8.
3 سورة آل عمران: الآية (110).
4 سورة الحديد: الآية (16).

وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)[1].

فلم تغن الكثرة عن الأفضلية، ولم تكن الكثرة مزية دائماً، بل لقد ارتبط مصطلحها، في الكثير من الاستخدامات بالصفات السلبية، وعلى النقيض من ذلك ارتبط مصطلح القلة والأقلية غالباً في التعبيرات القرآنية الدقيقة بالصفات الإيجابية: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[2]، (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)[3].

ويعتذر الشاعر السمَوْأل عن قلة قومه فيقول:

تعيرنا أنّا قليل عديدنا فقلت لهما إن الكرام قليل

فالأقلية والأكثرية مصطلحان يستخدمان بمعنى الكثرة العددية والقلة العددية فقط لا غير، دون أيّ ظلال مفهومية لصيغة الكثرة والقلة، وإنما العبرة بالمعايير التي تجتمع عليها وتؤمن بها وتنتمي إليها الأكثريات والأقليّات، فالمدح والذم والإيجاب والسلب، إنما هو للمعايير والمكونات والهويات والمواقف، ولا أثر في ذلك للكثرة أو القلة في الأعداد [4].

خلق الله – عز وجل – الإنسانية من نفس واحدة، ثم شاء لها التنوع والاختلاف... إلى ذكران وإناث، وشعوب وقبائل، وألسنة ولغات وقوميات وألوان صفراء وسوداء وبيضاء، وأجناس وملل ونحل وشرائع وأديان، ومناهج وثقافات، وأعراف وتقاليد و... وجميع ذلك ضمن إطار جامع للإنسانية الواحدة، فجامع الأمة هو الرابط الذي يظلل التنوع والاختلاف في العقائد والشرائع الدينية، وفي الشعوب والقبائل وما إلى ذلك من تنوع وتعدد، جميع ذلك هو سنة من سنن الله – عز وجل – التي لا تبديل لها ولا تحويل[5].

مشكلة الأقليّات في المجتمعات القديمة

تعد مشكلة الأقليّات مشكلة إنسانية ظهرت مع قيام المجتمعات الإنسانية ولا جدال في ذلك، فهي مشكلة عرفتها المجتمعات القديمة والوسيطة، وحتي في المجتمعات الحديثة باتت تمثل في عالمنا المعاصر مشكلة دولة، وكانت مشكلات الأقلية في المجتمعات القديمة لا تكاد

1 سورة المائدة: الآية (66).
2 سورة سبأ، الآية: (13).
3 سورة البقرة: الآية (249).
4 عمارة، المصدر السابق، ص ص8–9.
5 عمارة، المصدر السابق، ص9.

تظهر في المجتمع بوصفها مشكلة إنسانية؛ إذ كان الغالب أن تقهر الأقلية أياً كانت طبيعتها، وأن تتحمل القهر الذي كتب عليها شاءت أم أبت، وهكذا واجهت الأقليّات العرقية والدينية حياتها دون أن يكون هناك اهتمام محلي أو دولي، ومن جانب آخر لم تتنبه الأقليّات العرقية والدينيــة في المجتمعات القديمة إلى حقها في الحيــاة دون أن ينتهك كيانها الديني والعرقي أو هويتها الثقافية والاجتماعية التي تستــمد من كيانها، وإذا كانت مشــكلة الأقليّات قد نالت اهتماماً ملحوظاً في هذا العصر فإن ذلك يرجع إلى أمرين مهمين الأول: أن هذه المشــكلة في بلد من البلاد تؤثر في استقراره الداخلي وقدرته على التقدم والنمو، وتؤثر أيضاً على علاقاته الدولية، فالأقلية الدينية أو العرقية في أية دولة ليســت منقطعة الصــلة بالعالم، وليست كياناً منفــرداً في المجتمع العالمي بل هي تنتمي إلــى عرق ودين قد تكون له الأغلبية في بلد آخر[1]، وهذا من دون شــك ســيفتح أبواب التدخل في الشــؤون الداخلية للبلاد التي تحتضــن تلك الأقليــة، وليس من الغريــب أن يكون هذا التدخل مفتاحاً للاحتلال والاســتعمار والدمار، الثاني: أنه مع تقدم المجتمع الدولي في الأخذ بمبادئ حقوق الإنسان، لا يمكن إهمال مشكلة الأقليّات وهي تمثل جانباً هاماً من المشــكلات السياســية التي تتبناها الدول والمنظمات الدولية الإنسانية في العصر الحديث.

كان الغالب في العالم القديم الأنظمة السياسية ذات الطابع الإمبراطوري التي تضم أقاليم عديدة شاســعة تُحكم بواســطة ملك أو إمبراطــور يقيم في عاصــمة الإمبراطورية، وكانت امبراطوريتــا الفرس والروم تضــم كل منهما أقاليم تختلف في العــرق والدين واللغة والهوية والعــادات والتقاليد، ويجري حكم هــذه الأقاليم المتباعدة والمترامية الأطراف على اختلافها مــع الدولــة الأم بالقوة والســيطرة المطلقة حتى مــع وجود التفرقة الظاهرة بين شــعوب هذه الأقاليم وشــعوب الدولة الأم في النظم والحقوق والواجبات[2]، إذ كانت هناك دائماً تفرقة واضــحة بين الشعوب المحكومة والســلطة التي قهرتها، وأخضعتها بقوة السياط، ولم تكن فكرة المواطنة واردة بالنسبة للشعوب المغلوب على أمرها.

مشكلة الأقليّات في العصر الحديث

طفت مشــكلة الأقليّات في العصر الحديث على نطاق دولي بوصــفها مشكلة بحاجة إلى علاج عندما ظهرت قواعد لحماية الأقليّات حين تم ترسيم حدود الدول الأوروبية، ووردت

1 محمود، المصدر السابق، ص382.

2 كان القانون الروماني يطبق على الرومان دون غيرهم من الشعوب التابعين لإمبراطوريتهم.

بعض البنود في مؤتمر برلين عام (1878) وتضمنت الاتفاقيات بعد الحرب العالمية الأولى نصوصاً لحماية الأقليّات اشترطت فيها دول الحلفاء أن تعامل الأقليّات بشكل عادل ومتوازن بالنسبة لأقليّات الجنس والدين واللغة، أي (أن يكون الجميع سواسية أمام القانون)، ولا سيما الحقوق المدنية والسياسية لجميع الرعايا مهما اختلفت أجناسهم ولغاتهم ودينهم بما في ذلك الحق في تكوين وتأسيس منظمات للأهداف الدينية أو التعليمية[1].

وقد عُدَّت هذه البنود إلزاماً دولياً عندما وُضعت تحت ضمان ورعاية عصبة الأمم[2] ومجلس العصبة (يعادل مجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة)، والذي منح سلطة اتخاذ الإجراءات اللازمة في حالة انتهاك المعاهدات الخاصة بحقوق الأقليّات، ووضعت إجراءات خاصة بواسطة العصبة فيما يختص بشكاوى الأقليّات من أي انتهاكات لحقوقهم، ومنها إحالة الأمر إلى محكمة العدل الدولية[3]، وقد أدى تطبيق الأحكام الواردة في المعاهدات الدولية المعقودة بعد الحرب العالمية الأولى إلى جدل كبير بسبب ما تضمنته من قيود على سلطان الدولة الموقعة عليها[4].

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى انهارت امبراطوريّات كبرى أمثال الإمبراطورية العثمانية وإمبراطورية المجر التي كانت تحكم أقاليم عديدة وخاصة في شرق أوروبا، وفي البلقان[5] وعند رسم حدود تلك الدول لم يكن هناك مفر من أن تشمل هذه الدول أقليّات في الجنس أو الدين أو اللغة، وعلى سبيل المثال كان ربع سكان بولندا بحسب حدودها من غير البولنديين هم من الألمان واليهود والروس[6].

تواجه الأقليّات في واقعنا الراهن، تحديات عظيمة، فقوى الهيمنة الغربية تسعى جاهدة إلى جعل هذه الأقليّات أوراق ضغط، وثغرات اختراق وتدخل لإعاقة تقدم الأمة العربية والإسلامية ونهوضها وانبعاثها الحضاري، فمنذ بدايات الغزوة الاستعمارية الحديثة للوطن العربي (مركز العالم الإسلامي)، المتمثلة بحملة نابليون بونابرت (1769–1821) على

1 المصدر نفسه، ص383.
2 عصبة الأمم: منظمة دولية تأسست عام 1920 بموجب ميثاق مكون من 26 مادة يؤلف جزءاً من معاهدة فرساي، عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1974)، ص382.
3 محكمة العدل الدولية: الجهاز القضائي التابع للأمم المتحدة، يتألف من خمسة عشر قاضياً تختارهم الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن لمدة تسعة أعوام، وتنظر في القضايا المختلف عليها بين الدول، المصدر نفسه، ص492.
4 محمود، المصدر السابق، ص383.
5 البلقان: كلمة تركية معناها الجبل، ومن أهم دولها البانيا– بلغاريا– صربيا– الجبل الأسود.
6 المصدر نفسه، ص383.

مصـر عام (1798) كان الإعلان عن مخطط العمل لاسـتخدام الأقليّات في مشروع الهيمنة الاستعمارية، وذلك عندما أعلن بونابرت عزمه على تجنيد عشرين ألفاً من أبناء الأقليّات غير المسـلحة، ليكونوا مواطئ أقدام وثغرات اختراق تعينه على بناء إمبراطوريته الاسـتعمارية في الشرق، وأثناء حصاره لمدينة عكا الفلسطينية عام (1799) أصدر بونابرت نداءه إلى الأقليّات اليهودية في العالم، كي تتحالف معه لتحقيق هذا الغرض الاستعماري، مقابل أن يساعدها في احتلال فلسطين، بعد أن وعدوه بأن يكونوا معاول هدم في أجساد الإمبراطورية العثمانية[1].

ومنـذ ذلـك الحـين، اتخـذت قطاعات من هـذه الأقليّـات اليهوديـة أكـثر القرارات اللاأخلاقية، عندما وظفت نفسـها في خدمة الحضـارة الغربية التي اضـطهدت اليهود طوال تاريخهم، ووجّهتهم ضـد الحضارة الإسـلامية التي طالما أكرمتهم، وهكذا بدأت الشراكة بين الصهيونية والاستعمار الغربي.

وبعد فشل مشروع بونابرت الاستعماري الموجه ضد مصر، لم تخرج فرنسا من الساحة، فقـد تولت تحويـل الأقلية المارونية في لبنان عن طريق التغريب الثقافي ومدارس الإرسـاليات التبشـيرية إلـى ثغرات اختراق لتحويل اتجاه هـذه الأقلية وغيرها إلى الغـرب بدلاً من الشرق والعروبة وحضارة الإسلام، وذلك وصولاً إلى جعل (البربرية) العربية– كما يزعم الغرب– تنحني لا إرادياً أمام الحضارة المسيحية الأوروبية[2].

وتولـت فرنسـا في بلاد المغرب العربـي اللعب بورقـة الأقلية الأمازيغية لإلحـاق عاداتها وأعرافها بالقانون الوضـعي الفرنسـي، بدلاً من الشريعة الإسـلامية، وإلحاقها لغوياً وثقافياً بالفرنسية بدلاً من هويتها الحضارية الإسلامية العربية.

وقد كتب الصـهيوني موش شاريت (1894–1965) في مذكراته عن المقاصد من وراء اللعـب بـأوراق الأقليّات في البـلاد العربية والإسـلامية، يقول: أولاً: تثبيـت وتقوية الميول الانعزاليـة للأقليّات في العـالم العربي، ثانياً: إذكاء النار في مشـاعر الأقليّات المسـيحية في المنطقة وتوجيهها صـوب المطالبة بالاسـتقلال والتحرر من الاضـطهاد الإسـلامي، فمجرد تحريك الأقليّات هو عمل إيجابي بالنسـبة للمسـتعمرين، لما قد ينتج عنه من آثار تدميرية على المجتمع المستقر[3].

1 عمارة، المصدر السابق، ص32.
2 المصدر نفسه، ص34.
3 المصدر نفسه، ص35.

تُعد الأقليّات من الثوابت الاستعمارية الصهيونية في تنفيذ مخططاتها التفتيتية للعالم الإسلامي، ففي محاضرة ألقاها أريل شارون[1] في (18 كانون الأول عام 1981)، وكان يومئذ وزيراً للدفاع- والتي نشرتها مجلة معاريف يقول: «إن إسرائيل تصل بمجالها الحيوي إلى أطراف الاتحاد السوفيتي شمالاً، والصين شرقاً، وأفريقيا الوسطى جنوباً، والمغرب العربي غرباً. . . وهذا المجال الحيوي عبارة عن مجموعات قومية وإثنية ومذهبية متناحرة»[2].

ومن الغريب إلى حد بعيد أن اليهود هم أصلاً من الأقليّات المنتشرة في العالم، وربما هذا ما جعلها أدرى من غيرها في كيفية استغلال هذا الأمر لصالحها الخاص، وجعلت منه مجالاً حيوياً لنشاطها وتحركاتها الاستعمارية في العالم أجمع فكلما ازدادت الأقليّات في العالم، ازدادت قوة إسرائيل، لذا فهي مختصة في صناعة الأقليّات بالدرجة الأساس، ومن كان منها موجوداً، فإن إسرائيل مختصة في تحريكها ضد الدولة التي تقطنها تلك الأقلية وذلك لتوسيع الهوة بين الجانبين، وإضعاف الجميع إلى درجة الانحناء والاضمحلال. فمن لم يكن لديه أقلية صنعت له دون تأخير، ومن لا يرغب بالحرب سيجدها عما قريب مع محارب لا يختاره بنفسه.

مصطلح الأقلية في الفكر السياسي الإسلامي

لم يُعرّف الفكر السياسي الإسلامي مصطلح الأقلية بدلالته الحديثة كما يعبر عنه في العلوم الاجتماعية، ولكن كلمة الأقلية تتضمنها مفردات اللغة ويستخدمها مفكروها بوصفها تعبيراً عن الاستثناء والجزئية أو مباينة الغالب والكثرة، وتشير معاجم اللغة إلى مادة (قلل) أُشتقت منها كلمة الأقلية، فيحدثنا لسان العرب ويقول: القلة خلاف الكثرة، قال الله -عز وجل-: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾[3]. القل: القلة مثل: الذل، الذلة، وفي حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-: «الربا وإن كثر فهو إلى قل»، أي إلى قلة.

وفي إطار سياق اجتماعي وسياسي يعكس أكثر الحالات تعبيراً عن مفهوم الأقلية ألا وهي كلمة «شرذمة»، وتذهب إليه الدراسات الاجتماعية الحديثة في قوله تعالى حول قصة

1 أريل شارون: رئيس وزراء إسرائيل ولد في كفار حلال في فلسطين أيام الانتداب البريطاني من أب بولندي وأم روسية. يعد من السياسيين العسكريين المخضرمين على الساحة الإسرائيلية.

2 عمارة، المصدر السابق، ص36.

3 سورة الأعراف: الآية (86).

فرعون في وصفه لقوم موسى بعد أن خرجوا من مصر بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾[1].

يعكس مصطلح (شرذمة قليلون) في هذا السياق الدلالة السياسية والاجتماعية لما يشير إليه مصطلح الأقلية من وجهة نظر السلطة الحاكمة، إذ تسود بينهما علاقة صراع استخدمت فيها أدوات القهر المعنوي والمادي بقصد استئصال الأقلية وإزالتها من الوجود، وعدم التسامح معها، وقد يجنح إلى حد العمل على استئصالها[2].

ويستخدمه التعبير القرآني للتعبير عن النقص العددي- كما ذكرنا- لكنه لا يجعل من مجرد النقص العددي مثاراً للاحتقار أو مبرراً للتقليل من الشأن، بل الغالب أن القلة تستخدم في السياق القرآني للتعبير عن المدح والتقدير- سبق وأشرنا إلى ذلك- ويذهب البعض من الباحثين إلى أن استخدام مصطلح الأقلية يأتي للتعبير عن التعدد الثقافي أو العرقي لجماعة من البشر في مواجهة جماعة أخرى تعبر عن الأكثرية[3].

وإن كنا لا نحبذ كلمة مواجهة بين الأقلية والأكثرية في المجتمع الواحد والدولة الواحدة كونها قد تثير المشاكل وتفتت رباط الوحدة والاستقرار في أي مكان تتواجد فيه.

وتقدم الموسوعة البريطانية تعريفاً للأقلية بأنها: «مجموعة متميزة ثقافياً أو إثنياً أو عرقياً تعيش ضمن مجتمع أكبر»، وأن مثل هكذا مصطلح يحمل في طياته شبكة من الآثار السياسية والاجتماعية[4].

وتعرف الأقلية من وجهة النظر الحقوقية بأنها: «الشعب أو الجماعة الإثنية، أو اللغوية أو القومية، أو الدينية التي تختلف عن أغلبية سكان البلاد، وتعيش بشكل طبيعي في إقليم الدولة، وعلى الأغلب في منطقة جغرافية معينة منه»[5].

وكون مصطلح الأقلية يستخدمه علماء السياسة والاجتماع فالأقلية بالضرورة خاضعة لمجموعة مهيمنة ضمن المجتمع، ووصف التبعية أو الخضوع -أكثر من كونه عددياً- هو

1 سورة الشعراء: الآية (54-55).
2 كمال السعيد حبيب، الأقليّات والسياسة في الخبرة الإسلامية، مكتبة مدبولي، (القاهرة، 2002)، ص ص54- 55.
3 المصدر نفسه، ص55.
4 The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 8, (N. P, 1994), P. 169.
نقلاً عن حيدر إبراهيم علي وميلاد حنا، أزمة الأقليّات في الوطن العربي، دار الفكر، (دمشق، 2002)، ص21.
5 مجموعة من الباحثين، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليّات في العالم الثالث، مركز دراسات العالم الثالث، (بغداد، 1989)، ص201.

الأصـل في التعريف الأساسي للأقلية، ومثال ذلك كان السود في جنوب أفريقيا أقلية كيفية رغـم الكثرة فهذا يعنـي بأنها أقلية بحكم هيمنة الأمة البيضـاء، إذ قد تكون أكبر حجماً من المجموعة المهيمنة [1].

ولا يمثـل العدد القليل لفئـة ما داخل مجتمع معين عن كونه أقلية؛ فالأكثرية المضـطهدة تدخل ضمن حيز الأقلية ودائرتها.

إن غيـاب بعض الخصـائص يجعل من الصـعب عدّ بعضـ المجموعـات أقليّات، ففي الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن الدين قلما يصـلح بوصـفه معياراً للأقلية بسـبب العلمانية التي تسـير عليها الدولة، ومثال ذلك مجموعات الماسـونيين في الغرب رغم اشـتراكهم في معتقدات تختلف عن الآخرين، ولكنهم يفتقرون لخصائص مميزة– التمايز– تجعل منهم أقلية متماسـكة. نادراً ما تعد أية مجموعة اجتمعت لأسـباب اقتصادية أقلية، إذ لا يكفي الوجود في مـكان مشـترك، إلا إذا ارتبط نشـاطهم بعناصر موحدة مثل القرابة والعـرق أو الثقافة، ويختلف دور مجموعات الأقليّات من مجتمع إلى آخر اعتماداً على بناء النظام الاجتماعي، وعلى القوة النسبية للأقلية. كان المجتمع فيما مضى يواجه خيارين في مواجهة الوجود الذي تمثله الأقليّات: القضـاء عليها، أو تحملها ودمجها، وكان يمكن القضـاء على الأقلية بوسائل عدة مثل القمع والاضطهاد، ففي القرن السابع عشر مُنع الكاثوليك الفرنسيون البروتستانت من ممارسـة العبادة علنـاً، أو تغيير مذهبهم، أو مغادرة البلاد، فالبروتسـتانتية بهذه الطريقة صـودرت ثقافتها وأفكارها إلى حد ما. وتُعد النازية الأنموذج المتطرف لقمع الأقليّات أمثال اليهود في محرقتهم (الهولوكست) الشهيرة[2].

الأقليّات والعرقية

يحتـل مفهوم العرق أو السـلالة أو العنصـر موقعاً هاماً في تصـنيف الأقلية، وفي بعض الأحيان يرتبط العرق مع الأقلية. والعرق كلمة هلامية ومضـللة في غالب الأحيان، كونها مثقلة بالانحياز القيمي وليسـت محايدة وثابتة. فقد تعطي المعنى حسـب الحقبة التاريخية أو الإطار الثقافي أو الموقف السياسي، إذ يُعرّف علم الاجتماع العنصر أو الجنس أو العرق بأنه: «اصـطلاح يطلق على مجموعة سـكانية تتميز بصـفات بيولوجية[3] مشـتركة تقررها العوامل

1 المصدر نفسه، ص21.
2 علي وحنا، المصدر السابق، ص22.
3 بيولوجي: علم الحياة والكائنات الحية في جميع أشكالها وظواهرها.

الوراثيــة . ومــن الملاحظ بأنه ليس هناك ارتباط بين الصــفات الوراثيــة البيولوجية والقدرات الذكائيــة ، أو المزايا الحضــارية للأجناســ البشرية ، إلا أن الاختلافــات الظاهرية في المظهر الطبيعــي والبيولوجــي للأفراد أو العناصر ، قد تؤدي في ظروف معينة إلى ظهور الوعي الذي يدفع إلى الاعتقاد بمبدأ الجيد والعنصر الرديء»[1].

تضمن هذا التعريف أن العنصر أو العرق حقيقة علمية من زاوية وجود مجموعة من الناس لها خصائص فيزيقية[2] موروثة تجعلها مختلفة في شكلها الظاهري عن الآخرين ، ولكن يجب أن لا تقود هذه الحقيقة إلى القول بأنه هو ســبب الاختلاف الحضــاري بين الأمم– أي حقيقة الاختلاف في الأشكال طالما أنه من غير الممكن إرجاع نشأة الحضارة أو الثقافة وتطورها إلى جنس واحد يمتاز بهــذه الخواص خارج أطر التاريخ ، وبغض النظر عن الظروف الاجتماعية والبيئية الأخرى[3].

إن العرق بوصــفه مصــطلحاً بيولوجياً حقيقة موجودة ، ولكن بوصــفه مصــطلحاً ثقافياً حضارياً فلا وجود له خاصة لو تحدثنا عن التفوق والعرق النقي ، كون الخصائص البيولوجية يمكــن أن تــورث في أغلــب الأحوال ، ولكي تكــون فكرة العرق علمية ، وقــع على عاتقنا التســليم بــأن البشرية جمعاء تنبع من أصــل واحــد وأب واحد ، ولم تكــن هناك اختلافات في الإنســان الأول والأصول الأولى ، والذي يســمى الإنسان العاقل ، ونتيجة للهجرات ، واختلاف البيئات الجغرافية والمناخية والمحيط الثقافي برزت الاختلافات في بعض الخصائص مثل لون البشرة ، والطول ، وشــكل الرأس ، والوجه ، والشــعر ، ولون العيون ، وشــكل الأنف وبنية الجســم ، ويشــترك البشر في التفاصيل الجسمانية الرئيســة المهمة مثل: الدماغ ، والجهاز العصبي ، وما إلى ذلك[4].

وهذه أعضــاء جســمانية تتوافر لدى جميع البشر أياً كان عرقه ، فهي تؤكد أن الأصــل واحد ، أما الفروع والاختلافات فهي خارجية لا تؤثر على وحدة الإنسان وقدراته الجسمانية والفكرية ، والتي تتشكل حسب العوامل البيئية ، ويمكن أن تتغير حسب تغير البيئة .

وبحســب مــا جاء في تقرير اليونســكو الذي وضــعته مجموعة من العلمــاء من مختلف

1 علي وحنا ، المصدر السابق ، ص ص28–29 .
2 فيزيقية: علم الطبيعة .
3 علي وحنا المصدر السابق ، ص29 .
4 المصدر نفسه ، ص30 .

الاختصاصات عام (1950) وتقرير آخر عام (1951):

1 – إن أصل الإنسان واحد، وينتسب جميع الناس إلى مجموعة واحدة هي الإنسان العاقل أو الناطق، وتناسل الجميع من هذا الأصل، ثم تفرقوا وانقسموا إلى مجموعات أثرت عليها عوامل بيئية مختلفة أظهرت الاختلافات الفيزيقية الخارجية التي يمكن ملاحظتها بسهولة ويسر[1].

2 – هناك اختلاف ضعيف بين البشر في تكوينهم الأساسي، وهذا الاختلاف بسبب الوراثة أو البيئة، وأن التشابه بين الناس أشد وأقوى من الاختلاف.

3 – ليس هناك ارتباط حتمي بين المجموعة العرقية من جهة، والمجموعة الوطنية أو الدينية أو اللغوية من جهة أخرى، فلا يمكن تسمية الألمان أو الأمريكيين أو الفرنسيين أو أي شعب يشكل وطناً عرقاً، وكذلك الحال بالنسبة للمجموعات الدينية كالمسلمين أو اليهود، ولا يمكن تسمية المناطق الجغرافية المنعزلة مثل جزيرة ايسلندا عرقاً[2].

شهد العالم وما يزال هجرات متواصلة منذ بداية التاريخ بسبب الحروب بين مجموعات بشرية مختلفة، لذلك يصعب على المرء إثبات وجود عرق نقي لم يتداخل أو يختلف مع الاخرين، ولا توجد معايير لتحديد نقاء العرق، فمفهوم مثل الدم أثبتت العلوم الطبيعية عدم فائدته لوجود فصائل معينة منه يشترك فيها جميع البشر، ومن ثم فإن فكرة الدم النقي أو الأزرق[3] مجرد خرافة واهية.

الأقليّات المسيحية في الدولة العثمانية

قُننت أوضاع الأقليّات المسيحية واليهودية في الوطن العربي أي (وُضع لها إطار قانوني) عندما صدر نظام الملل والنحل مع بداية حكم الإمبراطورية العثمانية، بعد أن استولوا على القسطنطينية عام (1453) م فقرروا استمالة الأقليّات الواحدة تلو الأخرى، وكانت البداية مع اختيار السلطان العثماني للبطريرك كينادوس (رئيس الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية) المعروفة بعبارة (الروم الأرثوذكس) ليكون وسيطاً بين السلطان وباقي الأقليّات المسيحية،

1 المصدر نفسه، ص32.
2 المصدر نفسه، ص ص33–34.
3 كان الناس يعتقدون أن دم النبلاء لونه ازرق وليس أحمر على خلاف جميع الناس ممن هم دونهم منزلة، وسبب اختيار الناس للزرقة لوناً لدماء النبلاء هو بسبب شدة بياض بشرتهم فيبدو الدم في عروقهم ازرقاً، فاعتقد الناس بذلك.

ومن ثم منح البطريرك كينادوس لقب (ملتي باشا) أي رئيس الملة أو الطائفة، وقد استقر نظام الملل في العصر العثماني في القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

أصدر السلطان العثماني مرسوماً يفوض فيه البطريرك سالف الذكر بتعيين الأساقفة وجميع رتب الأكليروس (رجال الدين)، وكذلك حقه في عزلهم إذا تطلب الأمر ذلك، والنظر في القضايا والدعاوى الخاصة بأمور الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث. ومنح البطريرك حق الفصل في القضايا المدنية والجنائية بين أبناء الديانة المسيحية[1].

وفي عام (1831) استطاع الأرمن الكاثوليك- بمساعدة فرنسا- أن يكونوا طائفة لها استقلاليتها، وقد أعقبها حق آخر، ففي عام (1857) أصبح بطريرك الأرمن الكاثوليك حاملاً للقب (ملتي باشا) ومن اختصاصاته أن يمثل مصالح بعض طوائف الكنائس المشرقية[2].

وفي ظل الصراعات الدينية والسياسية في أوروبا، ووفق توازن القوى السياسي الثقافي السائد قبل الثورة الفرنسية، أصدر السلطان العثماني قوانين حول إصلاح أحوال الأقليّات التي تعيش في كنف الدولة العثمانية، فصدر القانون أو البيان الأول عام (1839) المعروف باسم خط كلخانة، والثاني كان أكثر وضوحاً وصدر عام (1856) المعروف بخط همايون، أو الخط الهمايوني (والذي لا زال البعض في مصر يعدونه المرجعية في حق الدولة في إصدار فرمان أو قرار جمهوري بإنشاء أية كنيسة).

وعندما اتسعت رقعة الخلافة العثمانية، كان من بين رعاياها بعض الأوروبيين التابعين للكنيسة الكاثوليكية، فاعترف السلطان محمود الثاني أيضاً عام 1836 بهذه المجموعة، وأطلقوا عليها اسم (لاتين ملتي)، وفي هذا الإطار أُنشئ ما كان يطلق عليه (الديوان اللاتيني العثماني)؛ ولذلك أُطلق على رئيس هذا الديوان عبارة (قنصل اللاتين)[3].

كانت الأقليّات داخل الدولة العثمانية، وخاصة المسيحية منها حجة للعديد من الدول الأوروبية للتدخل في شؤون الدولة الداخلية، وما حرب القرم (1853-1856) [4] إلا دليل صارخ على ذلك، وهذه حال جميع الدول التي تحيا في كنفها الأقليّات بأديانها وأعراقها كافة.

1 المصدر نفسه، ص178.
2 المصدر نفسه، ص178.
3 المصدر نفسه، ص180.
4 حرب القرم (1853-1856): وقعت بين الجانب الروسي من جهة والدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا من جهة أخرى وانتهت بانتصار الطرف الأخير، للمزيد من التفاصيل ينظر: أحمد صالح عبوش وعمر رشيد زنكنة، تجارب الوحدة في أوروبا في القرن التاسع عشر، مطبعة ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 2008)، ص33.

دور الأقليّات في قيام الجمعيات العربية المناهضة لحركة التتريك

لم يكن للأقليّات في ظل نظام الملة العثماني[1] أية مشكلات تذكر، فقد استمد النظام أحكامه من الشريعة الإسلامية، ولكن الدول الأوروبية أسهمت في زيادة هذه الأقليّات لتشمل أقليّات عرقية كالأكراد والأرمن والشركس، وأسهمت أيضاً في تعقيد مشكلاتها وبث الفرقة والشقاق فيما بينها.

ويذكر رئيس وزراء فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى: «كان أصدقاؤنا الإنجليز أسبق منا في التنبيه إلى موضوع الأقليّات المذهبية والعرقية في بلاد المشرق العربي، وقد التقت وجهتا نظرنا كلياً حول هذا الموضوع»[2].

آثر السلاطين العثمانيون عدم التدخل في شؤون الأقليّات المحلية، ولم يتغير حال هؤلاء السلاطين إلا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وخاصة بعد ما سيطر أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ممن كان جلهم من يهود الدونمة[3] على مقدرات الدولة العثمانية عام 1908.

كانت استراتيجية الاتحاديين في الحكم ترتكز على تتريك العناصر غير التركية داخل حدود الإمبراطورية العثمانية، وخاصة العرب منهم، وقد أنشأوا لهذه الغاية جمعية «تورك اوجاقي» وأوكلوا إليها مهمة:

- تأليف الكتب القومية للغة الجديدة.
- مقاومة كل كاتب تركي لا يحبذ هذا الرأي.
- نشر فكرة التأليف هذه، وتدريس الناشئة التاريخ الطوراني[4]، وإقناعهم أن الشعب التركي أعظم شعوب العالم، اختارته القدرة الإلهية لسيادة العالم.

أثارت سياسة الاتحاديين الطورانية في البلاد العربية الإسلامية مخاوف الأهالي، وبخاصة

1 كان نظام الملة العثماني يسمح للأقليّات الدينية من يهود ونصارى ومجوس بممارسة حياتهم الخاصة (الدينية والاجتماعية والاقتصادية)، مكتفياً بأداء المكلفين بأداء الجزية.

2 مجموعة باحثين، الأقليّات والقوميات في السلطة العثمانية بعد 1516، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، (لبنان، 2001)، ص ص259–260.

3 الدونمة: كلمة تركية تعني الهداية أو العودة إلى الحق، أطلقت على فئة من يهود إسبانيا ممن لجأوا إلى الدولة العثمانية، وتظاهروا باعتناق الدين الإسلامي.

4 الطورانية: حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، هدفت إلى توحيد العرق التركي ممن ينتمون إلى لغة واحدة وثقافة واحدة.

العناصر السكانية المنتمية إلى الأقليّات الدينية والعرقية، فقرروا الانسحاب من جمعية الاتحاد والترقي، والانخراط في جمعيات أدبية وسياسية للوقوف في وجه المخطط الطوراني، والسعي صوب إصلاح الدولة وخلق مساواة بين القوميات المختلفة التابعة لها.

تزعم أفراد هذه الأقليّات النهضة الفكرية، وأسهموا في الجمعيات السياسية، وترأسوا بعضها، وبرزت أسماؤهم في عالم الفكر والأدب والسياسة أمثال: المصري مكرم عبيد القبطي، وفارس الخوري البروتستانتي السوري المولود (1877) والمتوفي عام (1962)، الذي مارس السياسة والأدب، ولعب دوراً بارزاً في النضال الوطني من أجل الحرية والاستقلال، وتسلم رئاسة الحكومة في سوريا أكثر من مرة. كذلك بطرس البستاني (1819–1883)، وناصيف اليازجي (1800–1871)، وإيليا أبو ماضي (1889–1957) وغيرهم.

قام بعض هؤلاء الأدباء والمفكرين بتشكيل جمعيات أدبية وعلمية، كانت النواة الأولى للجمعيات والأحزاب السياسية التي أنشئت في العهد الحميدي والاتحادي، ومن هذه الجمعيات: جمعية الآداب والعلوم المؤسسة في بيروت عام (1847)، والجمعية الشرقية التي أسسها اليسوعيون عام (1850) وغيرها من الجمعيات[1].

أما خلال الحرب العالمية الأولى، وبعد دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا أضحى جلّ السوريين واللبنانيين أكثر تساهلاً من ذي قبل، فقد حلوا أحزابهم وتناسوا خلافاتهم مع الأتراك، واتجهوا صوب الدفاع عن الدولة العثمانية، وبلغت منهم الحماسة أقصى درجاتها.

ومن الواضح للعيان أنه عند إعلان النفير العام لم يظهر في السلطنة العثمانية، وخاصة في سوريا ولبنان أية نوايا للشغب والمعارضة، ومن لم يقتنع بجدوى السياسة والإدارة الاتحادية اختار السكوت التام.

وعند دخول تركيا الحرب اجتمعت الهيئة العليا لجمعية «العربية الفتاة» واتخذت القرار التالي: «أنه إذا تحققت للدول الأوروبية مطامع في هذه البلاد فإن الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركيا لمقاومة التدخل الأجنبي مهما كانت صورته»[2].

كانت هناك اختلافات في الاتجاهات والآراء السياسية حول شكل وتنظيم دولة المستقبل

1 مجموعة باحثين، المصدر السابق، ص268.
2 المصدر نفسه، ص ص278–279.

الوطنية، فبعضهم كان ينتظر الخلاص، والبعض الآخر كان يحلم بدولة سورية مستقلة، وفريق كان يسعى لقيام دولة سورية- لبنانية تحت الحماية الفرنسية، ولكن لا هذه الفئة ولا تلك ولا غيرها أخذت بعين الاعتبار مطامع الدول الاستعمارية واتفاقياتها فيما بينها وفق صيغ أبعد ما تكون عن أماني الشعوب المقهورة، وذلك لأن مطامع هذه الدول كانت هي العامل الحاسم في رسم الحدود، ووضع الأنظمة للمناطق المهزومة، فمصالحها وحدها هي التي أخذت بعين الاعتبار في الحلول النهائية لمؤتمر الصلح (1919)[1]، والتي طبقت في بلاد الشام والعراق في اتفاقية (سايكس- بيكو) بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها، وفرضت عليها احتلالها فيما يعرف بنظام الانتداب[2].

الأقليّات الإسلامية في العالم

ما زالت الدراسات الإحصائية عن الأقليّات في العالم بحاجة إلى مزيد من الجهد، وذلك لأهمية الموضوع البالغة من أجل الخروج بتقديرات وإحصائيات أقرب إلى الواقع للاعتماد عليها في دراسة تطور أعداد المسلمين في العالم.

ومن الوسائل المعول عليها في هذا الخصوص، توثيق الصلات بالأقليّات المسلمة والاستعانة بالمراكز الإسلامية والجمعيات والاتحادات الإسلامية المتنوعة.

يختلف تقدير أعداد الأقليّات المسلمة في العالم بين الباحثين، فمنهم من يقدر أعداد هذه الأقليّات بـ (220) مليوناً، ومنهم من يقدر هذه الأعداد المسلمة بأقل من ذلك، ويشمل الاختلاف كذلك عدد الدول الإسلامية، إذ إن بعض الباحثين يقدر عدد الدول الإسلامية بسبع وخمسين وحدة إسلامية، وبعضهم يقدر عدد الدول الإسلامية بخمسين دولة (اثنين وعشرين دولة آسيوية، وسبع وعشرين دولة أفريقية، ودولة أوروبية).

وهناك من يقدر أعداد الدول الإسلامية بسبع وثلاثين دولة موزعة على قارات العالم الثلاث.

وإذا كان الاختلاف في أعداد الدول واضحاً للعيان، فمن دون شك أن غموض أعداد

1 مؤتمر الصلح: جاء لتسوية آثار الحرب العالمية الأولى عندما قررت الدول المنتصرة (فرنسا وبريطانيا) الاجتماع في فرنسا، وأهم بنود المؤتمر قضية التعويضات الموجهة ضد ألمانيا، أحمد صالح عبوش، سياسة فرنسا تجاه التطورات السياسية الأوروبية 1919- 1939، مطبعة ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 2009)، ص16.

2 مجموعة باحثين، المصدر السابق، ص282.

الأقليّات بين الباحثين مسلّمٌ به، كونه أدق وأصعب من إحصاء أعداد الدول، وهناك مجموعة من العوامل لا يمكن إغفالها تحول دون تقديرات صحيحة للأقليّات المسلمة في العالم نذكر منها:

– عدم اهتمام كثير من الدول بإحصاء الأقليّات بحجة أن مثل هكذا أمور تؤدي إلى مشاكل طائفية.

– يلجأ الكثير من المسلمين في بعض الدول التي يكثر فيها اضطهاد الأقليّات خاصة المسلمة منها إلى إخفاء عقائدهم وشعائرهم الدينية، والتظاهر باعتناق المعتقدات التي تساير الاتجاه العام للدولة حتى يكونوا بمنأى عن الاضطهاد.

– يعيش معظم المسلمين في دول نامية لا تجري إحصاءات حيوية خاصة بعدد المواليد والوفيات وحالات الزواج والطلاق، وعدد أفراد الأقليّات الدينية المتنوعة.

– تتباين التعدادات التي تجريها الأقطار التي تضم المسلمين من حيث مواعيدها ودقتها وشمولية معلوماتها، وجميع هذه الأمور لا تساعد على التقديرات الصحيحة لأعداد المسلمين.

إن معرفة عدد الأقليّات المسلمة في أقطار العالم المختلفة أمرٌ بالغُ الأهمية، لأنها مؤشر ذو دلالة في مجال أعداد المسلمين وزيادتهم، سواءً أكانت هذه الزيادة وليدة النمو السكاني أم نتيجة للتحول إلى الديانة الإسلامية، وتحول الكثير من الناس خاصة الأوروبيين، وسكان أمريكا الشمالية إلى الإسلام مصدر مهم ينبغي تتبعه ودراسته بكافة الوسائل التي تمكننا من الإسهام في تنميته[1].

1 الأقليّات الإسلامية في العالم، دراسة إحصائية: www. Islam. cc

الفصل الثاني

الأقليّات الإسلامية في العصر الحديث

2

الفصل الثاني

الأقليّات الإسلامية في العصر الحديث

تتواجد الأقليّات الإسلامية في قارات العالم كافة وبنسب مختلفة عن طريق الهجرات واعتناق السكان الأصليين للديانة الإسلامية، وإن كان النوع الأخير لا يمثل الأقليّات الإسلامية الأصلية بالمعنى الدقيق من حيث الحقوق والواجبات المناطة به، وإنما التمثيل يكمن في زيادة أعداد الأقليّات المسلمة إذا ما أراد باحث إحصاءها؛ فنجد هذا الأقليّات في قارة أوروبا والأمريكيتين وقارة آسيا وأفريقيا.

المبحث الأول

الأقليّات الإسلامية في أوروبا والأمريكيتين

إن العوامل التي أدت إلى إيجاد الأقليّات الإسلامية في أوروبا والأمريكيتين تكاد تكون واحدة في المناطق المختلفة، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المسلمين بصفة عامة، وناتجة بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن ذلك التاريخ.

• أولاً: أوروبا

- ألبانيا

الشعب الألباني هو من أحفاد سكان بلاد البلقان الأصليين، ولقد اعتنقت القبائل الألبانية الديانة المسيحية في القرن الثالث الميلادي، وتجزأت بعد ذلك إلى كنيسة أرثذوكسية في الجنوب، وأخرى كاثوليكية في الشمال. وكانت ألبانيا قبل القرن الثالث عشر الميلادي تحت حكم مسيحي واحد، لكنها سرعان ما تجزأت إلى دويلات أخذت كل واحدة منها

تستنجد بالدولة العثمانية الناشئة على جارتها.

وفي عام (1430) أخذت تلك الدول المجزئة تدفع غرامة سنوية لآل عثمان أيام السلطان مراد الثاني والد محمد الفاتح. وفي عام (1478) فتح السلطان محمد الفاتح مدينة (كروج) ثم معظم الأراضي الألبانية. وكان آخر ما فتح من ألبانيا مدينة درازو التي كانت تحت الاحتلال البندقي وذلك أيام السلطان بايزيد الثاني عام 1501، فاعتنق العديد من الألبان الدين الإسلامي الحنيف، بينما هاجر بعضهم إلى إيطاليا، وبقي عدد آخر على دينهم.

وعندما تبين للألبان عجز الدولة العثمانية عام (1912) عن حمايتهم قاموا بثورة أعلنوا فيها استقلالهم برئاسة عيسى بولتين، لكن سرعان ما تعرضت لغزو مسيحي من الدول المجاورة لها، تمثل باليونان وصربيا والجبل الأسود (مونتينيغرو)، فأخذت صربيا والجبل الأسود مناطق كبيرة في الشرق والشمال هي اليوم في يوغسلافيا، وأخذت اليونان مناطق شاسعة في الجنوب بما فيها مدينة جنينة، وأجلت عن المنطقة جميع سكانها المسلمين عام (1922) في اتفاق تبادل السكان مع تركيا، أما ما بقي من ألبانيا فقد نجح الألبان في الذود عنه، وفي عام (1914) نصب الحلفاء ملكاً نصرانياً غربياً هو وليام أوف ويد، فمكث في البلاد ستة أشهر، ثم تركها لعدم تعاون السكان معه. وبقيت ألبانيا في فوضى داخلية وتدخلات خارجية متواصلة من الدول الغربية خاصة إيطاليا، إلى أن أعلنت فيها الجمهورية في كانون الثاني عام (1925) وكان أحمد زوغو أول رئيس للجمهورية الألبانية، واستقرت الأمور في أيامه إلى أن غزا الإيطاليون البلاد عام (1939) عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية، وبعد أن أجلي الإيطاليون عن البلاد عام (1944) بسنتين استحوذ الشيوعيون على الحكم وألغوا الملكية التي كان قد أعلنها أحمد زوغو عام (1928)، فأخذت ألبانيا تنأى شيئاً فشيئاً عن المبادئ الإسلامية[1].

تعد ألبانيا الدولة الوحيدة في أوروبا ذات الأكثرية المسلمة، وجميع سكان البلاد من الجنس الألباني، وبقي قسم كبير منهم خارج حدود ألبانيا في ولاية قصوة بيوغسلافيا.

وفي عام (1930) تزايدت أعداد المسلمين في ألبانيا من 6. 68 في المئة إلى 71 في المئة عام (1971)، وجميعهم على المذهب السني الحنفي، أما غير المسلمين فهم نصارى كاثوليك في الشمال، وأرثذوكس في الجنوب.

1 علي بن المنتصر الكتاني، المسلمون في أوروبا وأمريكا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2005)، ص ص110، 113.

وتوجد أعداد كبيرة من المهاجرين الألبان في البلاد العربية وتركيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا، والذين هاجروا إلى البلاد الإسلامية انصهروا مع السكان الأصليين، أما الذين رحلوا إلى بلاد غير إسلامية فقد نجحوا إلى حد ما في تنظيم أنفسهم والحفاظ على دينهم الإسلامي.

تناوبت المحن على الألبان فما إن يخرجوا من واحدة حتى يدخلوا في أخرى. حتى آلو إلى حكم شيوعي متعنت أخذ يضيق الخناق على الألبانيين، فوصل بهم الاستهتار عام (1967) إلى إعلان ألبانيا أول دولة ملحدة في العالم[1]، وأغلقت الحكومة حينئذ 169، 2 مسجد وكنيسة، وقبل ذلك كان ينظم شؤون المسلمين مفتي أعظم مقيم في العاصمة تيرانا، وكانت ألبانيا منقسمة إلى أربع مناطق دينية في عاصمة كل منطقة منها مجلس للعلماء[2].

كانت هناك ثمة جماعة مسلمة ألبانية منفصلة عن الفئات الرئيسية المسلمة الأخرى وهي جماعة البكداشية البالغ تعدادها 15% من مجموع عدد السكان هناك، وكانوا بذلك أكبر حجماً من طائفة الكاثوليك. ولعبت هذه الفئة أبرز أدوارها في ألبانيا، وبدلاً من أن تضعف إثر خروج الأتراك من البلاد ازدادت قوة.

انضمت ألبانيا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي في كانون الأول عام (1992) وأعرب بنك التنمية الإسلامي عن استعداده لتقديم العون المالي لبلد بات يعيش حالة في غاية البؤس، لكن بعض السياسيين الألبان عارض انتماء ألبانيا إلى العالم الإسلامي بدعوى أنه يجعل اندماج البلاد في منظومة الدول الغربية أكثر صعوبة، ناهيك عن أن هذا الانتماء قد تعصف منه رياح الأصولية، لكن المؤيدين لهذا الانضمام أجابوا بأنه بالرغم من أن ألبانيا تضم 70% من المسلمين إلا أنَّ الشعور الديني فيها سطحي بسبب عزلة النظام الشيوعي السابق، وأن الجميع يتفق على أنه لا مجال للخوف من تنامي الأصولية حتى مع انبعاث الروحانية والعودة إلى الدين. والأديان الإسلام والمسيحية، كما أن الدين الإسلامي والمسيحي بفرعيه (الكاثوليكية والأرثذوكسية) يتعايشان في جو من التسامح، ودلت على ذلك زيارة البابا يوحنا بولس الثاني لألبانيا[3] في 25 نيسان 1993 [4].

1 المصدر نفسه، ص114.
2 المصدر نفسه، ص115.
3 بولس الثاني: هو بابا الكنيسة الكاثوليكية منذ عام 1978 وحتى وفاته عام 2005، ولد عام 1920 باسم كارول فوتيلا في بولندا.
4 مسعود الخوند، الأقليّات المسلمة في العالم انتشار المسلمين في الدول والبلدان غير العربية وغير الإسلامية، (بيروت، 2006)،

- بلغاريا

تعد بلغاريا إحدى دول البلقان ودول أوروبا الشرقية، تطل على البحر الأسود، عُرفت باسم قبائل البلغار التي أسلم كثير منها قبل القرن الرابع الهجري، وكان على رأسها ملك مسلم يدعى الماس خان والذي طلب من الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ) إرسال بعثة إسلامية من الفقهاء والعلماء والمهندسين لإعمار بلغاريا والنهوض بها، وبالفعل وصلت البعثة إلى بلغاريا وعلى رأسها أحمد بن فضلان البغدادي وزير المقتدر، فعملت على نشر الإسلام واللغة العربية، فنبغ في بلغاريا علماء كبار منهم: يوسف البلغاري، وكانوا يجيدون اللغة العربية لغة وكتابة، وظلوا على ذلك حتى استيلاء المغول على بغداد عام (1258) فانعزلوا وتضاءل اتصالهم بالعالم الإسلامي، ثم وصلها العثمانيون وتمكنوا من فتحها زمن مراد الأول وابنه بايزيد بالتدرج، وأصبحت جزءاً من دار الإسلام وقاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية العثمانية إلى أواسط أوروبا لدحر الجيوش الصليبية من الشمال والغرب، واستمر الحكم العثماني أكثر من خمسة قرون ونصف، فانتشر الإسلام خلال ذلك بشكل كبير[1].

وفي عام (1908) انفصلت وانسلخت عن الدولة العثمانية، وشكلت مملكة قائمة بحد ذاتها، بفعل المؤامرات الأوروبية.

وخلال الحرب العالمية الأولى انضمت بلغاريا إلى الجانب الألماني، فكانت النتيجة أن تقلصت مساحتها، وانضمت أيضاً لألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فأصبحت ضمن دائرة المعسكر الاشتراكي.

تبلغ مساحة بلغاريا 928، 110 كم2 وسكانها حوالي 9 ملايين نسمة، وهم من العناصر البلغارية ممن يعودون إلى أصول تركية قديمة هاجرت إلى المنطقة، وتتحدث لغة السلاف، واعتنق أكثرهم النصرانية الأرثذوكسية حوالي عام (251هـ)، تليهم العناصر التركية حديثة الهجرة مختلطة بعناصر التتار، وأقليّات من الغجر والرومان والأرمن، و 60% من المسلمين الأتراك، و 25% من البلغار، وحوالي 15% من الغجر.

وأثناء الحرب العالمية الثانية اجتاحت القوات الروسية الأراضي البلغارية، وفي نهاية الحرب بسط الشيوعيون سيطرتهم على البلاد، وبدأت الشيوعية محاولة كسب المسلمين

ص240.

1 جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ج1، (السعودية، د. ت)، ص ص593-594.

إلى جانبها، فالغوا قرار التنصير، وأعلنوا حرية الاعتقاد، وبعد أن تمكنوا من حكم البلاد عملوا على إحياء قرار التنصير بصورة أعنف من ذي قبل، فمنعوا التعليم الإسلامي والدعوة له[1]، ونظم الكتّاب الملحدون والحاقدون على الإسلام حملات لتشويه صورته، لأنه دين الخلافة العثمانية، ووصلت بهم الوقاحة إلى إخراج العديد من الأفلام السينمائية التي صورت الإسلام والمسلمين في صورة كاذبة وواهية لا أساس لها في الواقع الإنساني، وأهملت الأقاليم الإسلامية وأفقرتها لتشيع أن الإسلام وراء التأخر والجهل.

وحُرم المسلمون من المدارس فلم تكلف الحكومة نفسها إقامة مدرسة واحدة في مناطق المسلمين، وشرع المسلمون في تعليم أبنائهم سراً في البيوت، أو إرسالهم إلى أحد العلماء لتدريسهم.

أما المساجد فقد كان في بلغاريا حوالي (1200) مسجد، وفي العهد الشيوعي أهملت هذه المساجد، وأُغلق معظمها، فصوفيا على سبيل المثال يوجد فيها ثلاثة مساجد حول أحدها إلى متحف، والثاني إلى كنيسة، والثالث أغلق وأزيلت منارته.

وقد حُرم على المسلمين ارتداء الزي الإسلامي وخاصة النساء، فلا تستطيع المرأة المسلمة أن تبتاع أبسط الحاجيات بزيها الإسلامي، ومنع المسلمون من الاحتفال بأعيادهم، ومن صوم رمضان وأداء فريضة الحج، ومنعوا من النحر في عيد الأضحى، ومن بناء مساجد جديدة، وعمدوا إلى إغلاق المسجد الذي يموت إمامه، وحظروا اقتناء المسلمين للمصاحف الشريفة، وأبعد المسلمون عن وظائف الدولة، ومُنع تسجيل المواليد الجدد بأسماء إسلامية[2].

هذا وعمدت السلطات إلى تصفية الشخصيات الإسلامية القيادية والمعارضة لأساليب الحكم الشيوعي أمثال شاعر المقاومة الإسلامي شاكر رجب الذي اغتالته المخابرات عام (1975)، واستمرت السلطات البلغارية في أساليبها الدموية، فنشرت مجلة الرسالة نداء استغاثة من مسلمي بلغاريا جاء فيه: "إن البلغاريين عملاء الروس يهدمون المساجد، ويعذبون علماء الدين، ويهدمون قبورهم، ولا يسمحون لهم بدفن موتاهم كما تأمر به الشريعة الإسلامية، ويجبرونهم على تبديل أسمائهم وأسماء أولادهم الإسلامية، ويقتلون كل من يخالفهم، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم راحوا يستولون على أراضي المسلمين، وهدفهم تجريد

1 المصدر نفسه، ص ص594-595.
2 المصري، المصدر السابق، ص ص597-598.

المسلمين المواطنين في بلغاريا من دينهم وجعلهم ملحدين شيوعيين"[1].

وعلى أثر هذا البيان وجه الدكتور عبد الله نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي نداء إلى العالم الإسلامي يهيب بالمسلمين بوجوب التحرك لإنقاذ إخوانهم المسلمين البلغاريين ممن يعيشون مأساة دامية منذ سنوات في غفلة من العالم[2].

وفي 30 حزيران (1989) أخذت تقارير رسمية تتحدث عن مائة ألف مسلم بلغاري اضطروا للفرار من بلغاريا، واتجه معظمهم صوب تركيا التي سارعت بإقامة مخيمات لاستقبالهم، وقبل يوم واحد كانت تركيا قد وجهت لبلغاريا اتهامات رسمية بأنها تمارس أعمال القمع والتمييز ضد البلغار المسلمين (معظمهم من أصول تركية). فردت بلغاريا بأن طلبت من تركيا أن تفتح حدودها لاستقبال المسلمين الراغبين في العودة إلى الوطن الأم- يقصد تركيا-، وراحت السلطات البلغارية في الوقت نفسه تدفع المسلمين البلغار صوب الفرار، وأمام الحدود المفتوحة راح عشرات الآلاف من البلغار المسلمين يتدفقون على تركيا التي استقبلتهم برحابة صدر[3].

وفي ظل هذه الظروف القاسية توصل البلغار المسلمين إلى تنظيم مجموعات إسلامية للدفاع الذاتي انضمت إلى صفوف المعارضة الليبرالية المتنامية التي أدت إلى إسقاط نظام الرئيس جيفكوف الشيوعي عام (1989)، وعاد الكثيرون إلى بلغاريا، وبدأ عدد كبير منهم يقدمون دعاوى أمام المحاكم لإعادة أسمائهم الأصلية إليهم، لكن الخلافات بين المسلمين: البوماك (المسلمون البلغاريون)، والأتراك ظلت قائمة، ولكل من المجموعتين مفتيها الخاص بها، رغم ذلك فقد تحسنت ظروف البلغاريين المسلمين بدرجات كبيرة[4].

- يوغسلافيا

تقع جمهورية اتحادية في جنوب وسط أوروبا في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان، على الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيك، وتتكون من ست جمهوريات صغيرة هي: صربيا وعاصمتها بلغراد، وكرواتيا وعاصمتها زغرب، والبوسنة والهرسك وعاصمتها سراييفو، ومقدونيا وعاصمتها سكوبيا، والجبل الأسود (مونتينيغرو) وعاصمتها تيتوجراد، وسلوفينيا

1 المصدر نفسه، ص600.
2 المصدر نفسه، ص601.
3 الخوند، المصدر السابق، ص245.
4 المصدر نفسه، ص ص245-246.

وعاصمتها لبويليانا.

تضم البلاد أكثر من عشرين قومية يتكلم كل منها لغة خاصة بها، وقد ظهرت هذه الجمهورية في أعقاب الحرب العالمية الأولى في تسوية ما بعد الحرب، واحتلها الألمان والإيطاليون أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم نالت استقلالها بعد هزيمة الألمان، واتحدت في جمهورية فيدرالية، وسيطر الشيوعيون على حكمها، ثم اتبعت سياسة عدم الانحياز ومصادقة جميع الكتل السياسية العالمية، وحكمها الرئيس تيتو[1] مدة طويلة من الزمن.

دخل الإسلام إلى هذه البلاد بعد فتح صقلية في القرن الثالث الهجري، ولكنه وصلها أكثر مع الفتح العثماني، ففي عام (1353) بدأ العثمانيون يتقدمون صوب هذه البلاد حتى عام 1452 ولما اشتدت حدة الصراع بين المذاهب المسيحية طلب البشناق (أهل البوسنة) مساعدة العثمانيين، وكان ينتشر بين البشناق مذهب البرغوميلي أو الكنيسة البشناقية، ويعارض هذا المذهبين الكاثوليكي والأرثذوكسي على حد سواء، فليس فيه تقديس البشر أو التعميد، فكان البشناق مهيئين لقبول الإسلام.

وفي عام (1463) تقدم السلطان العثماني محمد الفاتح لنجدة البشناق ففتح البلاد، وحسم الصراع بين المذاهب المسيحية، وأصبحت البلاد جزءاً من دار الإسلام، واعتنق البشناق الإسلام طواعية، وصاروا من أشد أنصاره، وشيدوا المدن ذات الطابع الإسلامي وأشهرها سراييفو.

وبعد ما ضعفت الدولة العثمانية بسطت النمسا سيطرتها على مناطق عديدة من يوغسلافيا، واستقل بعضها مثل الجبل الأسود وصربيا، واضطرت الدولة العثمانية إلى التخلي عن البوسنة والهرسك عام (1878) لإمبراطورية النمسا (المجر).

تعرّض المسلمون لموجات قاسية من الاضطهاد في عهد الحكم النمساوي، وإلى عمليات التنصير، فهاجر العديد منهم فراراً بدينهم إلى تركيا والبلاد الإسلامية الأخرى عام 1879، وفي الوقت نفسه عمدت النمسا إلى إحلال المسيح الكاثوليك محل المسلمين في البوسنة، وتعرضت المساجد إلى عمليات الهدم[2].

1 تيتو (1892–1980): رئيس جمهورية يوغسلافيا منذ عام 1953 وحتى وفاته عام 1980. شغل منصب الأمين العام لرابطة شيوعيين يوغسلافيا، قاد حرب العصابات ضد الاحتلال الألماني في الحرب العالمية الثانية.

2 المصري، المصدر السابق، ص603.

وعندما ظهرت دولة الصرب بعد الحرب العالمية الأولى بمساعدة روسيا استبشر المسلمون للتخلص من الاستعمار النمساوي، ولكن الأرثذوكس غدروا بهم بعد الاستقلال، وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا أراضيهم الزراعية وسلموها للأرثذوكس، وعملوا بالنهج النمساوي في تهجير المسلمين، وإغلاق المدارس والمساجد.

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية، وقعت مذابح بين المسلمين والأرثذوكس من جهة، والكاثوليك من جهة أخرى، ثم تسلم الشيوعيون الحكم بعد الحرب بزعامة الرئيس تيتو وكعادتهم ارتُكبت المذابح بحق المسلمين، وهدمت المساجد، وأغلقت المدارس الدينية، واستبيح المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية فقتل 24 ألف مسلم، وقتل عدد من العلماء والزعماء المسلمين[1].

وفي عام (1946) نشرت الصحف في سرايفو قانوناً بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغسلافيا، فكانت خطة الرئيس تيتو أن يقضي على جيل كامل من المسلمين.

وبعد استقرار الأوضاع أخذ المسلمون ممن بقوا تحت الحكم الشيوعي يستردون كيانهم بعد الاضطهادات التي استمرت حتى عام (1973)، إذ بدأ الانفراج فاعترفت الدولة بكيانهم في العام نفسه، وقامت جمهورية إسلامية في البوسنة والهرسك، شكل المسلمون غالبيتها، وأصبحت حرية العبادة متاحة للجميع.

وأصبح المسلمون يشكلون حوالي 20% من السكان في يوغسلافيا، نصف عددهم من البشناق، ثم يليهم الألبان، ثم الأتراك الذين قلت أعدادهم بسبب الهجرة إلى تركيا، ثم يأتي الغجر، ولكل قومية لغتها الخاصة بها.

– رومانيا

تعد ورمانيا إحدى الجمهوريات الاشتراكية في أوروبا الشرقية، تقع شمال شبه جزيرة البلقان، بلغ عدد سكانها عام (1981) 22,400,000 نسمة، وعاصمتها بخارست.

وصلها الإسلام عن طريق الدعاة الأتراك المسلمين بجهود ذاتية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري. ومن أشهر هؤلاء الدعاة: سامي سالتيك، وهاجر إليها عدد من الأتراك واندمجوا مع سكانها.

1 المصدر نفسه، ص604.

تعرّض المسلمون في رومانيا إلى شتى أنواع العذاب والاضطهاد بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى، فتناقصت أعداد المسلمين فيها.

وبعد سيطرة الشيوعيين على الحكم، واستيلاء روسيا وبلغاريا على أجزاء من رومانيا، هاجر المسلمون مرة أخرى، فوصل عددهم في عام (1971) إلى 90 ألف نسمة.

وفي عام (1981) قدرت أعدادهم بمائة ألف نسمة، من الأتراك والتتار والغجر، ويعاني المسلمون في رومانيا من المضايقات والتحديات في ظل الحكم الشيوعي[1].

لم يحدث عملياً قهر للمسلمين ممن بقوا تحت سلطة الحكم الشيوعي في رومانيا، فيما يتعلق بتدمير المساجد أو حتى إغلاقها، إذ لم يحدث مثل هكذا أمر، وقد ذكرت السلطات أنها فعلت ذلك في إطار مشاريع صناعية أو زراعية أو مدنية واسعة النطاق[2].

ومن المحتمل جداً أن يكون ما ذكرته السلطات الحكومية في رومانيا أسلوباً جديداً في محاربة المسلمين عن طريق هدم المساجد.

- بولندا (بولونيا)

تُعدّ إحدى دول أوروبا الوسطى، وقد وقعت تحت السيطرة الشيوعية منذ عام (1952)، ويشكل الكاثوليك 95% من سكانها، وهي البلد الشيوعي الوحيد الذي يعترف بالتعليم الديني.

بدأ اتصال المسلمين بهذه البلاد في القرن الثالث عشر الميلادي، عندما استعان البولنديون بالتتار المسلمين كثيراً لصد هجمات الألمان، وتكونت أول جالية إسلامية في القرن التاسع الهجري في بولندا، وفي القرن السادس عشر الميلادي تشكلت من هذه الجالية فرق من الخيالة في الجيش البولندي، ومن القادة المسلمين المعروفين في بولندا الجنرال بيالاق في القرن الثامن عشر الميلادي خلال حروب بولندا مع روسيا، وكان بجانبها دولتان إسلاميتان هما: الأولى: دولة تتار القرم وعاصمتها بغجة سراي ويطلق عليها الروس الآن سفربول، والثانية: الدولة العثمانية، وتمتعت الجالية الإسلامية باحترام ملوك بولندا وبنيت المساجد والمدارس الإسلامية وخاصة في مدينة لوبلان شرق بولندا حالياً[3].

1 المصري، المصدر السابق، ص 608.
2 الخوند، المصدر السابق، ص243.
3 المصري، المصدر السابق، ص609.

وفي عــام (1945) لم يبق من آثار المســلمين إلا مســجدين فقط على الحدود الروســية– البولندية، وعدة أحياء مســلمة تقع على الجزء الشــمالي الشرقي داخل الأراضي البولندية، أما المساجد فقد انتُزعت مع ما تبقى من أراضي المسلمين لتنظم إلى الاتحاد السوفيتي، وذلك لتغيير الحدود الشرقية بعد انتقال الأراضي الواقعة على الحدود إلى ملكية السوفيت.

وكان تعداد المسلمين في العهد الشيوعي ما يقارب 15 ألفاً فقط، وصودرت مساجدهم، وعــدت من الآثار التاريخيــة التي يجب المحافظــة عليها، وعدم اســتخدامها إلا للأغراض السياحية.

وبعد زوال الحكم الشــيوعي، سعى المســلمون إلى إعادة إحياء منظمة الاتحاد الإسلامي لعموم بولندا، وهي منظمة غير سياسية، وقد باشر هذا الاتحاد في بناء مسجد في العاصمة، وكان آخر مســجد بني في بولندا هو مسجد مدينة (غدانسك) الذي لم يُشيَّد فقط للمسلمين القاطنين في المدنية، بل أيضاً للبحارة المسلمين القادمين من شتى أنحاء العالم ممن يحطون في مرفأ المدينة[1].

وتولت المؤسســات الإسلامية الناشــطة مثل جمعية الطلبة المسلمين، والجمعية الإسلامية للتأهيل والثقافة عناية خاصــة لتعليم الدين الإســلامي واللغة العربية لأبناء المسلمين، والتحق عدد من الشــبان والشــابات من مســلمي بولندا بالجامعات والكليات الإسلامية في الخارج، وخصوصاً في الكلية الأوروبية للدراسات الإنسانية في شاتوشينون في فرنسا.

وتواصــلت هذه الجهــود وانطلقت مع انهيار النظام الشــيوعي، لكن مــع بعض العرقلة والتراجع إلى حد ما بعد تفجيرات 11 أيلول (2001) في الولايات المتحدة الأمريكية[2].

– قبرص

تنقســم جزيرة قبرص إلى قســمين: يوناني وتركي، القســم التركي هو القسم المسلم، ويحتل 2%، 37 من مســاحة الجزيرة، وســكانه من القبارصة الأتراك، لجأ نحو 200 ألف منهم إليها من القســم القبرصــي اليوناني، وبالمقابل غادر ما يقارب 180 ألف قبرصي يوناني القسم التركي[3].

1 الخوند، المصدر السابق، ص212.
2 المصدر نفسه، ص213.
3 المصدر نفسه، ص249.

فتح المسلمون العرب الجزيرة عام (649) م، وبقوا فيها حتى عام 745، وعاد إليها المسلمون من خلال العثمانيين الذين فتحوها عام (1571) فتشكلت فيها جالية تركية إلى جانب السكان المحليين الذين حافظوا على ثقافتهم اليونانية، واعترف الباب العالي بالأسقف بوصفه ممثلاً للطائفة الرومية الأرثذوكسية[1].

وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، ألغت بريطانيا السيادة العثمانية على الجزيرة، وأذعنت الجمهورية التركية لهذا الوضع عام (1924) وأعلنت الحكومة البريطانية سيادتها على الجزيرة، وضمها للتاج البريطاني عام (1925) وبقيت على حالها حتى إعلان استقلالها من السيطرة البريطانية عام (1960)، وهكذا يكون الوجود الإسلامي قد دام في قبرص 29 عاماً تحت حكم الأمويين، و 34 عاماً تحت حكم المماليك البرجية و 343 عاماً تحت حكم العثمانيين[2].

وقد سجل عام (1950) حدثين مهمين: أولهما تنظيم الكنيسة الأرثذوكسية في عهد مكاريوس الثاني استفتاءً شعبياً غير رسمي في كانون الثاني من العام نفسه كشف التعلق الشديد للقبارصة اليونان بالوحدة مع اليونان بنسبة 7%، 95، وثانيهما، انتخاب مكاريوس الثالث البالغ من العمر 37 عاماً أسقفاً للكنيسة الأرثذوكسية القبرصية. لا تكمن أهمية هذا الحدث في الدور الجوهري الذي تلعبه الكنيسة في الحياة السياسية والاقتصادية وحسب، بل وفي الشخصية الكبيرة للمطران مكاريوس، وفي تصوره لإيجاد الحلول المناسبة للمشكلة القبرصية، إذ بدأ يتجه صوب تدويل القضية من خلال طرحها على الأمم المتحدة، وعدم حصرها بالحلف الأطلسي[3]، المؤيد لبريطانيا، إلا أن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي لم يقرا حق تقرير المصير للجزيرة وشعبها، بل دعوا اليونان وبريطانيا لإجراء مفاوضات ثنائية بينهما بغية إبقاء الحل بيد الحلف الأطلسي، وأصبحت بريطانيا تميل لإرضاء طموحاتها في المنطقة وهذا أمر ليس بالبعيد أو الغريب على بريطانيا، فدعت الأخيرة إلى اجتماع ثلاثي عام (1955) يضمها واليونان وتركيا للتباحث حول مستقبل الجزيرة، وهكذا عادت تركيا بوصفها قطباً فعالاً في النزاع القبرصي، بعد أن تخلت عن أي حق لها في

1 المصدر نفسه، ص249.
2 المصري، المصدر السابق، ص137.
3 الحلف الأطلسي: حلف سياسي عسكري، أُتفق على إنشائه في معاهدة عرفت بهذا الاسم في 4 نيسان عام 1949 في مدينة واشنطن ويضم الحلف: كندا– الدنمارك– فرنسا– الولايات المتحدة– المانيا الغربية– ايسلندا– إيطاليا– اللكسمبورج– هولندا– النرويج– تركيا– البرتغال– بريطانيا– اليونان، الكيالي وزهيري، المصدر السابق، ص ص248–249.

الجزيرة بموجب معاهدة لوزان عام (1923) م[1].

ووقعت صدامات مسلحة بين القبارصة اليونان والأتراك عبر منظمتين شبه عسكريتين هي: منظمة ايوكا وتمثل الجالية القبرصية، ومنظمة فولكان للجالية التركية التي طرحت فكرة التقسيم في رد على سعي القبارصة اليونان للوحدة مع اليونان، وهذا ما استدعى إعلان حالة الطوارئ من قبل السلطات البريطانية، ونفي المطران مكاريوس إلى جزيرة سيشل عام (1955)م.

وبعد أن أثبتت جميع المشاريع البريطانية المقترحة فشلها في إعطاء قبرص استقلالاً داخلياً تحت وصايتها، تم التوصل إلى اتفاقيات زيورخ ولندن عام (1959)، التي استبعدت الحلين: الوحدة مع اليونان، والتقسيم، ونصت على إنشاء دولة مستقلة ينتمي رئيسها إلى الجالية اليونانية التي تنتخبه، ونائبه إلى الجالية التركية التي تنتخبه أيضاً، وضمان ذلك أن تحتفظ كل من اليونان وتركيا بقوات عسكرية في قبرص (900 جندي يوناني و 650 جندي تركي)[2] وانتخب مكاريوس رئيساً للجمهورية، وانتخب الدكتور فاضل كجك نائباً له.

وفي ظل هذه الظروف مال اليونانيون إلى الاستبداد بالحكم فأدى ذلك إلى استقالة الدكتور كجك، وانسحاب الأتراك من الحكومة، وقامت حرب أهلية بين الطائفتين تدخلت فيها الأمم المتحدة وتركيا لحماية المسلمين، واليونان لحماية اليونانيين القبرصيين، وهكذا أضحت مجزأة فعلياً بين الأتراك واليونانيين، ولم تحل المشكلة بل أصبحت كالنار تحت الرماد، فالأزمة ازدادت توتراً عام (1966) وكادت أن تؤدي إلى حرب بين تركيا واليونان عام (1967)، وبقي المسلمون أقلية محاصرة في قبرص تعيش في 75 وحدة إدارية محاطة باليونانيين. ولم تكن الحياة ممكنة في هذه الوحدات لولا الإعانات المالية المقدمة من الجانب التركي[3].

واستمر الأمر على حاله إلى أن قامت القوات اليونانية في الجزيرة بانقلاب ضد الرئيس اليوناني القبرصي مكاريوس في 15 تموز (1974)، وبعد مضي أيام على الانقلاب قامت تركيا بإنزال قواتها في شمال جزيرة قبرص لخشيتها من أن يبادر الانقلابيون بإعلان الوحدة مع اليونان، وراحت تدعو إلى ضرورة تقسيم الجزيرة إلى منطقتين مستقلتين مع سلطة

1 الخوند، المصدر السابق، ص250.
2 المصدر نفسه، ص251.
3 المصري، المصدر السابق، ص ص140-141.

مركزية محدودة، الأمر الذي كان القبارصة اليونان يرفضونه، ورغم قرار مجلس الأمن الدولي رقم 365 لعام (1974) المطالب باحترام سيادة واستقلال الجمهورية القبرصية، وسحب القوات الأجنبية، أعلن القبارصة الأتراك قيام الدولة القبرصية التركية الاتحادية في 13 شباط 1975.

وفي 17 حزيران (1983) صوتت الجمعية التشريعية لدولة القبارصة الأتراك في الشمال لصالح قرار ينص على إجراء استفتاء حول إعلان دولة منفصلة في الشمال، وفي 15 تشرين الثاني من العام نفسه أعلنت الجمهورية التركية لشمال قبرص، ولم تحظ هذه الجمهورية إلا باعتراف تركيا، في حين أدانها مجلس الأمن في قراره رقم 541 في 18 من الشهر نفسه، وطالب بضرورة إلغائها[1].

وفي شباط (1988) عقد لقاء في دافوس (شرق سويسرا) بين رئيس الوزراء التركي اوزال[2] ورئيس وزراء اليونان باباندريو وعدّ خطوة في طريق المصالحة، وفي بيانهما المشترك أعلنا أن المشكلة القبرصية مشكلة دولية، ويجب أن تحل في باحة الأمم المتحدة.

وضعت الأمم المتحدة خطة جديدة هدفت إلى قيام دولة فدرالية مكونة من منطقتين وطائفتين، إلا أنها فشلت كالعادة، وفي عام (1993) اتفقت اليونان وقبرص اليونانية على تبني سياسة دفاعية مشتركة محذرين من أن اي تقدم عسكري تركي في قبرص وهذا إن حدث فسيعد بمثابة إعلان حرب، وفي عام (1994) وصلت الأزمة إلى أوجها[3] باتخاذ برلمان جمهورية شمال قبرص التركية قرار تخلي القبارصة الأتراك عن فكرة إقامة اتحاد فدرالي مع الجنوب القبرصي.

وفي عام (1995) بُذلت جهود بريطانية- أمريكية لم تكلل بالنجاح، وفي 11 آب (1996) أخترق متظاهرون قبارصة يونان المنطقة العازلة الفاصلة بين شطري نيقوسيا حيث أضرموا النار في أماكن عدة احتجاجاً على وجود الجيش التركي في الجزيرة، وقتل الجنود الأتراك اثنين منهم وأوقعوا 70 جريحاً، وساد التوتر الجزيرة.

1 الخوند، المصدر السابق، ص251.

2 تورغوت أوزال (1927-1993): ولد في مدينة ملاطيا من عائلة متوسطة، نال شهادة البكالوريوس ميكانيك كهرباء من جامعة استطنبول، تقلد مناصب عدة في مديرية الكهرباء أسس عام 1983 حزب الوطن الام وتولى رئاسته، شغل منصب رئيس الوزراء من عام 1983 وحتى 1989، وانتخب رئيساً للدولة خلال 1989 حتى وفاته عام 1993، منال الصالح، نجم الدين اربكان ودوره في السياسة التركية 1969-1997، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، 2012)، ص168.

3 الاوج: حالة تطلق على القمر في موقعه عندما يكون في أبعد نقطة عن الأرض أثناء دورانه حولها.

وفي 20 كانون الأول (1996) أوضح الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي في تقرير لمجلس الأمن عن مهمة المساعي الحميدة التي قام بها في قبرص أن العمل عام (1997) على إجراء محادثات مباشرة بين قادة القبارصة اليونان والأتراك أمر مُلح ، وأن الوضع تدهور كثيراً واتسم بتنامي العنف إلى أعلى مستوياته منذ عام (1974) .

وفي عام (1997) ردت تركيا بغضب على تردد الاتحاد الأوروبي في منحها عضويته وقراره بدء مفاوضات لمنح العضوية لقبرص ، وذكر رئيس الوزراء التركي مسعود يلماظ أن بلاده ستواصل العمل على ضم الشطر الشمالي لقبرص ، وفي تموز (1998) زار الرئيس التركي سليمان ديميريل[1] الشطر التركي في الجزيرة وهدد في خطاب أمام البرلمان القبرصي التركي من أن قبرص لن تتحول إلى كريت جديدة[2] .

وفي 29 آذار عام 2004 قدم الأمين العام للأمم المتحدة كوفي انان في احتفال رسمي خطته المعدلة لإعادة توحيد الجزيرة إلى كل من المفاوضين القبارصة اليونان والأتراك ، وممثلي الدولتين اليونانية والتركية .

تألفت الخطة من تسعة آلاف صفحة وتضمنت تعديلات أساسية ، ويقوم جوهر الخطة على نظام اتحاد فدرالي بعد توحيد قبرص يكفل هامشاً واسعاً من الإدارة الذاتية للشؤون الداخلية للطائفتين .

وفي 25 نيسان (2004) جرى استفتاء الطائفتين القبرصيتين على خطة انان ، فأيدها 60% من القبارصة الأتراك ، وعارضها 76% من القبارصة اليونان .

وفي أول خطوة دبلوماسية كبرى في اتجاه القبارصة الأتراك بعد تصويتهم بـ نعم على خطة الحل الدولية ، استقبل وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كولن باول في 5 آيار 2004 محمد علي طلعت رئيس وزراء قبرص التركية الذي أكد له باول تعهد واشنطن بإخراج القبارصة الأتراك من عزلتهم ومساعدتهم اقتصادياً بعد تصويتهم لمصلحة الخطة التي

1 سليمان ديميريل: ولد عام 1924 في ولاية اسبارطة ينتمي إلى عائلة من الطبقة الوسطى ، درس الهندسة ونال شهادة الدبلوم عام 1949 ، وعمل في مجال تخصصه بعد عودته من أمريكا عام 1954 وحصوله على شهادة الاختصاص ، ويعد أول تركي ينال جائزة الرئيس الأمريكي ايزنهاور لابحاثه الناجحة في حقل التنقيب عن المياه . دخل عالم السياسة وهو في الحادي والثلاثين من عمره بانضمامه إلى حزب العدالة ، شغل منصب رئاسة الوزراء في تركيا ، وعُزل على أثر انقلاب عسكري ، الصالح ، المصدر السابق ، ص47 .

2 إشارة إلى الجزيرة اليونانية كريت التي فتحها الأتراك ، وحصلت على الحكم الذاتي ثم تمردت عام 1905 وانضمت إلى اليونان عام 1913 .

ترعاها الأمم المتحدة[1].

– اليونان

تقع جمهورية اليونان في شرق أوروبا، وفيها 150 ألف مسلم، و75% منهم يقطنون في تراقيا الغربية (تقع على الحدود مع تركيا)، ومنهم أيضاً المسلمون المعروفون باسم (البوماك) والمنحدرون من سكان تراقيا القديمة، ويرجع المؤرخون أنهم كانوا يخدمون في جيش الإسكندر الكبير[2].

أما الدين الرسمي للدولة فيعتنق اليونانيون الأرثذوكسية بنسبة 97%، ولا تتعدى نسبة المسيحيين غير الأرثذوكس 0,83% من مجموع السكان.

وفي عام (1461) تعرضت الأراضي اليونانية لغزو تركي، وفي حقيقة الأمر لم تكن اليونان تستشعر الحكم العثماني على أنه قيد خانق. فالعثمانيون قد قدموا لليونان خدمة تاريخية بوصولهم إلى أسوار فينا والغرب الكاثوليكي، إذ إنهم أخذوا بثأر القسطنطينية الأرثذوكسية التي كان الصليبيون قد نهبوها في حملتهم عام (1204)، ثم أن الأرثذوكسية اليونانية كانت تحتل بعد المسلمين المرتبة الثانية في الإمبراطورية العثمانية، وكان بطريريك القسطنطينية يشغل بعد السلطان وشيخ الإسلام، المرتبة الثالثة في هرم الدولة الرسمي، وفضلاً عن ذلك كانت اليونانية هي لغة السياسة والثقافة والتجارة في القسم الغربي من الإمبراطورية العثمانية.

بدأ المسار الاستقلالي الفعلي لليونان في عام (1820)، وفي 2 نيسان (1821) نشبت أول وأكبر انتفاضة يونانية ضد الأتراك في بيلوبونزيا (ويقال لها موري وهي شبه الجزيرة اليونانية المتصلة مع اليونان الوسطى بواسطة برزخ قورنثيا)، فردت اسطنبول بشنق البطريرك (البطريق) غريغوريوس الخامس عند باب الكنيسة في عيد الفصح.

وفي تموز (1827) عقدت معاهدة لندن بين إنجلترا وروسيا وفرنسا نصت على إقامة دولة يونانية مستقلة ذاتياً في إطار الإمبراطورية العثمانية، لكن في 20 تشرين الأول من العام نفسه دُمر الأسطول العثماني في معركة نافارين[3] الشهيرة بالبوارج الإنجليزية والفرنسية والروسية،

1 الخوند، المصدر السابق، ص254.

2 المصدر نفسه، ص255.

3 نافارين: وقعت بتاريخ 20 تشرين الأول 1827 في خليج نافارين، وتعد آخر معركة بحرية تقودها الاساطيل الشراعية، حيث ميناء يوناني صغير يقع في البحر الايوني، وقد أبادت القوات الإنجليزية والفرنسية والروسية المتحالفة الاسطولين العثماني والمصري الذين لم تقم لهما قائمة بعد هذا التاريخ، وتحولا إلى اسطولين ضعيفين ثانويين لا يحسب لهما حساب في الاستراتيجية العالمية. روبير شوسوا، المعارك البحرية الكبرى في التاريخ، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار طلاس للدراسات والترجمة

وفي 14 أيلـول (1829) وقعت معاهدة (ادرنة) ونالت اليونان اسـتقلالها الذاتي ، وعلى أثر حرب روسـية- عثمانية سـقطت ادرنة بيد الروس ، وفي 3 شـباط (1830) أعلن اسـتقلال اليونان[1] .

إن أكثر مسـلمي اليونان متمسـكون بعقائدهم وعباداتهم ويتصفون بالأخلاق الإسلامية الموروثة ، أما حالتهم الاقتصادية فضعيفة إذا ما قورنت بحالة النصارى في اسطنبول ، ويعمل أكثر مسلمي اليونان في الزراعة وتربية المواشي ، وهم في اليونان أضعف الطبقات وأفقرها ، وليس بينهم رجال أعمال في التجارة والصناعة[2] .

ويعد أحمد صـادق (1955 – 1995) زعيم الطائفة المسلمة في اليونان ونائبها في البرلمان ومؤسـس الحزب الخاص بالمسلمين الأتراك في إقليم تراقيا الغربية اليوناني ، وعندما جاء دوره ليقسـم اليمـين القانونية في البرلمان الذي يتضـمن الولاء والاخلاص لليونـان ، رفض أحمد صـادق أداء القسم لأنه يعارض وحقيقة انتمائه إلى أقلية لا تشعر بالولاء سوى للأمة التركية ، وراحت وسـائل الاعلام تتهمه بالخيانة ، وتدعو إلى طرده من البرلمان ، وشكل أحمد صادق مصـدر قلق ، خاصـة عندما نجح في تدويل قضية الأقلية المسـلمة ونقلها إلى المحافل الغربية ، وكان دائم الذهاب إلى أنقرة للتشاور مع زعمائها ، وأدرج أوضاع مسلمي اليونان في جداول اجتماعات جلسات البرلمان الأوروبي والمجلس الأوروبي ، وكان أبرزها تضمين تقرير وزارة الخارجية الأمريكية فقرة خاصة بمسلمي تراقيا الغربية اليونانية في تقرير عام (1990) [3] .

سـعى أحمد صـادق إلى توثيق العلاقات مع الأقلية المسـلمة المتواجدة في بلغاريا ، وهذا ما أثار مشـاعر اليونانيين ، إذ إن مسـلمي بلغاريا ينتشرون على حـدود اليونان وتراقيا الغربية ويشـكلون مع الأخيرة إقليماً واحداً ، وكان لهذه القضـية أثراً مضـاعفاً عندما أنهى النظام الشـيوعي في بلغاريا ، وحل محله نظام ديمقراطي أفسـح المجال للأقلية المسـلمة البلغارية أن تلعب دوراً يناسـب ثقلها النسـبي لمجموع السكان . وخشيت اليونان من إقامة تحالف إقليمي بين الأقليّات المسلمة في البلقان برعاية تركيا ، وأدرك صادق أن الوزن الاجتماعي والسكاني لطائفته لا قيمة له في اليونان ، لذلك ركز على تعويض هذا الضعف بعوامل قوة أخرى منها: الأهمية الأمنية للمنطقة التي تتواجد فيها الأقلية المسلمة ، فهي على مقربة من الحدود التركية ،

والنشر ، (دمشق ، 1988) ، ص319 .

1 الخوند ، المصدر السابق ، ص256 .
2 الكتاني ، المصدر السابق ، ص ص148-149 .
3 الخوند ، المصدر السابق ، ص257 .

وعلى مقربة من مقدونيا التي استقلت حديثاً عن يوغسلافيا .

وحتى لا يكون تركيزه على البعد الديني عامل ضعف أهمل صادق الهوية الإسلامية ، وشدد على الهوية القومية التركية ، وهو ما أكسبه تأييد العديد من المنظمات والتيارات الأوروبية ، غير أنه أضعف التأييد له داخل تراقيا نفسها ، حيث توجد فئات مسلمة ليست تركية الأصل ، إلا أن صادق كان مدركاً لهذه النقطة وكان يدافع عن نفسه بقوله: "نحن أتراك أولاً" ، وفي 3 آب (1995) قضى أحمد صادق نحبه في حادث سيارة[1] .

– إيطاليا

تشير التقديرات في ظل غياب الإحصاءات الرسمية إلى وجود ما يقارب 250 ألف مسلم من إجمالي عدد السكان البالغ عددهم نحو 58مليوناً 99% منهم على المذهب الكاثوليكي ، وتظهر أن نسبة مسلمي إيطاليا متواضعة إذا ما قورنت مع العديد من دول الاتحاد الأوروبي ، ويعزى ذلك إلى تفضيل دول أوروبية أخرى على إيطاليا في مستوى الرفاهية وفرص العمل ، وكانت التجربة الاستعمارية الإيطالية محدودة بالمقارنة مع نظيراتها الأوروبية ، وما يجدر ذكره أن السلطات الإيطالية لم تعترف بعد بالدين الإسلامي ، وهذا ما يشكل قضية كبرى تشغل اهتمام اتحاد الهيئات والجاليات المسلمة المتواجدة في إيطاليا منذ تأسيسه ، وكان الاتحاد قد تقدم بطلب رسمي لنيل الاعتراف عام(1990) ، وفي عام (1999) جرى تشكيل إطار تمثيلي شامل للأقلية المسلمة هو (المجلس الإسلامي الإيطالي) .

وتضم إيطاليا حالياً 400 مسجد ومركز ومصلى تقام فيها الشعائر الإسلامية والصلوات الجامعة ، أما عن نشأة الوجود الإسلامي الحديث في إيطاليا فإنه يأتي في سياق الهجرات المسلمة في بداية القرن العشرين وكان الطلبة العمود الفقري لهذه الهجرات وخاصة من دول المشرق العربي ، ومن ثم يأتي العمال بحثاً عن فرص عمل لهم في إيطاليا وخاصة من دول المغرب العربي . وتمثل الجالية المغربية الأكثر عدداً في إيطاليا[2] .

– فرنسا

فرنسا جمهورية رئاسية في غرب أوروبا ، ونظام الحكم فيها برلماني ، ورئيس الجمهورية مسؤول أمام مجلس النواب والشيوخ ، وينتخب رئيس الجمهورية انتخاباً مباشراً وله

1 المصدر نفسه ، ص357 .
2 الخوند ، المصدر السابق ، ص202 .

صلاحيات ومسؤوليات واسعة.

عندما فتح المسلمون الأندلس بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد -رحمهما الله- أخذوا يفكرون في الرجوع إلى الشرق عن طريق أوروبا لكن الخليفة الأموي عارض ذلك خوفاً على المسلمين. ولم يمنع ذلك ولاة الأندلس من إرسال بعثات استكشافية للاطلاع على الأرض الكبيرة، وهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على البلاد التي تسمى اليوم فرنسا[1].

إن معظم سكان فرنسا من الكاثوليك، ويوجد فيها حوالي مليون بروتستانتي، وتعترف الحكومة الفرنسية بحرية الأديان داخل حدودها[2].

بدأت الهجرة الإسلامية إلى فرنسا في أوائل القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الأولى تضاعفت أعداد المسلمين القادمين من الشمال الأفريقي بصورة كبيرة لحاجة فرنسا إلى اليد العاملة بعد خسارتها في الحرب وبعد عام (1920) وصل عدد المسلمين في فرنسا إلى 000، 100 شخص لأول مرة.

وعندما نالت الجزائر استقلالها عام (1962) هاجر إلى فرنسا ما يقارب 000، 300 مسلم ممن عارضوا حرب التحرير، وتزايدت الهجرة بصفة كبيرة بسبب تقدم اقتصاد فرنسا وحاجتها إلى اليد العاملة[3].

أصبح المسلمون يشكلون في فرنسا 9%، 3 من مجموع السكان، وهم الجالية الثانية في أوروبا من حيث العدد بعد جالية يوغسلافيا. وأكثر هؤلاء المسلمين من الطبقة العاملة، ويوجد في فرنسا أكثر من عشرة آلاف طالب مسلم. ورغم ارتفاع نسبة المسلمين في فرنسا إلا أن حالتهم سيئة بدرجة كبيرة، إذ أن ما يزيد على النصف مليون من المسلمين ممن يحملون الجنسية الفرنسية ليست لهم الحقوق الدينية التي يتمتع بها الفرنسيون الآخرون[4].

وفي 10 شباط (2004) أقرت الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) بشبه إجماع أعضائها مشروع قانون حظر الحجاب، والعلامات الدينية الظاهرة في المدارس العامة (صوناً لعلمانية الدولة)، وصدر القانون في 15 آذار من العام نفسه.

وهذا ما أثار الاحتجاجات بين مسلمي فرنسا إزاء هذه السياسة، وخاصة بعد ما ظهر ما

1 الكتاني، المصدر السابق، ص197.
2 المصدر نفسه، ص197.
3 المصدر نفسه، ص200.
4 الكتاني، المصدر السابق، ص202.

سماه البعض بالخطر الإسلامي على علمانية البلاد، ورد العديد من الإسلاميين في فرنسا على ذلك معتبرين أنه خطر وهمي لا أساس له من الصحة.

ونشر الكاتب والصحافي المتخصص في الشؤون الإسلامية اكسفيان مقالاً في جريدة اللوموند الفرنسية في تموز (2003) جاء فيه: "إن الجدل الذي ثار مؤخراً حول إمكانية تعرض العلمانية للخطر ليس صحيحاً كما يدعي البعض"[1].

وعلى طريق ازدياد القناعة لدى السلطات الفرنسية، جاء الاعتراف بالدين الإسلامي على غرار المسيحية واليهودية، وذلك بأمرين مهمين: ضرورة وإمكانية اندماج المسلمين مع مبادئ وقوانين الجمهورية الفرنسية العلمانية الحاضنة للاختلافات وللتعددية الثقافية من جانب، وقدرة هذه الجمهورية على قبول الاختلاف الثقافي الإسلامي من جانب آخر.

وفي تقرير أعدته الاستخبارات الفرنسية جاء فيه: ان ظاهرة الطائفية آخذة في التنامي في الأحياء التي يقطنها المسلمون، ووصفها بأنها بؤر تنشط فيها جماعات إسلامية تقدم الهوية الإسلامية كمخرج بعد فشل سياسة الاندماج، وتفشي التمييز ضد المسلمين بحسب التقرير.

وجاء في تقرير الاستخبارات الفرنسية الذي نشرت صحيفة اللوموند أجزاء منه في 6 تموز (2004): أن ما يسمى بالأحياء الساخنة المنتشرة حول المدن الفرنسية والتي تقطنها غالبية من المهاجرين المسلمين أصبحت تشكل مرتعاً للانعزال الطائفي.

وذكر التقرير أنه اعتمد على 8 مقاييس في تحديد درجة الانعزال الطائفي، وأن 300 من بين 630 حياً ساخناً في أنحاء فرنسا برزت فيها علامات للانعزال الطائفي والمقاييس الثمانية هي:

- عدد العائلات المهاجرة المجتمعة في منطقة واحدة.
- مدى ممارسة التعدد في الزواج الذي يحظره القانون الفرنسي.
- مدى انتشار التجارة الطائفية (المعروفة باسم التجارة الحلال بين المسلمين).
- مدى حضور الجمعيات المسلمة وتنامي أعداد المساجد وارتداء الحجاب الدالة على الهوية الإسلامية، ووجود الكتابات المعادية للسامية وللغرب عموماً على جدران بعض الأحياء، ووجود حضانات ونوادي أطفال خاصة بالمسلمين.

1 الخوند، المصدر السابق، ص205.

وعدّ التقرير أنه: "إذا اجتمعت جميع هذه المقاييس في حي ما، فإنه يصنف ضمن الأحياء التي تتنامى فيها الطائفية".

ورغم ذلك فقد اعترف التقرير بأن الكثير من مظاهر الانعزال الطائفي التي يعيشها المسلمون في فرنسا إنما مرجعه إلى شعورهم بالعنصرية والتمييز ضدهم، الأمر الذي يدفعهم صوب رفض الهوية الغربية الجديدة[1].

- إسبانيا

إن أعداد المسلمين في إسبانيا غير مؤكدة لغياب الإحصاء الرسمي، لكن الاتحاد الإسباني للجماعات الإسلامية يقدر عددهم ما بين 600 إلى 700 ألف مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم 40 مليون نسمة، غالبيتهم الساحقة على المذهب الكاثوليكي. منهم نحو 200 ألف مسلم ولدوا وهم يحملون الجنسية الإسبانية أو لأبوين مسلمين، يتمركزون في المدن الكبرى مثل مدريد وبرشلونة وفالنسيا.

خضعت شبه الجزيرة الإيبيرية للدولة الإسلامية بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد، وأخذت الهجرة الإسلامية تنتقل إلى الأندلس بأعداد صغيرة قادمة من المشرق العربي، وأعداد كبيرة من المغرب العربي، وكثرت أعداد المسلمين، وارتفعت نسبتهم بين السكان باعتناق الأهالي الإيبيريين الدين الإسلامي، وعندما قدم القائد المسلم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس كانت أعداد المسلمين في تزايد مستمر.

وتعاقبت الأسر الإسلامية ودولها في حكم الأراضي الإسبانية، وعندما وقعت مدينة غرناطة آخر المعاقل الإسلامية في قبضة المسيحيين، الإسبان عام (1492)م عقد هؤلاء معاهدة مع المسلمين يلتزمون فيها باحترام دينهم ومعتقداتهم، لكن عندما استتب الأمر لهم نقضوا العهود، وأجبروا المسلمين على التنصير[2]. ، وأطلق على المسلمين الذين حافظوا على إسلامهم بعد سقوط غرناطة بالمورسكيون، وقد أطلق عليهم منذ عام (1570) بشكل واسع[3]، وهم الذين اعتادوا على أن يقولوا "بسم الله" عند بدء العمل، وعند الخروج من المنزل، وفي بداية تناول الطعام[4].

---

1 المصدر نفسه، ص ص208-209.
2 المصدر نفسه، ص198.
3 مرثيديس ارينال، محاكم التفتيش والمورسيكيون، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، 2004)، ص49.
4 المصدر نفسه، ص71.

توجد معاهد للدراسات العربية في بعض الجامعات الإسبانية أمثال غرناطة وبرشلونة، وقد ترجم أحد أساتذة جامعة برشلونة معاني القرآن إلى اللغة الإسبانية وقد احتوت الكثير من المغالطات التي تحاول تشويه صورة الإسلام[1].

بعد تحول إسبانيا قبيل وفاة الجنرال فرانكو (1892–1975) [2] إلى النظام التعددي الديمقراطي، وإلى دولة علمانية غير دينية طبقاً لدستور عام (1978)، بدأت السلطات الإسبانية تتخذ خطوات واسعة صوب تحرير الحياة المدنية من سيطرة الكنيسة الكاثوليكية، وبدأت بالاعتراف بحرية ممارسة شعائر الديانات الأخرى، فانتشرت المساجد وأصبحت أكثر من 300 مسجد، بعضها يمتد نشاطه إلى أبعد من إقامة الصلاة والاحتفالات الدينية الموسمية، وتحولت إلى مراكز ثقافية إسلامية حقيقية[3].

– **ألمانيا**

يبلغ عدد المسلمين في ألمانيا حسب الإحصاءات الرسمية، ما يقارب ثلاثة ملايين نسمة من إجمالي تعداد الألمان البالغ نحو 5، 82 مليون نسمة 37% بروتستانت، و35% كاثوليك، و28% غير منتمين لطائفة معينة.

والغالبية العظمى من المسلمين المتواجدين في ألمانيا ينتمون إلى المذهب السني، وما يتبقى منهم فينتمون إلى المذهب الشيعي.

يرجع تاريخ وجود المسلمين في ألمانيا إلى القرن الثامن عشر، أي إلى العهد القيصري وكانت علاقاتها مع السلطنة العثمانية آنذاك، غير أن أعدادهم كانت صغيرة جداً، وخلال الحرب العالمية الأولى أضيف إلى تلك الأقلية المسلمة 15 ألف أسير حرب مسلم أقاموا في برلين.

يعد المجلس الإسلامي أكبر تنظيمات المسلمين في ألمانيا، ومقره مدينة بون، والمجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، وهما اتحادان لعدد من الجمعيات الإسلامية، والمراكز الثقافية الإسلامية، وأكبر اتحاد للجمعيات التركية هو الاتحاد التركي الإسلامي الذي تأسس في مطلع الثمانينات من القرن العشرين، من أجل الدفاع عن حقوق العمال الأتراك المقيمين في

1 الكتاني، المصدر السابق، ص186.

2 فرانكو (1892–1975): قائد عسكري تولى رئاسة إسبانيا منذ عام 1936، حتى وفاته عام 1975 وصل إلى السلطة بعد الحرب الأهلية الإسبانية (1936–1939).

3 الخوند، المصدر السابق، ص198.

ألمانيا .

وبعـد تفجيرات 11 أيلول (2001) في الولايات المتحدة الأمريكية ، ازداد الضغط على المسلمين في العالم أجمع ، وخاصة على الأقليّات المسلمة في البلدان غير الإسلامية ، ولقياس درجة استعدادهم من أجل التعايش السلمي والاندماج ، قامت إحدى المنظمات الإسلامية في ألمانيا بنشر إعلان أطلقت عليه "ميثاق إسلامي" في شباط (2002) كمبادرة حسن نية إزاء المجتمع الإسلامي الألماني والإعلان عن الاستعداد الكامل للاندماج .

سعى الميثاق الإسلامي إلى توضيح علاقة المسلمين المقيمين في ألمانيا بالديمقراطية والتعددية وحرية الاعتقاد . وأعلن المجلس الإسلامي عن تأييده لهذه المبادرة وعدّه الكثيرون أولَ وثيقة من نوعها في أوروبا ، وكانت ردود فعل الأحزاب والكنيسة في ألمانيا إيجابية إزاء الوثيقة ، رغم أن البعض انتقد الميثاق بأنه "ميثاق الغموض والأبواب الخلفية" .

- أوروبا الشمالية (الدنمارك- فنلندا- السويد)

قليلة هي أعداد المسلمين في شبه جزيرة الدنمارك ، وغالبية الهجرات المسلمة بدأت منذ تسعينيات القرن العشرين ، يعتنق 97% من سكان الدنمارك المذهب البروتستانتي اللوثري ، والباقون كاثوليك وأديان أخرى .

وفي نيسان (1996) قررت الدنمارك تعزيز ما أطلق عليه اسم المبادرة الإسلامية والتي كانت السويد قد أطلقتها منذ عام (1995) وذلك بتنظيمها لمؤتمر سياسي- فكري في العاصمة الدنماركية كوبنهاغن (معناها ميناء الصيادين) ، ناقش عدداً من التحديات والإشكاليات المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي والتي تؤثر على البلدان الأخرى ، وركز بصفة خاصة على الفرص المتوافرة منذ نهاية الحرب الباردة بانهيار الاتحاد السوفيتي عام (1991) لقيام شراكة متوسطية- أوروبية واسعة النطاق[1] .

بدأت أولى الهجرات الإسلامية إلى الدنمارك منذ عام (1968) وكان المسلمون وقتئذ يعدون بالمئات فقط ، وقبل ذلك كان المجال متاحاً للقاديانيين يضللون باسم الإسلام كيفما يشاءون .

ويقدر عدد المسلمين في الدنمارك في عام (1971) بحوالي ستة عشر ألف مسلم من أتراك

1 الخوند ، المصدر السابق ، ص183 .

وباكستانيين ويوغسلافيين وألبانيين وعرب، وأغلب هؤلاء عمال والقليل منهم تجار.

شعر الدنماركيون بالوجود الإسلامي أول مرة عندما سمحت بلدية كوبنهاغن بإقامة صلاة عيد الأضحى في بداية العقد السابع من القرن العشرين في إحدى قاعاتها العامة، فحضر الصلاة ستة آلاف مسلم، وكان منظراً مؤثراً في بلد أصبحت فيه الإباحية أمراً مألوفاً، ثم عين المسلمون لجنة لتأسيس مركز إسلامي لجمع شتات المسلمين والمطالبة بحقوقهم من الحكومة، والاعتراف بالإسلام، والتعليم الإسلامي للمسلمين في المدارس العامة[1].

ومع مطلع عام (1996) اختيرت كوبنهاغن عاصمة الثقافة في أوروبا في إطار التقليد الذي سنّته المجموعة الأوروبية منذ عام (1985)، وفي هذا الإطار تميزت الفعاليات الفنية والأدبية والثقافية التي قامت بها كوبنهاغن باشتمالها على اهتمام متميز بالحضارة الإسلامية والثقافة العربية قديماً وحديثاً[2].

وفي فنلندا التي استقلت عن روسيا عام (1917) فضل المسلمون الجنسية الفنلندية، وقرروا تنظيم شؤونهم هناك فانتخبوا هيئة إسلامية ترعى مصالحهم وطالبوا الدولة الفنلندية بالاعتراف بالإسلام كأحد الأديان المتواجدة في فنلندا، وبالفعل اعترفت الدولة بالجالية الإسلامية بصورة رسمية في نيسان (1925).

يبلغ عدد المسلمين في فنلندا ما يقارب 22 ألف مسلم، فقد نزح بعض مسلمي تركيا إلى فنلندا منذ نهاية القرن التاسع عشر، إلا أنهم اندمجوا في المجتمع الفنلندي.

تتواجد في فنلندا أكثر من عشرين جمعية أو منظمة إسلامية، وفي العاصمة (هلسنكي) أربعة مساجد، ولا تقوم الجالية الإسلامية في فنلندا بالدعوة إلى الإسلام، ولكن همهما هو الحفاظ على الإسلام بين ثنايا ناشئتها.

وحال المسلمين في فنلندا جيدة من الناحية المادية إلى حد ما، إذ إنهم جميعاً مثقفون، وأغلبهم تجار ورجال أعمال، وهم أكثر تنظيماً من أية مجموعة إسلامية في أوروبا، والإسلام معترف به في فنلندا وليس هناك أي اضطهاد من جانب الحكومة التي تعد من أفضل الحكومات الأوروبية معاملة للجالية الإسلامية المتواجدة ضمن حدودها.

أما السويد فتعود العلاقة بينها وبين المسلمين إلى الزمان الذي كان يشكل فيه المسلمون في

1 الكتاني، المصدر السابق، ص ص292-293.
2 الخوند، المصدر السابق، ص183.

آسيا والشرق الأوسط حلقات الوصل الرئيسة بين الشرق والغرب، وكان الفايكنغ في السويد يقومون برحلات بعيدة وواسعة في سفنهم، فاحتكوا بالتجار المسلمين في آسيا الوسطى.

وصلت أول موجة صغيرة من المسلمين إلى السويد عام (1949) مع قدوم بضعة آلاف من التتار قادمين من الاتحاد السوفيتي، وفي عام (1951) صدر قانون يضمن الحرية التامة لممارسة الشعائر الدينية، وفي عام (1994) حصلت الجالية التركية على إذن لبناء مسجد لها على أرض خارج العاصمة استوكهولم.

وحالة المسلمين في السويد سيئة إلى درجة كبيرة، فهم مجزؤون بسبب توزعهم على مناطق مختلفة، وانتمائهم إلى مجموعات لغوية متباينة، وبسبب ذلك لم يعد بإمكانهم جمع صفوفهم والمطالبة بحقوقهم.

والإسلام في السويد غير معترف به، بينما تعترف الحكومة السويدية باليهودية والمذهب الكاثوليكي، وتساند الدولة دينها الرسمي المسيحي على المذهب البروتستانتي اللوثري مساندة كاملة[1].

- بريطانيا

تبلغ أعداد المسلمين في بريطانيا بحسب إحصاء أُجري فيها عام (1971) بمليون مسلم، نصفهم على الأقل حاصل على الجنسية البريطانية، معظمهم قدموا من البلدان الإسلامية.

وتوجد جالية إسلامية قديمة في مدينة كارديف، وغالبية المسلمين في بريطانيا من أصل هندي وباكستاني، ويوجد أتراك من قبرص وعرب من فلسطين والعراق وغيرها من البلدان العربية[2].

ينتشر المسلمون في مناطق ومدن عديدة في بريطانيا، ويوجد في لندن ومقاطعاتها أكبر تجمع للجالية المسلمة، وفي برمنجهام ومانشستر وغيرها من المدن البريطانية، ويوجد في اسكتلندا أكثر من 25 ألف مسلم منتشرين في العديد من مدنها، ومعظم المسلمين يعملون في القطاعات الصناعية مثل صناعة الغزل والصناعات المعدنية، وبعض الخدمات الشاقة، والقليل منهم يزاول التجارة، ويوجد حوالي 10 الآف من الأطباء المسلمين، ومن 15-17 ألف في

1 الكتاني، المصدر السابق، ص288.
2 المصدر نفسه، ص288.

مجال التعليم، وما يقارب 20 ألف من المهندسين والعلماء[1].

كانت لبريطانيا صلة بالحروب الصليبية في بلاد المشرق العربي، وهكذا بدأ أول احتكاك بالمسلمين، ولكن الاتصال الفعلي جاء في العصر الحديث عندما كانت الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية تحتل أراضي العديد من الشعوب الإسلامية، وهكذا بدأت علاقة الإنجليز بالمسلمين، وهذا ما خلق الهجرات من المستعمرات التابعة لبريطانيا إلى المملكة المتحدة، ومن أوائل الهجرات جماعات من عدن عملوا في المهن البحرية، فوصل عدد منهم في عام (1871) واستقرت الهجرة في مدينة كارديف.

وقد وصل عدد المسلمين في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى أكثر من مائة ألف مسلم، وعندما ازدادت حاجة بريطانيا للأيدي العاملة ازدادت هجرة العمال المسلمين إليها، فوصلتها أعداد غفيرة من المهاجرين قادمة من البلدان الإسلامية وبلدان الأقليّات المسلمة، وعندما تضخمت الهجرة إلى بريطانيا، أصدرت الأخيرة عدة قوانين للحد من تدفق المهاجرين إليها، فصدرت قوانين في عام (1965) و(1968) و(1977)، وقد وصل عدد المسلمين هناك إلى أكثر من مليون في عام (1971)[2].

يوجد في بريطانيا الكثير من المساجد يربو عددها على 300 مسجد ومصلى، موزعة في أنحاء بريطانيا كافة، وفي عام (1973) تشكل مجلس أوروبا الإسلامي الذي يهدف إلى مساندة الجمعيات التابعة إليه في نشر الدعوة الإسلامية، وإقامة المؤسسات الإسلامية، وكذلك إنشاء مركز إعلامي يشمل نشاطه أوروبا وبريطانيا[3].

• ثانياً: الأمريكيتان

– الولايات المتحدة الأمريكية

ينقسم تاريخ هجرة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية إلى عدة مراحل هي:

المرحلة الأولى: كانت بداية الوصول المبكرة مع الكشف الإسباني بقيادة الملاح الجنوي كريستوفر كولومبوس (1451–1506) لسواحل أمريكا الشمالية، إذ كان من بين الإسبان بعض المسلمين المورسيكيين أمثال ستيفانو، ممن احتفظوا بإسلامهم سراً أمام تحديات محاكم

1 سيد عبد المجيد بكر، الأقليّات المسلمة في أوروبا، (د. م، د. ت)، ص253.
2 المصدر نفسه، ص ص252–253.
3 المصدر نفسه، ص ص259–260.

التفتيش الإسبانية التي نقلها الإسبان إلى العالم الجديد، غير أن هذا الوصول كان ضعيفاً بحيث لم يترك آثاراً تذكر، وحددت بداية هذا الوصول المبكر للمسلمين عام (1539) عندما وصل أول مسلم كدليل لاكتشاف أريزونا.

المرحلة الثانية: ممثلة في وصول المسلمين الأفارقة، الذين جلبهم تجار الرقيق الأوروبيون قادمين من غرب أفريقيا، وعندما وصل هؤلاء إلى الولايات المتحدة الحالية اجبروا على التخلي عن أسمائهم وثقافتهم ولغتهم وعقيدتهم، ولم يكن باستطاعتهم بناء المساجد أو إنشاء المؤسسات الإسلامية كالمدارس، لذلك خرج الجيل الجديد ضائعاً، وأمام هذه التحديات كان من الصعب تقدير أعداد المسلمين بين الرقيق الأفريقي.

المرحلة الثالثة: جاءت بعد ذلك الهجرة الإسلامية الحديثة إلى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر قادمة من الشرق الأوسط من تركيا ولبنان وفلسطين وسوريا ثم من يوغسلافيا وروسيا وألبانيا وبولندا، غير أن بعض هؤلاء انصهروا في المجتمع الأمريكي لأن العديد منهم استغلوا بوصفهم عمالاً ومزارعين، ولم يشكلوا مجتمعاً مميزاً، وكان الزواج المختلف واحداً من أسباب الانصهار، إن انقطاع المهاجرين عن وطنهم الأم كان سبباً يضاف إلى باقي الأسباب المؤدية إلى الاندماج والذوبان.

ازداد تدفق الهجرة الإسلامية إلى الولايات المتحدة في مستهل الحرب العالمية الأولى، وما بعدها، ثم ازدادت الهجرة بعد الحرب العالمية الثانية، وجاءت الطفرة في الهجرة بعد تعديل قانون الهجرة بالولايات المتحدة عام (1965).

ولا يوجد إحصاء دقيق عن أعداد الأقليّات المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت هناك محاولات قام بها الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة لإجراء إحصاء لأعداد الأقلية المسلمة، ولكن هذا الإجراء لم يكتمل، وحاول مجلس الكنائس العالمي تقدير أعداد الأقلية المسلمة في الولايات المتحدة لكنه لم يعطِ تقديراً واضحاً وذلك في عام (1980)، في حين ذكر المركز الإسلامي في واشنطن أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة يصل إلى 000، 160، 1 مسلم عام (1979)، وبعض الباحثين قدر عددهم بـ مليونين[1].

وجاء في منشورات المجلس الإسلامي الأمريكي أن عدد المسلمين في الولايات المتحدة

1 المصدر نفسه، ص ص22–25.

بلغ خمسة ملايين، وسبعة ملايين عام (1996)، وثمانية ملايين عام (1999)، وفي عام 2000 قُدرت أعدادهم بعشرة ملايين.

ثمة أسباب ثلاثة لغياب ضبط العدد بدقة كبيرة: الأول، عدم الاحتفاظ بسجلات في مصدر واحد، الثاني، عدم احتفاظ مسؤولي المساجد عادة بسجلات عن المسلمين، والثالث، عدم السماح لمكتب إحصاء السكان الأمريكي بأن يطلب من المواطنين تحديد انتمائهم الديني[1].

والتقديرات الإحصائية لتوزيع المسلمين في الولايات المتحدة على أساس إثني تدور حول النسب التالية: 32% من جنوب شرق آسيا، 26% من العرب، 20% من الأفارقة (السود)، 7% أفارقة، 14% من جنسيات أخرى.

ويوجد في الولايات المتحدة نحو 1750 مسجداً، موّلتها بشكل أساسي ورعت إنشاءها المملكة العربية السعودية، وليبيا، والكويت، والإمارات العربية المتحدة. والمساجد في الولايات المتحدة حديثة نسبياً إذ إن ثلثها أسس في التسعينيات من القرن العشرين، وتقوم هذه المساجد بنشاطات الدعوة لغير المسلمين منها: زيارة مدارس وكنائس لتقديم الإسلام والتعريف به، والاتصال بالصحافة والسياسيين، والمشاركة في حوار الأديان. وتعد معدلات اعتناق الإسلام قبل تفجيرات 11 أيلول (2001) في الولايات المتحدة عالية جداً، ففي المتوسط يعتنق 16 شخصاً الدين الإسلامي في كل من مساجد الولايات المتحدة كل سنة.

المسلمون السود الأمريكيون

– جماعة أمة الإسلام: يذكر المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي (188–1975): "ان خيبة أمل السود – حين وجدوا أن الوحدة الدينية التي تجمعهم مع البيض لم تحمهم من المهانة وظلم التفرقة – كانت سبباً في إقبالهم على الإسلام سعياً منهم إلى نِعم المساواة".

رُسّخ الإسلام في نفوس السود الأمريكيين في مطلع القرن العشرين وتوحدوا في إطار تنظيمي عام هو "أمة الإسلام"، وذلك بدءاً من العام (1913)، بقيادة الدور علي[2] الرجل

1 الخوند، المصدر السابق، ص135.
2 الدور علي: اسمه تيموثي دور ولد عام 1886 في ولاية كارولينا الشمالية.

المسلم الأسود ثم خلفه فراج محمد[1]، ثم جاء بعده إيليا محمد وانتهج نهج فراج في معاداة الرجل الأبيض وفي خلط الدين بالأسطورة والقومية، وقد نجح في قيادة الجماعة حين وحد الفصائل المورية (مور بمعنى المغاربة) التي تبعثرت بموت الدور علي، وأنشأ جناحاً عسكرياً أسماه (تمرد الإسلام) وزاد أتباعه من السود، ورفض انضمام البيض إلى جماعته حتى وأن كانوا من المسلمين.

استفاد إيليا محمد من حركة الصعود السياسي التي اجتاحت العالم الشرقي الذي ضم بين طياته الجنس الأصفر والأسود في مواجهة الجنس الأبيض المتمثل بالاستعمار إبان حقبة التحرر في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ومن أشهر ما كان يركز عليه في خطابه: "أنها كراهية تولدت من كراهية. . . . "[2].

بهذه الصورة استمرت الثقافة السياسية في ظل قيادة إيليا حتى نهاية الستينيات، وزاد من حدة خطابه فطالب بإنشاء وطن للسود على أرض إحدى الولايات المتحدة. فتزايد أنصاره، ونمت ثروة الجماعة، وقوي جناحها العسكري.

أما مالكولم اكس[3] المسلم الأمريكي الأسود فقد وضع على رأس اهتماماته تعزيز كرامة السود، وصاغ مفاهيماً حول القومية السوداء، دخل مالكولم السجن وهو في الحادية والعشرين من العمر بتهمة الاختلاس، وفي السجن وبعد احتكاكه مدة سبعة أعوام بمسلمين سود اعتنق مالكولم الإسلام، وراح يلقي سلسلة من المحاضرات في أنحاء البلاد، وبعدها عين مالكولم إماماً للجامع السابع في نيويورك، إذ كان لمحاضراته الكثيرة وقع عميق في نفوس السود، وبعد تصريحاته حول اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي (1917–1963) عام (1963) والتي قال فيها: "إن اغتيال كينيدي هو وضع الأمور في نصابها".

وفي آذار (1964) أعلن مالكولم عن تأسيس تنظيم ديني أطلق عليه "الجامع الإسلامي" يهدف إلى النضال ضد الاستغلال الاقتصادي والسياسي، والوضع الاجتماعي المتدهور في أمريكا السوداء، وفي أواخر أيامه أسس منظمة من أجل الوحدة الأفريقية– الأمريكية، وأدى فريضة الحج، وبعدها تخلى عن نزعته التعصبية للسود، واستمر داعياً إلى استعمال

1 فراج محمد: في عام 1930 ظهر في ديترويت وأثار شكوكاً عديدة حوله حتى تأكد أنه مبشر مسلم شديد التعصب لدينه.
2 الخوند، المصدر السابق، ص138.
3 مالكولم اكس: ولد عام 1925، وهو ابن مبشر معمداني، اعتنق الإسلام، واتخذ اسماً جديداً له هو الحاج حسن مالك الشهباز، أما أكس × فقد أطلقه على نفسه للإشارة إلى هذا الرمز الهندسي الذي يشير إلى القيمة المجهولة والمطلوب اكتشافها، تماماً كما هو مطلوب من كل اسود اكتشاف قيمة السود. اغتيل عام 1965.

العنف كوسيلة للدفاع عن النفس، فواجه بذلك أكثرية القادة السود ممن كانوا يدافعون عن الحقوق المدنية للسود عن طريق تركيز نضالهم على المقاومة السلمية أو (اللاعنف) وعلى رأسهم مارتن لوثر كينغ[1].

شكل مسلمو أفريقيا أكثر العناصر الإسلامية عدداً وتقدرهم المصادر الغربية بحوالي 75000 مسلم سني، بينما تقدر المصادر الإسلامية عدد المسلمين الأفارقة الأمريكيين بما يربو على مليون مسلم. وقد ظل الإسلام باقياً في نفوس وقلوب الأفارقة الأمريكيين رغم تعرضهم لنيران الاضطهاد والتمييز.

إن ما ينقص المسلمين في الولايات المتحدة هو التنظيم الشامل، إذ ليست لهم جمعية عامة تضمهم جميعاً تحت سقفها، والمحاولات الراهنة لا زال تأثيرها محدوداً، فجمعية الطلبة المسلمين[2] أساسها طلابي، واتحاد الجمعيات الإسلامية يرتكز على أبناء المهاجرين دون غيرهم، ومجلس الجمعيات الإسلامية يضم بعض جمعيات الأمريكيين الأفارقة في الولايات الشمالية الشرقية فقط[3].

ويعد اليهود أشد العقبات التي يواجهها المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تمكنوا من اختراق الديانة المسيحية لدرجة أن الرهبان والقساوسة في الكنائس يدعون لليهود بالنصر، ويدعون على المسلمين والعرب بالهزيمة والدمار في زمن الحروب، ولديهم السيطرة التامة على وسائل الإعلام من صحف وإذاعات. فهم في حقيقة الأمر يديرون الرأي العام الأمريكي كيفما يشاءون، ويحددون السياسة الخارجية للدولة خاصة فيما يتعلق بالشرق العربي.

تسعى جهود الصهاينة إلى إيقاف التيار الإسلامي بين الأمريكيين الأفارقة بالوسائل كافة، بمساندة جماعة (اليجا) التي تدعي الإسلام، ومجموع هؤلاء 100,000 شخص وعداوتهم للمسلمين ظاهرة[4].

1 مارتن لوثر كينغ (1929–1968): زعيم حركة سلمية في الولايات المتحدة الأمريكية مناهضة للتمييز العنصري، قاد عام 1955–1956 حركة زنجية للحد من التمييز العنصري اتخذت شكل مقاطعة السود للاوتوبيسات في ولاية مونتجمري ودامت المقاطعة مدة 351 يوماً انتهت بإصدار أمر يمنع التمييز بين مقاعد السود والبيض في السيارات المدنية.

2 جمعية الطلبة المسلمين: تأسست عام 1964 على يد بعض الشباب المسلم، والمؤسسون هم: الدكتور احمد صقر (لبناني)، والدكتور مهدي بهادوري (إيراني)، والسيد بديع القادو (عراقي)، والسيد منذر الدروبي (عراقي أيضاً).

3 الكتاني، المصدر السابق، ص61.

4 المصدر نفسه، ص ص67–68.

وقبيل تفجيرات (11 أيلول 2001) صـدر في الولايات المتحدة كتاب "لا سـكوت بعد اليوم، مواجهة الصـور المزيفة عن الإسلام في أمريكا" لمؤلفه (بول فندلي Paul Findley)، واعتمد المؤلف في هذا الكتاب على معايشـة وملاحظة شخصـية دقيقة للعناصر المتحكمة في علاقات المجتمع الأمريكي المسـيحي الأبيض مع المجتمع الأمريكي المسـلم بشـقيه الأسود والعربـي والآسـيوي المهاجـر، وجميع هذه العناصـر تدور من وجهة نظره حول مسـألتين أساسـيتين: جهل الأمريكيين بحقيقة الإسـلام والمسلمين، وهذا الجهل ناتج عن قصد وخطة مدروسة لهيئات معادية وذات مصلحة (وخاصة من الصهاينة). المسألة الثانية: جهل وقصور وعجز لدى المسلمين عن سد ثغرة غربة المجتمع الأمريكي المسيحي عنهم رغم توافر الإمكانات لهذه المهمة الرئيسة. فرغم قدم الوجود الإسلامي في القارة الأمريكية إلا أن المسلمين ما زالوا حتى اليوم يعيشـون في غربة تامة بالنسـبة لجيرانهم المسـيحيين الذين عملت المدارس الدينية والمؤسسات الإعلامية الضخمة على ترسيخ صورة المسلم الهمجي في أذهانهم[1].

مجلس العلاقات الإسلامية- الأمريكية (CAIR)

يُعد من أبرز وأكبر المؤسسـات الإسـلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، تأسس هذا المجلس (كير CAIR) في حزيران (1994)، وبدأ عمله بمكتب صغير في واشنطن، يعمل فيه موظفان فقط هما: نهاد عوض، وابراهيم هوبر. ونشطا في مجال الحقوق المدنية والعلاقات العامـة. وخـلال عشرة أعـوام افتتحت كير 26 مكتبـاً وفرعاً إقليميـاً في الولايات المتحدة وكنـدا يعمل فيه عشرات الموظفين المتفرغين، ويقع مقرها المركزي في واشـنطن قبالة مبنى الكونغرس[2].

وعلى صعيد الحقوق المدنية استقبلت كير منذ تأسيسها عام (1994) حتى عام (2004) آلاف الشكاوى المتعلقة بأمور التمييز ضد مسلمي أمريكا، وارتفعت نسبة هذه الشكاوى بعد أحداث 11 أيلول (2001)، فكانت كير تتدخل للتفاوض والضـغط على الجهات المسـيئة، ونجحت في ضمان حقوق المسلمين في أكبر عدد من الشركات والمؤسسات الأمريكية.

أمـا في مجـال الإعلام فقد نشـطت كير في تزويد وسـائل الإعلام وصـناع القرار في

---

1 الخوند، المصدر السابق، ص141.

2 الكونغرس: الهيئة التشريعية العليا في الحكومة الاتحادية له سـلطة سـن القوانين في المجالات المتعلقة بالنواحي الوطنية والسياسـة الخارجية، ومن صـلاحياته الهامة فرض الضرائب وجبايتها، وعقد القروض باسـم الحكومة الاتحادية، وتسـديد الدين العام، وصـك العملة وحماية الأسـهم، وتحديد الموازين وتنظيم التجارة الخارجية، وتأسـيس مكاتب البريد وما إلى ذلك، عبد العزيز سليمان وعبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، دار النهضة العربية، (بيروت، 1973)، ص92.

الولايات المتحدة بمصدر لا ينضب من المعلومات المتعلقة بأوضاع مسلمي أمريكا ومواقفهم إزاء القضايا الهامة لهم، خصوصاً عبر مراجعتها لجميع ما تنشره أهم الصحف الأمريكية عن الإسلام والمسلمين للمجتمع الأمريكي[1].

وبعد أحداث 11 أيلول ضاعفت كير جهودها لمواجهة ما تتعرض له صورة الإسلام من تشويه، وأطلقت عدداً من المبادرات الإعلامية الكبرى لتوعية الرأي العام الأمريكي بصورة الإسلام الحقيقية، من بينها مشروع «تعرف على حضارة الإسلام وثقافته» والذي أطلقته كير في أيلول (2002) بهدف تزويد 10 آلاف مكتبة أمريكية عامة بمجموعة مختارة من الكتب والمواد العلمية المتعلقة بالإسلام وحضارته.

وفي تقرير وضعه علاء بيومي رئيس الشؤون العربية في كير في شباط (2004) جاء تحت عنوان «كسب الأصدقاء»: «تشير مختلف استطلاعات الرأي العام الأمريكي إلى أن غالبية الشعب لا تقف موقفاً معارضاً لقضايا المسلمين والعرب، وعلى أحسن تقدير يمكن تقسيم الشعب الأمريكي إلى ثلاثة أجزاء متساوية، ثلث متعاطف مع المسلمين والعرب، وثلث معارض لهم، وثلث محايد».

- كندا

بحسب إحصاء عام (1991) فإن أعداد المسلمين في كندا تصل إلى 253 ألف مسلم، وفي عام 2004 قدرت أعدادهم ما يقارب 310 ألف مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم نحو 5، 32 مليون نسمة.

ويعد اللبناني المسيحي إبراهيم أبو نادر أول العرب المهاجرين إلى كندا وذلك عام (1882)، وتُعد الجالية اللبنانية في كندا أكبر الجاليات العربية، تليها المصرية.

ونتيجة لتزايد طلبات اللجوء السياسي إلى كندا خصوصاً من بعض الجزائريين الأصوليين المناوئين للنظام الجزائري، برزت أمام الحكومة الكندية مشكلة التشكيك بفعالية أجهزتها الأمنية، وعدم تشددها بشكل كاف في منح حق اللجوء والضرب على أوتار الإرهاب، مما أدى إلى بعض التضييق الذي أعربتّ بعض الجاليات الإسلامية إزاءه عن خشيتها من أن تصبح هدفاً لإجراءات تعسفية محتملة، كما أعربت بعض الأوساط الكندية التي تبدي تعاطفاً مع القضايا العربية عن خشيتها من أن يؤدي موضوع إثارة الإرهاب إلى انحراف كندا

1 الخوند، المصدر السابق، ص ص142–143.

عن حيادها الدولي، وما تتمتع به من رصيد إنساني، فقد سجلت كندا أعلى نسبة عالمية في قبول طلبات اللجوء (ما يقارب 80%) مقارنةً بالولايات المتحدة (17%) وألمانيا (20%) [1].

الأقليّات المسلمة في أمريكا الوسطى

تشير الدراسات الحديثة إلى أن المسلمين سبقوا كولومبوس في الوصول إلى أمريكا اللاتينية (تشمل: أمريكا الوسطى وجزر الانتيل الكبرى والصغرى، وأمريكا الجنوبية)، فبعد عدة سنوات من البحث والدراسة في تاريخ أمريكا كشف عدد من الباحثين عن أوجه تشابه في طرق المعيشة بين السكان الأصليين من الهنود الحمر والمسلمين، وعرضوا عدداً من الوثائق أوضحوا من خلالها عن وجود آثار إسلامية كانت موجودة في أمريكا قبل وصول كولومبوس وباقي المستكشفين الأوروبيين إليها، في حين أن هناك من يرى غير ذلك.

- المكسيك

يذكر سيد عبد المجيد بكر أن وصول الإسلام إلى المكسيك جاء مع أول استيطان إسباني لهذه المنطقة، عندما وصل إلى المكسيك عدد من المسلمين المورسيكيين (مسلمو الأندلس) عام (1521).

وبعد حصول المكسيك على استقلالها عام (1821) بدأت الهجرات الإسلامية إلى المكسيك قادمة من آسيا، إذ وصلت هجرة صينية بلغ عددها 747 مسلم عام (1908)، وبدأت هجرة من بلاد الشام في أوائل القرن العشرين، واستمرت هجرة بعض المسلمين بعد أن خفت حدة القيود، وقدرت أعداد المسلمين بأكثر من مائة ألف ينتشرون في أنحاء المكسيك كافة، غير أن هذه الجماعات تعاني من التشتت والانتشار المبعثر في مناطق شاسعة، لذا تتفاقم حالة التفرقة في ظل غياب الهيئات والجمعيات الإسلامية[2].

نقلت وكالة الأنباء الإسلامية في المكسيك عن أحد المؤرخين المكسيكيين أنه ذكر أن مسلماً من أهل الأندلس وصل إلى المكسيك من المغرب بعد ان خطفه القراصنة في القرن السادس عشر، وذُكر أيضاً أن أول تجمع للمسلمين لأداء صلاة الجمعة بدأ في النادي المصري التابع للسفارة المصرية، وأن الداعية المسلم عمر واتسون قصد المكسيك بعد أن أسلم في فلوريدا عام (1988) وأسس في المكسيك المركز الإسلامي، وتزايد عدد المسلمين من

1 المصدر نفسه، ص133.
2 بكر، المصدر السابق، ص ص213-214.

حوله، وفي عام (1995) سجل المركز الإسلامي في المكسيك رسمياً لدى الدولة. وعقدت الندوات والمؤتمرات عن الإسلام في عدة جامعات، ووضعت كتب عن الإسلام، ونشرت مقالات في الصحف الكبرى والمجلات[1].

- جواتيمالا (الوادي المالح)

كانت جواتيمالا مستعمرة إسبانية، وكانت قبل هذا الاستعمار مقراً لحضارة المايا الهندية الأمريكية، استعمرها الإسبان منذ عام (1524)، وحصلت على استقلالها عام (1821) وقد شهدت العديد من الاضطرابات والانقلابات العسكرية التي هزت كيانها.

تقع جواتيمالا في أمريكا الوسطى يحدها من الشمال المكسيك، ومن الشرق بيليز (هندوراس البريطانية) ومن الغرب المحيط الهادي ومن الجنوب السلفادور وهندوراس.

هاجر العرب إلى جواتيمالا وكان من بينهم عدد قليل من المسلمين، إذ يقدر عددهم بحوالي 200 مسلم، كان ينقصهم التنظيم، وغالبيتهم من الفلسطينيين الذين يزاولون أعمال التجارة.

- هندوراس

احتلها الإسبان عام (1502) وبقي الاحتلال الإسباني فيها حتى عام (1838) حيث حصلت هندوراس على استقلالها.

أغلب سكان هندوراس من عناصر (المستيزو)، وهم خليط من البيض والهنود، وإلى جانبهم عناصر زنجية تتحدث الإنجليزية، قدمت إلى هندوراس بوصفها رقيقاً للعمل في زراعة الموز، واللغة الغالبة في هندوراس هي اللغة الإسبانية.

ويقدر عدد المسلمين في هندوراس بحوالي مائة شخص معظمهم من سوريا ولبنان، ولا وجود للمنظمات الإسلامية والمساجد[2].

- السلفادور

وقعت تحت وطأة الاحتلال الإسباني عام 1525، وحصلت على استقلالها عام (1856).

1 الخوند، المصدر السابق، ص154.
2 بكر، المصدر السابق، ص221.

تتواجد في السلفادور جالية عربية مهاجرة، وبلغ عددها أكثر من 25 ألف نسمة، غالبيتها من المسيحيين، ومن بينهم 100 مسلم يعملون في مجال التجارة، ولا وجود للمنظمات الإسلامية ولا المساجد أو المدارس الإسلامية.

- **نيكاراجوا**

إحدى جمهوريات أمريكا الوسطى، استعمرتها إسبانيا عام (1522) واستقلت عام (1838). وقد هاجر بعض المسلمين إليها قادمين من لبنان وفلسطين، ويقترب عددهم من 200 مسلم، ولا أثر للتنظيمات أو الهيئات الإسلامية فيها[1].

- **كوستاريكا (الساحل الغني)**

وقعت كوستاريكا تحت سيطرة إسبانيا عام (1563)، وأعلنت استقلالها عام 1821، وقد سيطرت المكسيك عليها عام (1823)، إذ كانت ضمن اتحاد أمريكا الوسطى، ثم انفصلت عنها عام (1848).

وصلت إليها العديد من الهجرات الهندية والباكستانية والعربية، ويزيد عددهم على ألفي نسمة، وعدد المسلمين بين هؤلاء قليل للغاية، فيقدر بحوالي مائة مسلم، ولا وجود للمؤسسات الإسلامية فيها[2].

- **جمهورية بنما**

إحدى بلدان أمريكا الوسطى، تشغل برزخاً من اليابس يربط بين أمريكا الشمالية والجنوبية.

كانت بنما قبل عام (1903) تابعة لكولومبيا حينما انفصلت عنها بإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية لعدم توصلها إلى اتفاق مع كولومبيا في موضوع شق قناة بين البحر الكاريبي والمحيط الهادئ (قناة بنما)، واعترفت بها الولايات المتحدة فور انفصالها ووقعت معها معاهدة أخذت بموجبها الولايات المتحدة ما شاءت من سيادة على منطقة القناة مقابل ضمان استقلال بنما، وفي عام (1914) فتحت القناة للملاحة، وفي عام (1922) دفعت الولايات المتحدة لكولومبيا 25 مليون دولار مقابل اعترافها باستقلال بنما.

1 المصدر نفسه، ص227.
2 المصدر نفسه، ص231.

ان أول من هاجر من المسلمين هم عمال من البنغال من شبه القارة الهندية– الباكستانية جيء بهم لحفر قناة بنما، ولم تكن أعدادهم كبيرة، ولم تكن معرفتهم بالإسلام قوية، وقد انصهروا مع المجتمع عن طريق الزواج والمصاهرة، ووصلت إليها هجرة صينية بلغ عدد أفرادها 500 مسلم في عام (1908).

يعيش المسلمون في العاصمة بنما والمناطق المحيطة بها، ويحترفون التجارة، وقد اختلطت الأقلية المسلمة بالسكان، ويخشى عليهم من الانصهار غير أن الظروف مهيأة لانتشار الإسلام بين سكان بنما، فارتباط السكان بالمسيحية سطحي، رغم ضغط الكنيسة على حكومة بنما لتعزيز المسيحية بين المجتمع، وقد أصدرت الحكومة قانوناً للحد من الهجرة الآسيوية والأفريقية إلى بنما.

والأمر يتطلب دفع الدعوة الإسلامية في بنما صوب الأمام، فالظروف مهيأة لمثل هكذا أمر، فهناك ظاهرة انتشار الأسماء الإسلامية بين السكان رغم أن أصحابها من غير المسلمين[1].

– دول أمريكا الجنوبية

تشمل أمريكا الجنوبية الدول التالية: فنزويلا وكولومبيا غويانا و سورينام والبيرو وبوليفيا والأرجنتين والارغواي والبارغواي وتشيلي والإكوادور وغويانا الفرنسية والبرازيل.

– فنزويلا

تقع فنزويلا في الشمال الشرقي من أمريكا الجنوبية، وكان قد اكتشفها كولومبوس في رحلته الثالثة عام (1498)، ومعناها البندقية الصغيرة وبقيت تحت الاحتلال الإسباني حتى عام 1821 وعاصمتها كاراكاس[2].

أخذت الهجرة العربية القادمة من بلاد الشام تتجه صوب فنزويلا منذ أواخر القرن التاسع عشر، وليس هناك إحصاء رسمي للمسلمين في فنزويلا[3]، ويمكن تقدير أعدادهم بـ 75 الف مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم 50، 25 مليون نسمة، 95% منهم كاثوليك، 5، 1 بروتستانت، و 1% من اليهود.

1 المصدر نفسه، ص235.
2 الكتاني، المصدر السابق، ص200.
3 المصدر نفسه، ص201.

وفي عام (1989) بدأت مؤسسة إبراهيم الإبراهيم الخيرية بدعم من المملكة العربية السعودية ببناء المركز الإسلامي في العاصمة كاراكاس، وعُرف باسم «مسجد الشيخ إبراهيم»، وافتتح في مطلع عام 1993 ويعمل لخدمة الجالية الإسلامية في فنزويلا[1].

- كولومبيا

وقعت كولومبيا تحت سيطرة الاحتلال الإسباني عام (1509) وسميت البلاد عام (1564) بغرناطة الجديدة وكانت تضم إلى جانبها بنما[2].

ترك الوجود الأندلسي في كولومبيا آثاره من خلال اهتمام الكولومبيين بالحضارة الإسلامية، ونبغ بينهم في القرن التاسع عشر من اختص بالحضارة العربية، وعندما ضعفت قبضة الكنيسة الكاثوليكية بعد استقلال البلاد ظهرت كولومبيا بوصفها جمهورية كبرى عام (1817).

وقد اتجهت بعض الهجرات العربية إلى كولومبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان جلهم من بلاد الشام، وازدادت الهجرات العربية بعد الحرب العالمية الثانية، ووصل عدد المسلمين في كولومبيا عام (1951) إلى 6 آلاف مسلم أي حوالي 05%، 0 بالنسبة لمجموع السكان.

يعيش المسلمون في بوجوتا العاصمة الكولومبية، وغيرها من المدن الأخرى، ويزاولون أعمال التجارة، ومنهم باعة متجولون.

ومن المؤسف جداً أنه لا توجد مؤسسات إسلامية في كولومبيا، ولا يوجد مسجد أو مدرسة أو أي نشاط إسلامي أو حتى ثقافي يقوم به المسلمون في تلك البلاد[3].

- غويانا

إحدى جمهوريات أمريكا الجنوبية كانت تسمى غويانا البريطانية قبل استقلالها وهي واحدة من البلدان الثلاثة التي يطلق على كل منها اسم غويانا، ويضاف إليه اسم الدولة المستعمرة لها، ومنها غويانا الهولندية وأصبح اسمها سورينام، وغويانا الفرنسية والتي بقيت محتفظة باسمها.

1 الخوند، المصدر السابق، ص156.
2 الكتاني، المصدر السابق، ص205.
3 بكر، المصدر السابق، ص333.

وصلت أول هجرة إسلامية إلى غويانا مع الأفارقة الذين جلبهم الهولنديون أيام احتلالهم لغويانـا ، وذلك لتسـخيرهم في أعمال الزراعـة ، لكن هذه الجماعة اختفت بسـبب المعاملة السـيئة والتشـتيت الاجتماعي ، وعندما خلف البريطانيون هولندا في احتلال غويانا ، جاءوا بهجرات إجبارية من الهنود والآسيويين لاستغلالهم في الزراعة أيضاً ، وكان من بينهم الكثير من المسلمين ، وحافظ هؤلاء على عقيدتهم وشكلوا النواة الأولى للأقلية المسلمة في غويانا ، وراحت أعداد المسلمين تتزايد نتيجة الزيادة الطبيعية بين السكان ، ونتيجة عودة أعداد كبيرة من الأفارقة إلى الإسلام .

بدأ المسلمون بتأسيس المساجد المتواضعة منذ أن استقر بهم المقام بغويانا واتخذوا المسجد كمقر لاجتماعاتهم شبه السرية خوفاً من بطش السلطات الاستعمارية ، وظلت الأقلية المسلمة في غويانا تواجه هذه التحديات حتى عام (1860) وذلك عندما اعترفت السلطات الاستعمارية ببعض حقوق الأقلية المسلمة في غويانا ، ومنها حق الزواج وفق الشريعة الإسلامية .

وراح المسـلمون يسـعون لأجل تنظيم أنفسـهم فأسسوا جمعية صـدر انجمان الإسلامية المتحدة ، ورابطة الشباب المسلم عام (1961) .

وللمسـلمين في غويانا الكثير من المسـاجد ، وهـي تفوق بأعدادها أعداد بقية المسـاجد المتواجدة في أمريكا الجنوبية ، وبهذا يشعر الزائر وكأنه في أرض إسلامية[1] .

– سورينام

إحدى دول أمريكا الجنوبية وعاصمتها باراماريبو ، وبلغ عدد سكانها عام (1979) ، 150 ألف نسـمة ، واكتشف الإسبان سواحل سـورينام عام 1492 وادعوا ملكيتها عام (1593) فنازعهم على ذلك البريطانيون والهولنديون ، وتعاقبت الدول الاستعمارية في السيطرة عليها حتى استقلالها عام (1975) [2] .

وصـل المسلمون إلى سورينام مع اسـتقدام الأفارقة إليها ، إذ وصلها بعض المسلمين من غربي أفريقيا في القرن السـابع عشر الميلادي ، لكن ظروف الاسـتعباد واستخدام نظام الرق جعل هذه الموجة تهمل تعليم أبنائها قواعد الإسـلام ، وهذا ما اثر سلباً على مستقبل الإسلام في سورينام إلى حد كبير .

1 المصدر نفسه ، ص315؛ الكتاني ، المصدر السابق ، ص176 .
2 بكر ، المصدر السابق ، ص305 .

وفي عام (1973) وصل عدد المسلمين إلى 106 ألف مسلم بحسب تقديرات المصادر الإسلامية، وهم بذلك يشكلون 30% من مجموع سكان سورينام، لذا فإنهم أكثر الأقليّات المسلمة المتواجدة في العالم الجديد.

وتوجد في سورينام جمعية إسلامية هندية- باكستانية، وقد شيدت العديد من المساجد والمدارس لتعليم أبناء الجالية المسلمة فهناك المسجد الجامع في العاصمة، وهناك عدد من المساجد منتشرة في القرى.

ومن الهيئات الإسلامية فيها الاتحاد الإسلامي السورينامي، وهو تنظيم إسلامي أقامه الإندونيسيون، وتقوم هذه الهيئة ببناء المساجد والمدارس الملحقة بها.

- غويانا الفرنسية

مستعمرة فرنسية، احتلتها فرنسا عام (1626) واتخذتها كمنفى للمناضلين ضد الاحتلال الفرنسي في المستعمرات الفرنسية السابقة، ولم يغلق هذا المنفى إلا بعد الحرب العالمية الثانية عام 1946، وفي العام نفسه صدر قرار الحكومة الفرنسية يعدّ غويانا إحدى المقاطعات الفرنسية عبر البحار.

وصلت غويانا الفرنسية موجة قديمة من مسلمي أفريقيا، وعاشت في ظروف غير إنسانية، ووصلها حديثاً عدد من المسجونين السياسيين قادمين من داخل المستعمرات الفرنسية وغالبيتهم من الجزائريين والمغاربة، ففي عام (1945) قدر عدد المسجونين السياسيين من هذه البلدان بحوالي 480 شخص، وقد حاول بعض المسجونين الهروب إلى البرازيل المجاورة لغويانا الفرنسية، إلا أن معظمهم ماتوا أثناء المحاولة، والبعض الآخر نجح في ذلك، ونشرت بعض الصحف الفرنسية قصص هؤلاء المجاهدين، وهاجر إلى غويانا الفرنسية في النصف الأول من القرن العشرين ما يقارب 4000 مسلم من لبنان وسوريا وفلسطين.

إن معظم المسلمين في غويانا الفرنسية من أصل جزائري ومغربي استوطنوا البلاد، ويزاولون التجارة، ومما يؤسف له أن اللغة العربية تلاشت بين أفراد الأقلية المسلمة. نتيجة استخدام اللغة الفرنسية، ونتيجة عدم اهتمامهم بتعليمها لأبنائهم فقد عاشت هذه الجماعة ظروفاً قاسية في ظل منفى كايان في غويانا الفرنسية (سالف الذكر) وأهملت تنظيم نفسها، فليس للمنظمات والهيئات الإسلامية وجود بينهم، غير أن الأقلية المسلمة في غويانا الفرنسية بدأت في تكوين صلات بينها وبين الأقلية المسلمة في سورينام وحضر وفد عن الأقلية المسلمة في غويانا الفرنسية

المؤتمر الإسلامي المنعقد عام (1977) في ترينداد، ووضع المؤتمر أساس تكوين المجلس الإسلامي، لأمريكا الجنوبية والكاريبي، وأوصى بالتنسيق بين المنظمات الإسلامية في أمريكا الجنوبية والكاريبي، وهكذا بدأت الأقلية المسلمة في غويانا الفرنسية اتصالها بالعالم الإسلامي، ودعمت صلتها بالمؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة[1].

- الإكوادور

ينتسب اسمها إلى الدائرة الاستوائية، والتي تمر بالقسم الشمالي من البلاد، فالإكوادور هو (الاستواء) في اللغة الإسبانية، وكانت قبل الاحتلال الإسباني جزءاً من إمبراطورية الانكا التابعة لحكم الهنود الأمريكيين، واحتلها بيلزارو الإسباني عام (1532)، وأعلنت الإكوادور استقلالها عام (1830).

وصلها الإسلام عن طريق هجرة حديثة، فقد وصل إلى الإكوادور مهاجرون عرب منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومعظمهم من سوريا ولبنان وفلسطين، لذلك يوجد في الإكوادور 25 ألف عربي، ليس من بينهم سوى بضع مئات من المسلمين، ويعيش أبناء الأقلية المسلمة في كيتو العاصمة الإكوادورية، وهم غير منظمين، وتنعدم الهيئات الإسلامية فيها.

- البيرو

من دول غرب أمريكا الجنوبية، كانت قبل غزو إسبانيا لها، مركز حضارة الانكا إلى جانب الإكوادور وتشيلي والأرجنتين، وعاصمة الانكا هي مدينة «كوزكو»، وغزتها إسبانيا عام (1532) ولم تستسلم إمبراطورية الانكا للإسبان حتى عام (1544)، واستمر الاحتلال الإسباني للبيرو حتى عام (1820) عندما نالت الأخيرة استقلالها بعد كفاح طويل ضد الإسبان.

وصل الإسلام إلى البيرو مبكراً مع بداية الاستيطان الإسباني، وذلك بوصول المسلمين الإسبان (المورسيكيين)، ووصل هؤلاء مع استعمار الإسبان للبيرو، وأثّروا في المزيج الحضاري الذي ظهر في البيرو فيما بعد، لهذا تأثر أدباء البيرو بالحضارة الإسلامية الأندلسية.

يعيش معظم المسلمين في العاصمة ليما، والبعض الآخر في المدن الرئيسة للبيرو. ولا

1 المصدر نفسه، ص ص320-321.

توجد في البيرو هيئات إسلامية بالمعنى الصحيح والحال نفسه بالنسبة للمدارس الإسلامية، والأمر لا يتجاوز معهد الدراسات الإسلامية في العاصمة ليما وكذلك المنظمة الإسلامية وبعض النوادي التي أنشأتها كل جماعة تنتمي إلى بلد معين، والنشاط الإسلامي محصور في إذاعة ساعة يومية باللغة العربية، وساعة يوم الجمعة من كل أسبوع تذاع فيها مواد إسلامية، وتبث هذه البرامج من إذاعة ليما، مقابل مبلغ سنوي تدفعه الجالية المسلمة.

- بوليفيا

إحدى أقطار أمريكا الجنوبية، استولى عليها الإسبان عام (1532) وظلت تحت عبودية الإسبان حتى عام (1825)، إذ استقلت عقب ثورة دامية عرفت بسمون بليفار نسبة إلى قائدها، وفي عام (1879) دخلت حرباً مع جارتها تشيلي هزمت فيها بوليفيا، وتنازلت لتشيلي عن مساحات واسعة من ساحلها على المحيط الهادئ.

بدأت هجرة المسلمين إليها في الربع الثاني من القرن العشرين، وكان أقدم مهاجر مسلم هو إسماعيل عقيلي من أصل فلسطيني، هاجر إليها عام (1920)، ثم ازدادت الهجرة الإسلامية إليها حتى وصل عدد المسلمين إلى بضع مئات[1].

ويعيش المسلمون في عدة مدن بوليفية، منها العاصمة لاباز، أما الهيئات الإسلامية فلا وجود لها في بوليفيا، وتغيب المدارس الإسلامية عن ساحة الأقلية المسلمة، لكن أبناء الأقلية يبذلون محاولات لتأسيس مركز إسلامي في البلاد.

- الباراغواي

جمهورية داخلية بأمريكا الجنوبية، لا سواحل لها، حاول الإسبان احتلالها عام (1526) وسيطر عليها الرهبان اليسوعيين (الجمعية اليسوعية)، وظلوا بها حتى طردهم الإسبان عام (1767) وقاوم السكان الاحتلال الإسباني عام (1811)، ونالت استقلالها عام (1814). وعاصمتها (اسونسيون).

وصل الإسلام إلى الباراغواي عن طريق هجرة عربية، ومعظم أفرادها من الشام، وفيها أكثر من 6000 عربي، منهم حوالي ألف مسلم، ومعظم العرب تجار، ويسكنون المنطقة الشرقية على الحدود البرازيلية، ولهم صلات وثيقة بمسلمي البرازيل، ولا وجود

1 المصدر نفسه، ص383.

للمؤسسات الإسلامية في الباراغواي[1].

– الأوروغواي

وقعت تحت سيطرة الاحتلال الإسباني عام (1516) واحتلتها البرتغال عام (1680)، ثم استردها الإسبان عام (1778) ونالت الاوروغواي استقلالها عام (1825)، وعاصمتها (مونتيفيديو).

وصلت الاوروغواي هجرة عربية حديثة تزيد على 15 ألف نسمة معظمها من النصارى، ويبلغ عدد المسلمين من بينهم أكثر من ألف مسلم، ومعظمهم من أصول سورية ولبنانية، ولا توجد مؤسسات إسلامية في البلاد[2].

– الأرجنتين

ثاني أكبر بلدان أمريكا الجنوبية مساحة بعد البرازيل، وهي أكبر المستعمرات الإسبانية في أمريكا الجنوبية، وكلمة الأرجنتين مشتقة من الفضة، وقد أطلق عليها الإسبان هذا الاسم بسبب كثرة الفضة التي كان يتحلى بها الهنود الأمريكيون عند اكتشاف هذه البلاد، وفي عام 1516 احتلها الإسبان، وأعلنت الأرجنتين استقلالها عام (1816).

يبلغ عدد المسلمين في الأرجنتين ما يقارب 750 ألفاً من مجموع السكان البالغ عددهم 5، 38 مليون نسمة، منهم 93% كاثوليك (ينص الدستور على وجوب أن يكون رئيس الجمهورية كاثوليكياً)، 2% بروتستانت، 5%، 1 يهود، 5%، 3 أديان أخرى.

ويقيم خُمس مسلمي الأرجنتين في العاصمة بوينس ايريس (معناها الهواء العليل والتي أسسها الإسباني بيدرو دومندوسة)، ويقع مقر المركز الإسلامي في العاصمة الذي أُسس عام (1992)، ويغلب على نشاطاته التعليم الديني، وتعليم اللغة العربية وعقد الندوات، وفي العاصمة يقع مقر الجمعية العربية الأرجنتينية الإسلامية التي توفر التعليم لأبناء الجالية المسلمة من مرحلة الروضة حتى المرحلة الثانوية.

وصل الإسلام إلى الأرجنتين عن طريق المسلمين الإسبان بُعيد اكتشافها على يد الإسبان عام (1515)، وعن طريق من هاجر من أفريقيا واستقر فيها، أما هجرة مسلمي الشرق

1 المصدر نفسه، ص388.
2 المصدر نفسه، ص391.

الأوسط فقد تمت بين (1850–1860)، وكان المغترب الأول من أصل لبناني، وأكبر موجات هجرة المسلمين إلى الأرجنتين حدثت في أوائل القرن العشرين، وعلى إثر الحرب العالمية الأولى، ومن جيل إلى آخر تلاشت اللغة العربية ومعها الدين الإسلامي، فتنصر جزء كبير (منهم كارلوس منعم الذي أصبح رئيساً للجمهورية) وفي السنوات الأخيرة، ومع وجود العديد من الجمعيات الإسلامية المشار إليها أعلاه، بدأ يعود عدد من الشباب المهاجرين إلى جادة الصواب، وبدأ غير المسلمين باعتناق الدين الإسلامي[1].

لا تعترف الحكومة الأرجنتينية بالأقلية المسلمة رغم وجود عدد من المسلمين الأرجنتينيين في الجيش، ومنهم من يشغل مناصب الحكم في الولايات[2].

– تشيلي

احتلها الإسبان عام (1540) وظلت مستعمرة إسبانية حتى عام (1818) عندما أعلن عن قيام جمهورية تشيلي.

تأثرت تشيلي بالحضارة الإسلامية في الأندلس، وفيها ما يقارب 150 ألف مسلم، اغلبهم متراخون في عقيدتهم، ولا يؤدون شعائرهم الإسلامية، ومعرضون للانصهار في المجتمع التشيلي الكاثوليكي.

وقد أسس المسلمون إبان الحرب العالمية الثانية جمعية إسلامية إلا أنها أصبحت اليوم عديمة الذكر. ويوجد الآن في تشيلي مسجدان أحدهما في العاصمة سنتياغو، والآخر في مدينة اكيكي في الشمال، وقام ببنائه مجموعة من المسلمين من شبه القارة الهندية في السنوات الأخيرة، وفي عام (1998) أسس معهد العلوم الإسلامية في سنتياغو بجهد من بعض المسلمين المقيمين هناك، ينشط في تدريس القرآن الكريم وتحفيظه، وتدريس اللغة العربية للصغار والكبار، فضلاً عن توافر المطبوعات الإسلامية باللغة الإسبانية، ويصدر المركز دورية شهرية تعنى بمعالجة القضايا المستجدة التي تهم الجالية[3].

– البرازيل

يقدر عدد المسلمين في البرازيل بنحو مليون مسلم، وتذكر تقديرات أخرى أنهم بلغوا

1 الخوند، المصدر السابق، ص155.
2 بكر، المصدر السابق، ص397.
3 الخوند، المصدر السابق، ص155.

مليوناً ونصف المليون من مجموع السكان البالغ نحو 178 مليون نسمة، 90% منهم على المذهب الكاثوليكي المسيحي.

ينحدر معظم مسلمي البرازيل من المهاجرين المسلمين اللبنانيين يأتي بعدهم من حيث العدد السوريون ثم الفلسطينيون، ويعيش معظم مسلمي البرازيل في منطقة ساوباولو ثم في بارنا ثم في ريو دي جانيرو.

افتتح أول مسجد في البرازيل عام (1960) ثم تزايدت أعداد المساجد والمراكز الإسلامية.

يعود تواجد المسلمين على أرض البرازيل إلى فجر اكتشاف القارة الأمريكية، فعندما رست سفينة كبرال[1] على ساحل البرازيل كان برفقته ملاحون مسلمون ذوو شهرة عظيمة أمثال شهاب الدين بن ماجد[2]، وموسى بن ساطع، ويؤكد المؤرخ البرازيلي الشهير جواكين هيبيرو في محاضرة ألقاها عام (1958) ونشرتها صحف برازيلية، أن العرب المسلمين زاروا البرازيل واكتشفوها قبل زيادة البرتغاليين لها عام (1500)، وان قدوم البرتغاليين إلى البرازيل كان بمساعدة البحارة المسلمين الذين كانوا أخصائيين ومتفوقين في الملاحة وصناعة السفن.

وهاجر بعض المسلمين سراً إلى البرازيل هرباً من بطش محاكم التفتيش في إسبانيا، وعندما ازدادت الهجرة الإسلامية الإسبانية إلى البرازيل، أقيمت هناك محاكم تفتيش على غرار نظيرتها في إسبانيا، وحددت صفات المسلم وعمدت إلى حرق الكثيرين منهم أحياء.

وتؤكد الوثائق التاريخية المحفوظة في المتاحف البرازيلية أن أكثرية المنحدرين من الأفارقة الذين جيء بهم بوصفهم عبيداً إلى البرازيل هم من جذور إسلامية، وأنهم كانوا يقرأون القرآن باللغة العربية، وقد وصلت أفواج الرقيق إلى البرازيل عام (1538)، ولم يمض 40 عاماً حتى نُقل إليها 14 ألف مسلم مستضعف.

ويذكر أحد المؤرخين: «إن هؤلاء المسلمين السود راحوا يشكلون عنصراً نشيطاً مبدعاً، ويمكن القول انهم من أنبل من دخل إلى البرازيل خلقاً. . . . وكانوا الساعد الأيمن في

1 الملاح كبرال: قاد في عام 1500 أسطولاً برتغالياً صوب الهند بموازاة الساحل الأفريقي، وأخذته الرياح صوب الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية وسمى القسم الذي اكتشفه بالبرازيل وأصبح تابعاً للبرتغال، محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، (بغداد، 1981)، ص146.

2 ابن ماجد: ملاح وجغرافي عربي مسلم قام بتجربة طويلة في الملاحة البحرية قبل أن يقدم حصيلة علمية ما يزيد على خمسة وثلاثين كتاباً، وينتمي إلى جلفار من إمارة رأس الخيمة وهناك من يرى أنه من نجد. إبراهيم خوري، أحمد بن ماجد حياته مؤلفاته استحالة لقائه بفاسكو دي غاما، مركز الدراسات والوثائق، (رأس الخيمة، 2001)، ص29؛ عبد الهادي التازي، ابن ماجد والبرتغال، ط3، (مسقط، 2005)، ص9.

تكوين البلد الزراعي . . . إن البرازيل مدينة لهم في كل شيء . . . . »[1] .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت حشــود المهاجرين الجدد تصل إلى البرازيل قادمة من ســوريا ولبنان وفلســطين ، أملاً في كســب لقمة العيش وجمع الأموال بعد الفقر الذي عانوه في بلادهم ، وبعد الحرب العالمية الثانية ازدادت الهجرات المســلمة وخاصة بعد احتلال فلسطين وما رافق ذلك من توترات سياسية وأزمات في المنطقة العربية .

وعند الحديث عن بدايات العمل الإسلامي في ساوباولو البرازيلية ، فإن باكورته تعود إلى الجمعية الخيرية والتي تعد من أقدم الجمعيات الإسلامية في البرازيل ، وهي أول جمعية خيرية إســلامية تأسســت في جنوب القارة الأمريكيــة وترجع جذورها إلى عــام (1926) ، حيث تشــكلت أول لجنة من المهاجرين المســلمين ، وكان من أهدافها مسجد يذكر فيه اسم الله ، وحال دون ذلك إمكانيات المسلمين المادية الضعيفة ، فتأخر بناء المسجد حتى عام (1957) ، وكانت هذه الجمعية قد أصــدرت صــحيفة «النشــرة» عام (1933) ثم صــحيفة «الذكرى» عام 1937 ثم صــحيفة «الرســالة» و «العروبة» . وفي مطلع السبعينيات من القرن العشرين ، أسســت الجمعية أول مدرســة إسلامية عربية عرفت باسم الحي الذي أنشئت فيه وهي مدرسة «فيلا كارون» ، وفي الوقت نفسه ، عقد أول مؤتمر إسلامي في البرازيل ، بل في قارة أمريكا الجنوبيــة ، نظمتــه وزارة الأوقاف المصريــة بالتعاون مع دوائر الأزهــر ، ومثل هكذا مراكز إســلامية أخذت تزداد عاماً بعــد آخر إلى أن عرقلت هذا النمو حــوادث تفجيرات الولايات المتحدة في أيلول (2001) ، وما تركته من أصــداء على أوضاع الأقليّات المسلمة في البرازيل والعالم أجمع[2] .

• ثالثا: أفريقيا

تعد أفريقيا ثاني القارات مساحة ، إذ إنها تضم أكثر من خمس اليابسة ، ويمثل الإسلام في أفريقيا جبهة مدارية زاحفة بقوة ، فمن أبرز الســمات الإنسانية لأفريقيا تلك السمة الإسلامية التي جعلتها تستحق لقب القارة المسلمة .

ومن أهم أســباب انتشار الإســلام في أفريقيا: الجوار الجغرافي واتصال الرقعة الأرضية ، وبساطة التعاليم الإسلامية وموافقتها للفطرة الإنسانية السليمة .

1 الخوند ، المصدر السابق ، ص157 .

2 المصدر نفسه ، ص ص157-158 .

تبلغ مساحة القارة الأفريقية 000، 700، 11 ميلاً مربعاً، ولا يفصل القارة عن شبه الجزيرة العربية سوى فج ضيق من الماء (البحر الأحمر) الذي كان عامل وصل أكثر منه عامل فصل[1].

وقد شهدت القارة الأفريقية مع دخول العصور الحديثة موجة من الصراع الاستعماري بعد خروج المسلمين من الأندلس، وكان الهدف من هذه الحركة الاستعمارية تعقب المسلمين القادمين من الأندلس، والقضاء على آخر معاقلهم على الساحل الأفريقي، ومنعهم بالوسائل كافة من العودة إلى الأندلس مرة أخرى[2].

ورغم ذلك فقد تأخرت معرفة الأوروبيين بالقارة الأفريقية طبيعة وسكاناً لأسباب عدة منها: أن سواحل أفريقيا قصيرة بالنسبة لكتلتها القارية، ونتج عن ذلك قلة موانئها، وأن مناخ القارة في الصحراء الكبرى وإلى الجنوب منها لم يكن يشكل منطقة جذب للجنس الأبيض، خاصة وأن أوروبا لم تكن قد ضاقت بسكانها بعد[3].

- البرتغال في غرب أفريقيا

يعد البرتغاليون أول من استعمر غرب أفريقيا، فبعد احتلالهم لمدينة سبتة المغربية عام (1415) كانوا بذلك أول من خطا الخطوة الأولى في طريق استعمار القارة الأفريقية في تاريخها الحديث، وتتابعت حملاتهم على جزر ونقاط ساحلية في غرب القارة.

إن هذا السبق البرتغالي أمر طبيعي، كونها تخلصت من الوجود العربي- الإسلامي قبل إسبانيا، ولقربها من السواحل الأفريقية، وللرغبة العارمة في الوصول إلى مناجم الذهب في غرب أفريقيا، والتجارة في الإنسان الأفريقي الأسود (تجارة الرقيق)[4].

لم يكن هناك سعر موحد أو ثابت للرقيق، وكان هناك من يقايض في سبيل الحصول على الرق، فتتم مقايضة الرقيق من الرجال بـ 11 من الأسياخ للرجل الواحد، أما النساء فتقايض بتسعة أسياخ للمرأة الواحدة، وكانت هذه الأسياخ تستخدم في صناعة الأسلحة في أفريقيا.

1 شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة، 1996)، ص5.
2 عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، (الكويت، 1989)، ص7.
3 س هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أوروبا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1996)، ص8.
4 المصدر نفسه، ص14.

- الإسبان في غرب أفريقيا

رغم انشغال إسبانيا عن القارة الأفريقية بالكشوفات الجغرافية في العالم الجديد، إلا أن هذا لم يمنع إسبانيا من أن يكون لها وجود على نحو ما في غرب أفريقيا منذ وقت مبكر نسبياً، ففي عام (1476) استولت على جزر الكناري (جزر الخالدات) وغيرها من الجزر في الغرب الأفريقي، والهدف من وراء هذه المستعمرات الصغيرة الحصول على الرقيق لتعمير مستعمراتها في العالم الجديد، نظراً لقلة الأيدي العاملة من أهل البلاد في جزر الهند الغربية (غرب الانديز) والمكسيك والبيرو.

كذلك كان للهولنديين تواجد في غرب أفريقيا في بدايات القرن السابع عشر الميلادي، أما ألمانيا فلم تشارك في استعمار القارة الأفريقية حتى عام (1884)، ولم تخلو البلاد من الوجود الدنماركي والإنجليزي والفرنسي[1].

دور الأزهر في نشر الإسلام في أفريقيا

يعد الأزهر من أهم وأعرق مراكز الإشعاع الإسلامي والثقافي في العالم، أسسه جوهر الصقلي[2] قائد جيوش المعز لدين الله الفاطمي[3]، منذ القرن العاشر الميلادي، وسبب تسميته بالأزهر فنسبة إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول الأعظم -ﷺ-.

بدأ اتصال الأزهر بالدول الأفريقية منذ بداياته الأولى، وتشير الوثائق إلى دعوة الأزهريين للإسلام في البلاد الوثنية الأفريقية، وتركزت الدعوة إلى الإسلام في الحبشة (أثيوبيا)، وجنوب أفريقيا لبث الثقافة الدينية، والتصدي لحملات التبشير المسيحية التي بدأت تنمو في ربوع القارة الأفريقية. وحقيقة الأمر أن الأزهريين قد دخلوا بشكل منظم لنشر رسالة الدين الإسلامي وتعاليمه وذلك بعد فتح السودان عام (1820) في عهد محمد علي باشا (1769-1849) ثم زيارة الأخير للسودان عام (1839) والتي كانت بمثابة توطيد للدعاة وتدعيم لهم

---

1 المصدر نفسه، ص ص15-16.

2 جوهر الصقلي: ولد في صقلية وظلت موطن جوهر حتى فتحها الاغالبة عام 827م على يد أسد بن فرات قاضي القيروان في عهد المأمون، اتخذه المعز لدين الله عام 923م كاتباً له، ولقب بجوهر الكاتب. علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1963)، ص14.

3 المعز لدين الله الفاطمي: رابع الخلفاء الفاطميين في افريقية (تونس) وأول الخلفاء الفاطميين في مصر. ولد 319ه في المهدية. تسلم الخلافة عام 342 وكان له من العمر 23 عاماً. نال الثقافة والعلم في جزيرة صقلية، مات ودفن بالقاهرة عام 365ه. عارف تامر، المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، منشورات دار الأفاق الجديدة، (بيروت، 1982)، ص67.

في هذه البلاد، ثم كانت مرحلة الإرساليات لنشر الثقافة الإسلامية داخل القارة الأفريقية ليصبح السودان مركزاً لهذه الدعوة، ومنه ينطلق العلماء لغرب وجنوب القارة الأفريقية لتعليم أهل هذه البلاد الدين الإسلامي الحنيف[1].

وراح يطلق على علماء الأزهر الذين يوفدون إلى الدول الأفريقية (رحلة علماء الأزهر الشريف)، وقد أنشأ المستعمر الإنجليزي المعهد العلمي في أم درمان ليصرف أهل السودان عن الالتحاق بالأزهر.

وكان يُعين شيخ أزهري لكل جمعية خيرية لنشر الثقافة والدعوة الإسلامية والتي كان يؤسسها خريجو الأزهر في بلادهم، والتي عرفت بعد ذلك بالجاليات الإسلامية[2].

الأقليّات المسلمة في أفريقيا

يوجد العديد من الدول العربية والإسلامية في أفريقيا، وخاصة في شمالها على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، ومن الدول الإسلامية الأفريقية غير العربية أمثال مالي والنيجر وتشاد وسنقتصر في دراستنا على الدول الأفريقية غير المسلمة التي تتواجد فيها الأقليّات المسلمة.

- كينيا

إحدى دول شرق أفريقيا، عاصمتها نيروبي، احتلتها بريطانيا عقب توقيع معاهدة مع ألمانيا لاقتسام شرقي أفريقيا عام (1888)، فأخذت ألمانيا القسم الجنوبي أي تنجانيقا (تنزانيا حالياً)، وأخذت بريطانيا كينيا والقسم الأكبر من الصومال، وقد نالت استقلالها عام (1963)، وأعلنت فيها الجمهورية في العام التالي.

وتقدر أعداد المسلمين في كينيا بنحو 8% من مجموع السكان البالغ عددهم ما يقارب 5، 31 مليون نسمة.

كانت بداية الوصول الإسلامي إلى هذه المنطقة مبكراً، إذ تعود إلى العقد الأخير من القرن الهجري الأول، وذلك عندما أقام بعض المغامرين من البحارة العرب مراكزاً لهم على الجزر المقابلة لساحل شرقي أفريقيا، ثم بدأت الهجرات الإسلامية تتوالى على الساحل

1 محمود عباس أحمد، الأزهر وأفريقيا دراسة وثائقية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، (د. م، 2004)، ص197.
2 المصدر نفسه، ص200.

الكيني، وكان من الطبيعي أن تنتشر الدعوة الإسلامية من الساحل إلى الداخل مع تحركات المسلمين التجارية، وفي بدايات القرن السادس عشر الميلادي تعرضت الإمارات العربية المؤسسة في كينيا إلى هجوم برتغالي دمر العديد من المدن الإسلامية.

ينتشر المسلمون في كينيا في القطاع الساحلي في المدن باتا ولامو وممبسة، وكذلك في داخل كينيا وفي نيروبي وما حولها، ومن المسلمين هناك جالية هندية- باكستانية، وجالية فارسية فضلاً عن العربية، وينتشر الإسلام بين الجماعات الأفريقية التي تشكل غالبية سكان كينيا.

وللمسلمين هيئات وجمعيات في كينيا، يزيد عددها على الخمسين، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية، والاتحاد الوطني للمسلمين، وجمعية الشبان المسلمين في نيروبي، وجمعية الدعوة الإسلامية وغيرها.

أوغندا

تعد من دول شرقي أفريقيا الداخلية أي أنه لا سواحل لها وعاصمتها كامبالا، وقعت تحت الحماية البريطانية عام (1899) ثم أصبحت بعد ذلك مستعمرة تابعة للبريطانيين إلى أن أعلنت استقلالها عام (1962).

في أواسط القرن التاسع عشر، وصل إلى أوغندا عدد من التجار العرب، وعن طريقهم دخل الإسلام إلى البلاد، وتمكن بعض الأشخاص من العرب أن يصبحوا مستشارين لدى ملك كاباكا بوغندا موتيزا الأول، وفي عام (1862) دهش الأخير بالتكنولوجيا التي كان يحملها المستكشفون الأوروبيون إلى البلاد، فسمح بقدوم مبشرين مسيحيين أوروبيين إلى البلاد، وهذا ما خلق نزاعات دموية نشبت بين الكاثوليك والبروتستانت والمسلمين، وبعد وفاة موتيزا الأول عام (1884) خلفه ابنه موانغا الذي اضطهد المسيحيين، وفتح الباب أمام الحروب الدينية والأهلية.

يتواجد المسلمون في شمال أوغندا وفي شرقها، وقد ازدهرت الدعوة الإسلامية بعد استقلال أوغندا، وفي عهد الرئيس عيدي أمين (1924-2003) انضمت أوغندا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.

ومن المؤسسات الإسلامية في أوغندا، المجلس الإسلامي الأعلى، ويبلغ عدد المسلمين فيها نحو 12% من مجموع السكان البالغ عددهم ما يقارب 25 مليون نسمة، وهم موزعون

بين جميع القبائل والمناطق الأوغندية تقريباً.

- **موزنبيق**

إحدى دول جنوب شرق أفريقيا، حصلت على استقلالها عام (1975) بعد احتلال برتغالي دام ما يزيد على أربعة قرون ونصف.

إنَّ وصول الإسلام إلى موزنبيق مرتبط بوصوله إلى شرق أفريقيا، فلقد كان للعرب علاقة تجارية بشرق أفريقيا قبل الإسلام، وعندما ظهر الإسلام زادت هذه الصلات، وازدهرت التجارة بين الجانبين، وهكذا أخذ المسلمون نقاط ارتكاز على الساحل الشرقي للقارة الأفريقية.

ويبلغ تعداد المسلمين في موزنبيق نحو 30% من مجموع السكان البالغ عددهم 20 مليون نسمة.

وقد أهملت السلطات الحاكمة في موزنبيق أحوال المسلمين، فالمساجد المنتشرة في الغرب من موزنبيق بسيطة ومتواضعة وألحقت بها مدارس أقل تواضعاً ويدرس الدين الإسلامي معلمون غير مؤهلين لذلك، وهذا ما انعكس سلباً على سير العملية التعليمية في موزنبيق فيما يخص المسلمين هناك.

- **مالاوي**

تعد إحدى الدول الأفريقية جنوب الإستواء، تقع في الجنوب الشرقي من وسط القارة الأفريقية.

تتواجد فيها أقلية مسلمة، تصل نسبتها نحو 15% من مجموع السكان البالغ عددهم 12 مليون نسمة، ويشكل الكاثوليك 20% والبروتستانت 20% أيضاً.

وفي 17 أيار (1994) جرت انتخابات نيابية تميزت بمشاركة كثيفة، إذ شوهدت طوابير من المقترعين تمتد لمسافة كيلومتر من مركز الاقتراع في بعض الدوائر الانتخابية، وأسفرت عن هزيمة الرئيس المالاوي بندا الذي اعترف بها، وهنأ منافسه باكيلي مولوزي زعيم حزب الجهة الديمقراطية المتحدة. ومن المعروف عنه أنه رجل أعمال احتل منصب الأمين العام لحزب مؤتمر مالاوي الذي يتزعمه بندا قبل أن يشكل حزبه.

وصار مولوزي بما أفرزته الانتخابات أول مسلم يحكم مالاوي، ومما أشيع إبان الحملة

الانتخابية ان باكيلي مولوزي تسلم في وقت سابق كمية كبيرة من المال من دولة إسلامية عربية لدعم حملته من أجل أسلمة البلاد. وفي لقاء أجرته صحيفة الحياة مع مولوزي في 8 تموز (1994) جاء فيه: «المزاعم التي أثيرت عما أسموه اسلمة البلاد لا تمت إلى الحقيقة بصلة، إذ لا استطيع أن اصدق أن شخصاً واحداً في هذا البلد يمكنه أن يحول أكثر من 10 ملايين شخص من سكانه إلى مسلمين، وهذا أمر غير وارد....».

إن رد الرئيس مولوزي على تهمة أسلمة المجتمع المالاوي في غير محله، فالرد في واد، والجواب في واد آخر، فليس المقصود هنا الأشخاص غير المسلمين بل بالمساجد التي ستأوي المسلمين، وما إلى ذلك من مؤسسات إسلامية تصبغ مالاوي بالصبغة الإسلامية، وخاصة أن هذه الصبغة غير محبذة في الأوساط الاستعمارية الإمبريالية[1].

وفي مالاوي العديد من الهيئات الإسلامية المحلية، منها جماعة بلانتير الإسلامية، والمركز الإسلامي الاجتماعي، والشباب المسلم، وقد حضر وفد من هؤلاء مؤتمر الشبيبة المسلمة في سبعينيات القرن العشرين المنعقد في بتسوانا، وبعدها عقد مؤتمر الشباب الإسلامي لجنوبي أفريقيا في مالاوي وعقد تحت شعار «أفريقيا للإسلام، والإسلام لإفريقيا» ويعقد المؤتمر كل عامين لشباب جنوب أفريقيا لتدارس مسيرة الدعوة الإسلامية، وناقش المؤتمرون الإسلام في القرن العشرين والتحديات المضادة، وواجبات الإنسانية ومؤسسات الزكاة وتوحيد كلمة المسلمين، ومستقبل الدعوة الإسلامية في أفريقيا.

- زامبيا

تقع زامبيا في وسط جنوبي القارة الأفريقية، وهي دولة داخلية لا سواحل لها، لذا يتحكم جيرانها في تجارتها.

وزامبيا هي المحمية البريطانية السابقة روديسيا الشمالية، فرضت عليها سيطرتها بعد أن أسس سيسل رودس[2] شركة جنوب أفريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، فعقد رودس معاهدة مع الملك لوينجولا عام (1888) فوضعت منطقة روديسيا الشمالية

1 الامبريالية: عملية توسعية تقوم على مبدأ احتكار رأس المال، كون الأساس من منظورها لابد من سيطرة طرف واحد على أطراف أخرى، ولا يتم لها ذلك إلا من خلال طرائق عدة، ومن بينها طريقة الاحتكار. وهي نظام يسعى إلى تقليل أو إخفاء حالة الاعتماد على النفس، وإحلال مبدأ الاعتماد على الآخر محله. أحمد صالح عبوش، نظرة في الامبريالية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 2009)، ص ص28-29.

2 سيسل رودس (1853-1902): رئيس وزراء مستعمرة الكاب عام 1890، شهد عصره توسعاً في الإمبراطورية البريطانية. عرف باسم ملك الماس، ولد في هيرتفوردشاير في بريطانيا، وتوفي في مدينة كيب تاون في جنوب أفريقيا.

والجنوبيــة على أثر هذه المعاهدة تحت الحماية البريطانية، وهاجر البريطانيون إليها، ثم تنازلت شركــة جنوب أفريقيا عــن حقوقها للحكومة البريطانية عام (1881) فأعلنت قيام مســتعمرتي روديســيا الشــمالية والجنوبية، وأعلنت زامبيا اســتقلالها عام (1964) وعرفت بعد استقلالها باسم جمهورية زامبيا، نسبة إلى نهر الزامبيزي الذي يخترق أراضيها وعاصمتها (لوساكا).

ولا تتعدى نســبة المســلمين في زامبيا 3-4% من مجموع الســكان البالغ نحو 11 مليون نسمة.

وفي آيار (1996) شــهدت زامبيا موجة تفجيرات استهدفت مبنى قصر الرئاسة وصحيفة «تايمز زامبيا» الرســمية في إقليم ندولا، ومطار العاصــمة لوســاكا، وأعلنت جماعة «المامبا الســوداء» – نســبة إلى نوع من الثعابين الســامة النادرة – مســؤوليتها عن هذه السلســلة من التفجــيرات، وكانــت تعارض التعديلات الدســتورية التي أجازها البرلمــان الزامبي، ومنها تعديل يقضي بإعلان زامبيا دولة مسيحية. يضاف إلى ذلك أن الرئيس الزامبي شيلوبا اعترف بإسرائيل وأعاد العلاقات الدبلوماســية معها مع وصــوله إلى السلطة عام (1991) والتي كان الرئيس الأسبق كاوندا قد قطعها بعد حرب حزيران (1967) فقام الرأي العام السياسي الموالي بعملية ربط بين إعادة العلاقات الإسرائيلية بالتفجيرات، وعدّ أن الجماعة المسؤولة عنها تنتمي إلى متطرفين إســلاميين يتخذون من شرقي أفريقيا قاعدة لهم، وأنهم غاضــبون على إحلال صداقة إسرائيل محل صداقة العراق وإيران.

وقد اتهمت الحكومة المعارضــة، حزب الرئيس الســابق كاوندا بالقيام بالتفجيرات على أســاس ان كاوندا نفســه كان قد أطلق عليه الاستعمار الاسم نفسه «مامبا السوداء»، بعد أن أعلن خطته الخماســية لاستقلال روديسيا الشمالية (زامبيا)، ومن الجدير بالذكر أن المعارضة ليست وحدها من وقفت ضــد التعديلات الدستورية، فقد وصفت الكنيسة هذه التعديلات بأنهــا غير ديمقراطية، وهددت دول مؤثرة مثل الولايات المتحــدة وبريطانيا بإيقاف المعونات وقطع المساعدات عن زامبيا ما لم تتراجع الحكومة الزامبية عن قرار التعديل.

يوجد في زامبيا العديد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية فهناك الجمعية الإسلامية التي تشرف على المساجد، وجمعية الشباب المسلم وينتمي اليها العديد من الهنود والباكستانيين، ولكل مجموعة عرقية منظمة إسلامية، وهكذا تتعدد المنظمات دون مبرر، مما يسبب تشتيت الجهد وضياع لوحدة الصف.

وتنتشر المساجد في مناطق التجمعات الإسلامية ، وتقام بجهود فردية ، وهناك أعداد أخرى من المصليات في بعض القرى والأرياف .

وصدرت في زامبيا خطة إصلاحية للتعليم عام (1977) هدفت إلى سد احتياجات خطط التنمية لتطوير البلاد ، والقضاء على الأمية ، ولما كانت الأقلية المسلمة غير معترف بها من قبل السلطات الزامبية ، لم ينل التعليم الإسلامي نصيباً وافراً من خطة تطوير التعليم في زامبيا ، وهناك نسبة لا بأس بها من أولياء الأمور يرفضون تعليم أطفالهم في المدارس الحكومية بسبب مناهجها ، ويفضلون إلحاقهم بالمدارس الإسلامية رغم قلتها ، والتي لا تتجاوز كونها كتاتيب لتعليم القرآن الكريم ، وهذا القطاع في حاجة إلى تطوير نظم التعليم حتى تتاح لهم فرص المستقبل في زامبيا .

- زمبابوي

وتعرف باسم روديسيا الجنوبية ، أعلنت استقلالها عام (1965) بعد أن كانت تحت وطأة الاستعمار البريطاني .

تقع زمبابوي في القسم الجنوبي الشرقي من وسط القارة الأفريقية ، وهي دولة داخلية لا سواحل لها ، إذ تبعد عن المحيط الهندي بحوالي مائتين من الكيلومترات .

تشير الآثار المكتشفة إلى أن وصول الإسلام إلى زمبابوي جاء في القرن الأول الهجري ، فقد قامت إمارات إسلامية في المدن الساحلية لشرقي أفريقيا ، وكانوا على صلة بداخل القارة ، تمثلت هذه الصلة في رحلات تجارية قام بها التجار المسلمين .

يوجد في زمبابوي أكثر من 45 ألف نسمة من المسلمين ، وهم من عناصر أفريقية وآسيوية مهاجرة . ويعيش المسلمون في المناطق الزراعية ، ومناطق التعدين ، في وسط وجنوب شرق زمبابوي ، ويقيم التجار المسلمون في المدن الرئيسة مثل بلاوايو ، وعلى جانبي الخط الحديدي الذي يخترق زمبابوي من الشرق إلى الغرب ، وهذا ما أكسب الإسلام كل يوم أنصاراً جدداً .

أما المساجد فعددها ثلاثون مسجداً في زمبابوي منتشرة في معظم المدن والقرى ، وألحقت بهذه المساجد الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين ، ويدرس بها معلمون غير مؤهلين ، والمناهج الدراسية هزيلة ، فالمدارس الإسلامية بحاجة إلى تطوير ومعالجة ودعم بالمؤهلين للقيام بمثل هكذا مهمات ضرورية لإنشاء جيل مسلم مثقف وواعٍ في زمبابوي .

- جنوب أفريقيا

يشكل المسلمون نسبة 2% من مجموع السكان البالغ نحو 45 مليون نسمة.

في عام (1694) وصلت السفينة دي فوتبورغ وعلى متنها 49 مسلماً كانت السلطات الهندية قد قررت نفيهم إلى جنوب أفريقيا لأن النفي الأول كان في جزيرة سيلان (سري لانكا) لم يمنعهم من المقاومة الإسلامية في إندونيسيا بلدهم الأصلي، وابرز شخصيات الدفعة الأولى هذه كان أبو الإسلام في جنوب أفريقيا الشيخ يوسف التاج المقاصدي (نسبة إلى مقاصد في إندونيسيا حيث ولد ونشأ) وكان الأخير شيخاً للطريقة الخلواتية التي كان لها الدور الكبير في محاربة المستعمر الهولندي في مملكة بنتام في الجزء الغربي من جزيرة جاوه (إندونيسيا)، وبعد ذلك نقل المسلمين من هناك إلى جنوب أفريقيا ليعملوا في المزارع الهولندية، واسهم الشيخ يوسف في تأسيس اللبنات الأولى للجالية المسلمة التي نمت بعد ذلك ليصبح عددها في العام (1842) نحو ثلث سكان رأس الرجاء الصالح (الكاب) في جنوب أفريقيا، فزائر الكاب اليوم يجد في قمم الجبال المحيطة بها أضرحة أقيمت على قبور بعض الصالحين التي شيدت بعد رفع الحظر على ممارسة الشعائر الإسلامية ومن أشهر هذه الأضرحة ضريح الإمام عبد الله قاضي عبد السلام الملقب بالسيد الأستاذ المتوفي عام (1807) عن عمر ناهز الخامسة والتسعين، وهو الذي بنى أول مسجد في جنوب أفريقيا عام (1794).

وفي عشرينيات القرن العشرين، سُجن أمام مسلمي جنوب أفريقيا هارون وقضى في السجن تحت التعذيب، وكانت التهمة الموجهة إليه هي نشر الإسلام وبث الروح الوطنية في أوساط السود.

وطوال فترة مكوث نيلسون مانديلا[1] في السجن، كان يشاركه الزنزانة مسلم يعد من رموز حزب المؤتمر الوطني الأفريقي هو أحمد قطرادة، وعندما أصبح مانديلا رئيساً لجنوب أفريقيا كافأه بجعله وزيراً للإصلاح (الوزارة المسؤولة عن شؤون السجون)، ثم عينه مستشاراً له، ولم يكن قطرادة السجين المسلم الوحيد في سجون الفصل العنصري (الابارتيد)، فالشيخ إسماعيل وادي عضو المؤتمر الأفريقي، وأحد نوابه في البرلمان، يقول: إن المسلمين كانوا في ثمانينيات القرن العشرين يشكلون نسبة 10% من السجناء السياسيين

1 مانديلا: رئيس جمهورية جنوب أفريقيا، ولد عام 1918، ويعد أحد ابرز المناضلين والمقاومين لسياسة التمييز العنصري التي كانت متبعة في جنوب أفريقيا، لُقب بـ (ماديبا) وتعني الرجل المبجل.

المناهضين للفصل العنصري، في حين أن الجالية المسلمة لا تمثل سوى 2% من مجموع السكان، ثم يذكر الشيخ إسماعيل ما مفاده: «إن الحكومة في تسعينيات القرن العشرين راحت تقدر دور المسلمين في النضال ضد التمييز العنصري»، وأحد الأدلة التي يستشهد بها على ذلك هو تخصيص الحكومة إحدى قاعات البرلمان كمصلى للنواب المسلمين الذين يزيد عددهم على 22 من أصل 400 نائب[1].

يبلغ عدد المساجد نحو 500 مسجد، وعدد المراكز الإسلامية 30 مركزاً، وتبلغ عدد المدارس الإسلامية 85 مدرسة، وعلى الصعيد الإعلامي هناك العديد من الصحف الخاصة بالمسلمين، مثل جريدة «الأمة»، و «الجمعية»، و«القلم».

وفي بداية القرن الحادي والعشرين بدأ الاتصال القومي بين المسلمين في جنوب أفريقيا والعالم الإسلامي، وأخذت بعض الحركات الإسلامية تتجه إلى هناك، فظهرت الحركة النقشبندية، وظهر الإخوان المسلمون، والاتجاه السلفي، والشيعي.

وتنقسم الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا إلى أعراق ثلاثة هي: الإندونيسي– الماليزي، والهنود والسود، وتهيمن عناصر الملونين خاصة ذوو الأصول الإندونيسية والهنود على التركيب الإثني للمسلمين هناك، إذ يمثلون 96% من إجمالي المسلمين بينما نجد نسبة السود من المسلمين لا تزيد عن 3,5% من إجمالي عدد المسلمين في البلاد.

واجهت الأقلية المسلمة في جنوب أفريقيا مجموعة من القضايا، لعل أخطرها وأكثرها أهمية، قانون الأحوال الشخصية الإسلامي خصوصاً «لائحة الحقوق» التي تعد أعلى مرجعية دستورية في الفترة الانتقالية التي شهدتها البلاد، وتتناقض في بعض تفاصيلها مع بعض مقتضيات الشريعة الإسلامية، وشهدت أوساط المسلمين في البلاد عام 1994 حوارات ونقاشات واسعة حول تقديم قانون الأحوال الشخصية الإسلامي وعرضه على الحكومة والبرلمان.

– الكاميرون

اشتق اسم الكاميرون من الأحجار الكريمة، فهي تعني بلاد الأحجار الكريمة، وتقع في وسط غربي أفريقيا، وتمثل منطقة انتقالية بين أفريقيا الرطبة وأفريقيا الجافة، وكذلك منطقة انتقالية بين وسط أفريقيا وغربها. وفي بدايات القرن العشرين فرض الألمان الحماية على

1 بكر، المصدر السابق، ص ص160–180؛ الخوند، المصدر السابق، ص ص70–72.

الكاميرون، وفي عام 1916 تقاسمت فرنسا وبريطانيا احتلالها.

وصل الإسلام إلى الكاميرون في ظل التبادل التجاري، من خلال القوافل التجارية القادمة من الشمال، واستقرت الجماعات المسلمة في المناطق الشمالية للكاميرون واحترفوا التجارة في القرن الحادي عشر الهجري، وكونوا مجتمعات إسلامية في هذه البلاد، وكان هذا تمهيداً لوصول نفوذ دولة كانم الإسلامية في شمالي الكاميرون ثم تلا ذلك امتداد سيطرة مملكة بورنو الإسلامية أيضاً إلى الشمال الكاميروني وحددت هذه المرحلة بداية توغل الإسلام من الشمال إلى الجنوب الكاميروني منذ القرن السابع عشر الميلادي.

ينتشر الإسلام بين القبائل القاطنة في الجانب الأيمن من نهر (سانجا Sanaga) وفي هضبة ادماوا وفي حوض بنوي في القسم الشمالي من البلاد، ومن أهم العناصر الإسلامية في الكاميرون: الفولاني والباموم والتيكار والكوتركو والماندارا والشاوية العرب وقبائل الكيردي.

وبعد الحرب العالمية الثانية زاد انتشار الإسلام بين القبائل القاطنة وسط الكاميرون، ثم انتقلت الدعوة الإسلامية إلى الجبال في غربي الكاميرون بين قبائل (كوتين Kutin) وجيدار (Giddar) وغيرها، وانتشرت أيضاً في مناطق الجنوب بين قبائل (ماوندانج Mundang) ورغم هذا الانتشار الواسع للإسلام لازالت المصادر الغربية تجعل من المسلمين في الكاميرون أقلية، إذ يشكلون ما نسبته 20% من عدد السكان البالغ عددهم 7، 15 مليون نسمة.

تنتشر المساجد والمدارس الإسلامية في معظم مدن الشمال والوسط وتقل في مناطق الجنوب، وأعداد المسلمين في الكاميرون في تزايد مستمر نتيجة اتساع نطاق الدعوة الإسلامية، وتزداد انتشاراً بين سكان غربي الكاميرون خاصة بين قبائل (البوميليكي Bomileke)، ونلحظ أيضاً أن انتشار الإسلام في مناطق الجنوب آخذ في النماء، ولكن بدرجة اقل من الشمال والوسط والغرب، ويرجع ذلك إلى قيام البعثات التنصيرية بمقاومة انتشار الإسلام في الجنوب بوسائل عدة، أهمها: محاولة جعل الأفارقة من يقع على عاتقهم التبشير بالمسيحية (أي أفرقة البعثات التنصيرية)، والاعتناء بنشاط المدارس الإرسالية والسعي صوب تطوير مناهجها، مستغلة العجز المادي والمنهجي للمدارس الإسلامية. وعلى الرغم من هذه الخطط فالتنصير في الكاميرون مازال في موقف المدافع عن مكاسبه التي أخذت في التناقض أمام الدعوة الإسلامية.

ويوجد في الكاميرون العديد من المؤسسات الإسلامية منها: المجلس الوطني الإسلامي،

ولجنــة ترجمة القرآن الكريم ، والجمعية الثقافية وجمعية الكاميرون الإسـلامية المؤسســة عام 1963 ومن أهم أهدافها: توحيد المسلمين في هيئة واحدة ، ونشر التعليم الإسلامي ، وتنظيم الوعظ في المساجد وما إلى ذلك .

- بنين (داهومي)

إحدى الجمهوريات الصغرى في غربي أفريقيا ، كانت تعرف حتى عهد قريب بداهومي ثم تغير اسمها إلى بنين ، واجهت صراعاً استعمارياً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، انتهى باحتلالها من قبل فرنسـا عام (1894) وبعد احتلال دام أكثر من نصـف قرن استقلت داهومي عام 1960 .

يبلغ عدد المسـلمين في بنين قرابة 15% من مجموع السكان البالغ عددهم نحو 7 ملايين نسمة .

وصل الإسلام إلى بنين عن طريق الممالك الإسلامية ، وخاصة مملكة (صنغي) في الشمال في حوض النيجر ، وما ساعد في ذلك أن أرض بنين تمتد إلى الشمال أكثر من جارتها توغو ، وهذا الامتداد أعان الدعاة المسـلمين على التوغل إلى شمال بنين . ويتركز الوجود الإسلامي في الشـمال والوسـط ، أما في الجنوب فقد انتشر الإسـلام فيه وخاصة في منطقة ساكيتي ، رغم ما واجهته الدعوة الإسلامية هناك من تحديات .

وتنتشر المسـاجد في معظم قـرى ومدن بنين ، وتتزايد أعدادها في الشـمال ، ومن أهم المراكز الإسلامية مدينة (براكو) في الشرق من بنين . وقد أنشئ مسجد الملك فيصل -رحمه اللـه- بمدينة كوتونو بمسـاعدة المملكة العربية السـعودية ، وهو بمثابة مركز إسـلامي يؤدي خدمات مختلفة ، وتقوم بعض الجمعيات بإنشاء العديد من المساجد بمعونات خارجية .

أما التعليم الإسـلامي فيقوم بجهود إسـلامية ذاتية ، إذ شـيدت بعض الهيئات الإسلامية مدارس قرآنية تعادل المرحلة الابتدائية ، وهناك بعض المعاهد الإسـلامية في مسـتوى المرحلة الثانوية منها مدرسة أنصار الإسلام في ساكيتي وتضم المراحل التعليمية الثلاث .

- توغو

جمهورية صـغيرة تقع في غرب أفريقيا ، تعرضت للاحتلال الألماني عام 1894 واستمر حتى الحرب العالمية الأولى ، وبعدها تقاسمت بريطانيا وفرنسا مستعمرة توغو ، وأيدت عصبة

الأمم هذا التقسيم عام (1922)، لتظهر إلى الوجود توغو البريطانية وتوغو الفرنسية، ثم وضعت تحت الوصاية عن طريق الأمم المتحدة عام (1957)، وضمت بريطانيا توغو التابعة لها إلى غانا، وبقيت توغو الفرنسية تحت وصاية فرنسا حتى استقلالها عام (1960).

وصل الإسلام إلى توغو عن طريق البلاد الواقعة في شمالها، حيث الدول الإسلامية في حوض النيجر والسودان الغربي والتي كانت تموج بالدعاة من الشعوب الحامية والزنجية التي اعتنقت الإسلام، ثم أخذت على عاتقها نشر الدعوة في توغو.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية هاجرت جماعات زنجية وثنية إلى كوت ديفوار (ساحل العاج) واعتنقوا الإسلام هناك وبعودتهم إلى توغو زاد عدد المسلمين، واستمرت الدعوة الإسلامية وكثر عدد المسلمين بين القبائل الوثنية.

وتبلغ أعداد المسلمين في توغو نحو 15% من مجموع السكان البالغ عددهم نحو 5 ملايين نسمة.

تنتشر المساجد في معظم مدن وقرى توغو ففي العاصمة لومي أكثر من 6 مساجد، وفي مدينة سيكودي أكثر من 100 مسجد، وتعد عاصمة المسلمين في توغو، وتبرعت المملكة العربية السعودية ببناء مسجد كبير في مدينة شابا.

أما التعليم، فيشرف الاتحاد الإسلامي (تنظيم حكومي) في توغو على التعليم الإسلامي، وهناك أكثر من 22 مدرسة تنتشر في توغو، وقد تمكن الاتحاد الإسلامي من تنظيم أمور المدارس، ووضع مناهج جيدة، ويشارك في العملية التعليمية عدد لا بأس به من المدرسين القادمين من المملكة العربية السعودية، والأزهر، ومن بعض الدول العربية، ومن المواطنين الذين درسوا في الجامعات العربية، ومن هذه المدارس، المدرسة الإسلامية التي أسستها المملكة العربية السعودية في لومي.

لا تدفع الحكومة أية مخصصات للتعليم، فهو قائم على الجهود الذاتية، والتبرعات القادمة من المملكة العربية السعودية ومصر، وبين أبرز المشاكل التي تواجه التعليم الإسلامي في توغو، قلة وجود الكتب الدراسية، والإمكانات المحدودة لدفع رواتب المعلمين الوطنيين.

ويضم الاتحاد الإسلامي في توغو جميع المؤسسات والجمعيات الإسلامية، وله فروع في جميع أنحاء البلاد، ومقره في العاصمة لومي، ويقوم بتوجيه جميع الأنشطة الإسلامية، ولا يسمح بقيام أي تنظيم إسلامي دون إشرافه.

- ناميبيا

كانت مستعمرة ألمانية، ثم خضعت لانتداب جنوب أفريقيا في نهاية الحرب العالمية الأولى، حتى نالت على استقلالها عام (1990)، وناميبيا إحدى دول جنوب أفريقيا، تقع في الجنوب الغربي من القارة الأفريقية، وعاصمتها ويندويك.

إن وصول الإسلام إلى ناميبيا حديث العهد حيث يقدر بحوالي 60 عام، وسبب هذا التأخير هو احتلالها وضرب الحصار حولها مدة طويلة من الزمن، وقصور الدعوة فيها، وتبعثر سكانها فوق مساحة واسعة، وقد وصلتها الدعوة الإسلامية من اتحاد جنوب أفريقيا، والمسلمون في ناميبيا نصفهم من خارجها، والنصف الآخر من القبائل الوطنية.

ينتشر المسلمون في ناميبيا في العديد من المناطق، وتقدرهم بعض المصادر نحو 250 مسلم، وهذا قبل أكثر من 20 عاماً، ورغم قلة أعداد المسلمين إلا أنهم ينتشرون في مناطق متعددة، ويتركز أكبر تجمع للمسلمين في ناميبيا في العاصمة ويندويك، وفي منطقة لودريتز وغيرها من المناطق الأخرى.

• رابعاً: آسيا

كلمة (آسيا Asia) مشتقة من الكلمة الأشورية "أسو" Asu والتي تعني الشرق، وبالإمكان تقسيمها إلى ستة أقسام: آسيا الغربية، وآسيا الجنوبية الشرقية، وآسيا الشرقية، وآسيا العليا وآسيا الشمالية[1].

تعد القارة الآسيوية عامة ودول المشرق العربي خاصة مهد الحضارات ومنبت الأديان (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، فهي الكفة التي تقابل الكفة الأخرى (الغرب) من العالم، وبهذا تتعادل الكفتان على وجه الأرض، وهذا من سنن الله - عز وجل - في الحياة وفي الإنسان نفسه.

- الأقلية المسلمة في شرق اسيا

تعد اليابان، والكوريتان، والصين، وهونج كونج، وتايوان، والفلبين من دول شرق آسيا التي تتواجد داخل حدود كل منها أقلية مسلمة، وصلت بطريقة أو بأخرى إلى تلك

1 محمد احمد عقلة المومني وعبد علي الخفاف، آسيا أوروبا افريقيا أمريكا الشمالية أمريكا الجنوبية أستراليا نيوزلندا وجزر المحيط الهندي، دار الكندي للنشر والتوزيع، (عمان، 1998)، ص7.

الأراضي، فمنها مضطهد ومنها غير ذلك.

- اليابان

تقع اليابان في شرقي القارة الآسيوية، وتتكون من قوس يضم العديد من الجزر أبرزها جزيرة هوكايدو وهنشو وشيكوكو وكيوشو، فضلاً عن عدد من سلاسل الجزر وآلاف الجزر الصغرى، تمتد على شكل أرخبيل (مجموعة جزر متقاربة) يبلغ طوله ثلاثة آلاف وثمانمائة كيلومتر، وتقع هذه الجزر فوق مناطق ضعف جيولوجي، وهذا ما جعلها عرضة للزلازل والبراكين.

كانت اليابان منغلقة على نفسها، وزاد في عزلتها موقعها الجزري في المحيط الهادي، لهذا لم يصلها الإسلام إلا في وقت متأخر، رغم وجود الإسلام بجوارها (الصين والفلبين) منذ وقت مبكر، وهذا من غرائب الأمور، فانتشار الإسلام في شرقي آسيا لم تعوقه البحار أو المحيطات، لكن عزلة اليابان كانت العائق الأبرز في الحيلولة دون دخول الإسلام إليها، ولما فتحت اليابان أبوابها دخل الإسلام إليها. فالإسلام لا يكسر الأبواب، بل يستأذن للدخول.

عرف اليابانيون معلومات يسيرة عن الإسلام من جيرانهم الصينيين، واخذوا معلوماتهم من الكتب الصينية، ومما كتبه الأوروبيون، وجاءت دفعة جديدة بانفتاح اليابان على العالم الخارجي والاتصال بالبلاد الإسلامية، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر زارت إحدى السفن الحربية العثمانية موانئ اليابان من باب المجاملة، ولكن السفينة تحطمت أثناء عودتها بالقرب من جزر اليابان، ومات العديد من أفراد طاقمها، فأرسلت اليابان إحدى سفنها لتحمل الأحياء من السفينة العثمانية إلى اسطنبول، وكان هذا أول اتصال إسلامي باليابان.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى افتتح اليابانيون مفوضية في اسطنبول وبدأ اتصالهم بالعالم الإسلامي، فأرسلوا مبعوثاً إلى جدة لتوثيق هذه العلاقات، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ازدهر انتشار الإسلام بين اليابانيين، مع عودة الجنود اليابانيين من البلاد الإسلامية في جنوب شرق آسيا، فقد اعتنق العديد منهم الإسلام أثناء وجودهم في تلك البلاد.

وفي سبعينيات القرن العشرين اتسعت دائرة الإسلام في اليابان، فبعد أن كانت أعدادهم 4 آلاف مسلم وصلت إلى 28 ألف مسلم، جاءت هذه الزيادة في ظل الدستور الياباني الذي

نص على عدم التدخل في المعتقدات الدينية، وقد نشط المسلمون اليابانيون في الدعوة إلى دين الله – جل جلاله –، ولهذا يتزايد عدد المسلمين عاماً بعد آخر.

يوجد في اليابان أربعة مساجد: واحد في طوكيو، أسسه محمد عبد الحي قربان وهو على طراز المساجد التركية، ومسجد في مدينة اوساكا (حيث غالبية المسلمين يقطنون هناك)، وتعد ثاني المدن اليابانية من حيث عدد السكان بعد العاصمة طوكيو، ومسجد في مدينة كوب، ومسجد في مدينة ناغويا.

وقد أنشأت السلطات اليابانية بعض المؤسسات المهتمة بالشؤون الإسلامية لدراسة عادات الشعوب المسلمة، ولمساعدة القوى العسكرية اليابانية التي احتلت معظم دول آسيا الجنوبية (إندونيسيا وماليزيا وغيرها) في إدارة شؤونها، وصدرت عن هذه المؤسسات العديد من الإصدارات أهمها: "سيرة محمد" لمؤلفه سكوموتو عام (1923) الذي كان قد ترجم معاني القرآن الكريم للمرة الأولى إلى اليابانية عام (1920)، وكتاب "الإسلام" لمؤلفه قمه سغوا، ويعد أول محاولة لتفسير العقيدة الإسلامية للقراء اليابانيين. وكان أول ياباني يقوم بفريضة الحج بحسب السجلات اليابانية هو قوترو يما اوتو عام (1912)، وقد نشر قصة زيارته للأراضي المقدسة تحت عنوان "أسرار العالم: الرحلات العربية"، وفي عام (1999) وحسب إحصاءات وزارة الخارجية اليابانية، فإن حوالي 140 يابانياً قاموا بأداء فريضة الحج.

وهناك العديد من المراكز والهيئات الإسلامية في اليابان أهمها: المركز الإسلامي الياباني الذي باشر بعمله عام (1965)، وحصل على اعتراف من الحكومة اليابانية بوصفه منظمة دينية قانونية عام (1970)، وسُجل لدى الدوائر اليابانية ذات العلاقة عام (1980)، ويقوم المركز بنشر المنشورات الإسلامية (أكثر من 40 كتاباً عن الإسلام باللغة اليابانية)، وبرعاية المسلمين اليابانيين، ويعمل تحت شعار "الدعوة – النشر – التنسيق"[1].

- **كوريا الجنوبية**

تقع شبه الجزيرة الكورية في شرق آسيا، يفصلها عن الصين البحر الأصفر الذي يقع في غربها، وتشترك الحدود الشمالية والشمالية الغربية مع كل من الاتحاد السوفيتي والصين، وقسمت شبه الجزيرة الكورية بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين تفصل بينهما منطقة محايدة قرب خط العرض 38: كوريا الشمالية وعاصمتها بيونج يانج، وكوريا الجنوبية وعاصمتها

1 الخوند، المصدر السابق، ص107؛ بكر، المصدر السابق، ص ص57-58.

سيول (التي نحن بصدد دراستها).

يشير تاريخ كوريا الجنوبية إلى أن وصول العرب إلى أراضيها كان مبكراً، وذلك عن طريق التبادل التجاري بين الجانبين في القرن الحادي عشر الميلادي، ففي 1040م زار وفد من التجار العرب كوريا وقدموا هدايا من المرجان إلى الملك جوان جونج، قادمين من الصين.

أما الوصول الفعلي للإسلام فقد جاء أثناء الحرب الكورية الأخيرة بعد عام 1950، بعد أن وصلت إلى كوريا الجنوبية قوات تركية ضمن قوات هيئة الأمم المتحدة، وتمكنت القوات التركية من تشييد مسجد لتأدية الصلاة عام 1956، فكانت هذه البداية، وأقبل الكوريون على اعتناق الإسلام، ووصل عددهم إلى 4000 كوري مسلم ثم أخذ عدد المسلمين يتزايد باستمرار، وتأسس الاتحاد الإسلامي الكوري عام (1963)، وأرسلت ماليزيا مندوباً إلى هناك لتفقد أحوال المسلمين الكوريين. وفي عام 1966 أعيد تنظيم الاتحاد الإسلامي الكوري وانتخب صبري سوح رئيساً، وعبد العزيز كيم سكرتيراً، وبني مسجد في العاصمة سيول.

وفي عام 1967 قام سوح بزيارة عدة دول إسلامية كماليزيا والمملكة العربية السعودية وباكستان ومصر والقدس، بهدف توثيق العلاقات بين المسلمين في كوريا والعالم الإسلامي.

وفي العام نفسه اعترفت وزارة الإرشاد الكورية بالاتحاد الإسلامي في كوريا، وتبرع رئيس الجمهورية الكوري آنذاك بمساحة تقدر بخمسة آلاف متر مربع لإقامة المسجد الإسلامي الرئيسي والمركز الإسلامي بسيول، وفي عام (1971) وضع حجر الأساس لهذا المشروع، وأثناء قيام الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بزيارة اليابان، استغل وفد من مسلمي كوريا الجنوبية ذلك، فتمكنوا من مقابلته هناك، وحصلوا منه على دعم مادي، وفي عام 1972 تشكلت لجنة من الاتحاد الإسلامي الكوري لبناء المسجد والمركز الإسلامي بكوريا، وفي العام التالي زارت المملكة العربية السعودية ومصر، والإمارات العربية المتحدة وقطر والمغرب وليبيا، وفي عام 1974 احتفل بإتمام بناء المركز الإسلامي بسيول، وحظر الاحتفال وفود من بعض الدول العربية والإسلامية.

وفي عام 1976 عقد مؤتمر للأقليّات المسلمة في سيول، واتخذ المركز الإسلامي مقراً له، وافتتح معهد اللغة العربية في العام نفسه بالمركز الإسلامي، وصدر أول كتاب عن المركز الإسلامي الكوري بعنوان "كيف تكون مسلماً"، ثم تأسست أول جمعية خيرية في كوريا، وانشأ المركز الإسلامي مسجداً صغيراً في مدينة بوسان حيث يوجد أكثر من 300

مسلم، وفي عام (1977) زار وفد سعودي- كويتي مسلمي كوريا، واقترح بناء مدرسة إسلامية لتعليم أبناء المسلمين الكوريين، وتبرع لهذا المشروع الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بمبلغ 25000 دولار، كمنحة سنوية ترسل إلى الاتحاد الإسلامي الكوري.

وقد وصل عدد المسلمين في كوريا عام (1981) إلى 19550 مسلماً يتوزعون في ثلاث مناطق هي: سيول وبوسان وكوانجو.

- الصين

تعد الصين ثاني دول العالم مساحة، والأولى من حيث عدد السكان، إذ تشغل مساحة واسعة من قارة آسيا، وتنقسم الصين إلى ستة أقاليم إدارية، يضم كل إقليم العديد من المقاطعات.

تعد الديانة البوذية والتاوية (الطاوية) من أكبر الأديان الصينية وقد اندمجا في الكونفوشيوسية التي هي في حقيقة الأمر اقرب إلى الفلسفة منها إلى الدين. وقد تحولت الكونفوشيوسية منذ القرن الرابع عشر الميلادي إلى دين شعبي يختلف في بعض طقوسه بين منطقة وأخرى، والقاسم المشترك بينهما هو تقديس الأجداد إلى درجة العبادة.

ويبلغ عدد المسلمين في الصين نحو 35 مليوناً بحسب الإحصاءات الرسمية. لكن المصادر الإسلامية داخل الصين وخارجها ترجح أن العدد يقترب من الـ 100 مليون مسلم من مجموع السكان البالغ نحو 3، 1 مليار نسمة. وكان الإسلام قد دخل الصين عن طريق التجار العرب في القرن السابع الميلادي، وفي القرن الثالث عشر الميلادي عرف الإسلام توسعاً كبيراً مع فتوحات جنكيزخان. وفي عام (1990) أقفلت السلطات الصينية 50 مسجداً، ومنعت بناء 100 مسجد.

تعد مجموعة الايغور المسلمة، أكبر المجموعات المسلمة في الصين والتي يتركز تواجدها في كسينجيانغ وتنتمي الأقلية المسلمة في الصين إلى اثنيات عدة منها: الهان الذين يشكلون 92% من مجموع الصين، والكازاخ، والتركمان والكينغاي (نسبة إلى بحيرة كينغاي، أكبر البحيرات في الصين).

ينتشر المسلمون في أقاليم عدة في غربي الصين وشمالها ووسطها، وخاصة في كسينجيانغ التي تعني بالصينية (الأرض الجديدة)، وقد أطلق هذا الاسم على الإقليم بعد أن تمكن الصينيون في عام (1760) من احتلاله وضمه بعد أن كان جزءاً من دولة تركستان

الإسلامية.

ولا توجد أية إشارة لوجود صراع طائفي بين مسلمي الصين طوال تاريخ وجودهم في الصين، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم الحنفيين (نسبة إلى الإمام أبي حنيفة)، ويتوزع مسلمو الصين على عشر قوميات، ضمن 500 قومية معترف بها رسمياً في الصين، وبحسب الإحصاءات الرسمية تأتي قومية الايغور في المرتبة الثانية بعد قومية الهوي الصينية[1].

واجهت المسلمين العديد من التحديات في القرن العشرين، ففي عام (1911)[2] وقع صدام مسلح بين المسلمين وأحد حكام المقاطعات الصينية أدى إلى مقتل الآلاف من المسلمين، وحدث صدام مسلح آخر بين المسلمين والسلطات الحاكمة في مقاطعة جانصو عام (1928)، وعلى الرغم من صعوبة هذه التحديات إلا أنها تعد ضعيفة إذا ما قورنت بالتحديات الصعبة التي قاسى منها المسلمون في الصين في ظل الحكم الشيوعي.

استولى الشيوعيون على حكم الصين عام 1949، وقد نص الدستور الصيني الجديد في عهد الشيوعيين على حرية العبادة[3]، شأنه في ذلك شأن الدستور السوفيتي لكنها لم تكن أكثر من مجرد شعارات لا وجود لها على أرض الواقع. شكلت السلطات الشيوعية الجمعية الصينية الشعبية الإسلامية، وكان الهدف من ذلك مساندة المسلمين للنظام الجديد، وإيهام العالم الإسلامي بأن النظام الشيوعي الصيني يهتم بحرية ممارسة المسلمين لشعائرهم الدينية، وقد وزعت الجمعية نشرات مطولة عن منح المسلمين حكماً ذاتياً في الصين ضمن 34 مقاطعة، لكن مجريات الأحداث أثبتت عكس ذلك، فلقد فرض على المسلمين نظام الزواج المختلط، وصودرت أملاك الأوقاف الإسلامية، وهكذا فقد قضى هذا القرار على رواتب العديد من الوعاظ والمدرسين، وقد قاوم المسلمون هذا التسلط في العديد من الولايات الصينية، فرد الشيوعيون على ذلك بأن ألقوا القبض على زعماء المسلمين، وأودعوهم السجون، وأحرقت الكتب الإسلامية، وأغلقت المساجد، والمدارس، وشرد علماء الدين، وفر العديد منهم إلى الخارج.

كانت قضية المسلمين في الصين في ظل هذه الظروف غير مثارة إلا بقدر ما يحسن

1 الخوند، المصدر السابق، ص ص108-109.
2 في 10 تشرين الأول عام 1911 أعلنت الجمهورية في الصين. فهمي هويدي، الإسلام في الصين، عالم المعرفة، (الكويت، 1990)، ص83.
3 الجمعية الإسلامية الصينية، الحياة الدينية لمسلمي الصين، (د. م، 1981)، ص5.

علاقات الصين بالعالم الإسلامي ، فقد أقلق مصير الملايين من المسلمين العالم الإسلامي في ظل الحكم الشيوعي الجديد ، إذ ظهرت العديد من المقالات الصحافية تهاجم وجود الأعداد الكبيرة للمساجد ، وهذا ما أدى إلى تعطيل إقامة الشعائر الدينية ، والأدهى من ذلك محاولة البعض استخدام المساجد لأغراض اقتصادية ، وتوقف سفر بعثات الحج ، وتهجير المسلمين من مناطق الكثافة الإسلامية الكبيرة إلى مناطق أخرى .

ومنذ عام (1966) وحتى عام (1976) تأزمت الأوضاع ، وظهرت ما يعرف بمرحلة الانتفاضة الثقافية (شكلت هذه الانتفاضة منذ بداياتها مجموعة ثورية لمقاومة الإسلام) أو مرحلة انتفاضة الملاعين ، وتصفه السلطات الصينية في تلك الفترة بفترة حكم العصابة الأربعة ، فلقد عذب علماء الدين من المسلمين ، واقتحم شباب العصابة الأربعة منازلهم وأخذوا المصاحف والكتب وأحرقوها علانية في الشوارع ، وفقد المسلمون الصينيون مخطوطات نادرة ، وامتدت الحملة الشعواء إلى المساجد فأغلقت العديد منها عام 1966 ، وحوّل البعض الآخر إلى ورش ومخازن ، وأبقوا على مسجد واحد في بكين ليصلي فيه الدبلوماسيون المسلمون ، وألغيت العطل الإسلامية وتظاهر المسلمون مطالبين بعطلة يوم الجمعة[1] ، وفي هذه المرحلة حاول النظام الشيوعي مسخ الشخصية الإسلامية في الصين ، ومنذ عام 1978 بدأت مرحلة جديدة وأوجد قانون ينص على عدم انتهاك أعراف وعادات أبناء الأقليّات القومية ، ووُعد بإعادة فتح المعاهد والمجلات التي أغلقت ، واستئناف بعثات الحج ، وإعادة فتح المساجد المغلقة البالغ عددها أكثر من 1900 مسجد ، وإعادة العطل الإسلامية ، وأسهمت الحكومة الصينية في نفقات إصلاح المساجد ، وفي عام 1980 أرسلت الجمعية الإسلامية الصينية التي تأسست عام 1953 مندوبين عنها لحضور المؤتمر الإسلامي في باكستان .

- تايوان (الصين الوطنية)

تقع في شرق آسيا ، ظلت تابعة للصين حتى عام 1895 ، ثم وقعت تحت سيطرة اليابان ، وبعد هزيمة الأخيرة في الحرب العالمية الثانية عادت تايوان إلى الصين عام 1945 ، وعندما زاد النفوذ الشيوعي في الصين ، هاجر إلى تايوان قسم من الجيش الصيني بقيادة الجنرال كايشيك عام 1950 وتكونت جمهورية الصين الوطنية بزعامته .

وصل الإسلام حديثاً إلى الأراضي التايوانية ، عندما هاجر إليها 20 ألف مسلم من الصين

1 بكر ، المصدر السابق ، ص ص94-95 .

الشيوعية عام (1949) إبان سيطرة الحزب الشيوعي على الصين، وتزايدت أعداد المسلمين فيها حتى وصلت إلى 50 ألفاً في الآونة الأخيرة، والمسلمون في تايوان في وضع جيد بسبب حرية العقيدة، فمنهم 27 عضواً في المجالس التشريعية، واثنان نواب وزراء، وآخرون جنرالات في الجيش. أما عن وضعهم الاقتصادي فهو جيد إلى حد ما، ويتوزع المسلمون في العاصمة تايبيه وفي بعض المدن الأخرى من تايوان، ويتكون المسلمون هناك من الهوي، والأتراك، والايغوار، ويوجد مسجد رئيس في العاصمة، والبعض من المساجد الأخرى في مدينتي تايسنج وكاثبنج.

وتوجد الجمعية الإسلامية الصينية في العاصمة تايبيه، وتشرف على المساجد والتعليم الإسلامي، وتقوم هذه الجمعية بدراسة مشروع إنشاء مركز ثقافي إسلامي في تايبيه، وإعادة بناء مساجد العاصمة، وبعض المساجد الأخرى، وترجمة معاني القرآن الكريم، وبعض الكتب الصينية.

- تايلند (سيام)

تقع تايلند في جنوب شرق آسيا، واشتق اسمها من اسم الجماعات البشرية التي تقطنها ويعرفون بالتاي، وهم أنفسهم يطلقون على أرضهم اسم (موانج تاي) أي: أرض الأحرار، وعرفت هذه البلاد أيضاً باسم (سيام) وأطلق الاسم على الدولة، ثم أصبحت تعرف بمملكة تايلند في الربع الأخير من القرن التاسع عشر[1].

بدأ الدين الإسلامي بالانتشار أولاً في شبه جزيرة الملايو، ثم وصل إلى تايلند عن طريق التجار العرب، الذين جاءوا للاتجار ونشر الإسلام معاً.

ويعيش المسلمون في جنوب تايلند وهم مواطنون أصليون، ولم يتصل نسبهم إلى التجار الذين هاجروا إليهم، ويثبت التاريخ أنهم مواطنون محليون مقيمون في هذه الأرض قبل الميلاد وبعده، وأقاموا مملكتهم باسم (مملكة لانكا شوكا)، وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر أقاموا دولتهم الجديدة باسم (مملكة سري ويشاي)، واستمرت الدولة بنفوذ إسلامي قوي، إذ غرست الديانة الإسلامية داخل مملكة فطاني الإسلامية[2].

1 المصدر نفسه، ص167.

2 مملكة فطاني: تقع في جنوب قارة آسيا في شبه جزيرة الملايو، وفي عام 1350 كان قد حكم فطاني (اندرا سري وان شاه) الذي كان مصاباً بمرض عقام، عجز اطباؤه وكهنته في مداواته، فتقدم أحد أطباء المسلمين لعلاج الملك شريطة أن يستجيب الملك لمطالبه، وهي: أن يعتنق الملك الدين الإسلامي إذا قدر له الشفاء، وأن يترك الحرية لدعاة الإسلام في العمل، فبعد شفاؤه أوفى

نشط المسلمون في القرن التاسع عشر، وفي النصف الأول من القرن العشرين، فتولوا مناصب مهمة في الدولة، إذ تولى أحدهم رئاسة الوزراء بعد الحرب العالمية الثانية، وقيادة الجيش والأسطول. وللمسلمين في تايلند مجلس إسلامي، وعملوا على تشييد المساجد، فبلغ عددها في العاصمة التايلندية بانكوك أكثر من 130 مسجداً، وهناك عدد من الجمعيات الإسلامية والهيئات الخيرية، والمدارس الابتدائية الإسلامية، وهناك مجالس إقليمية متعددة إلا أن الكثير منها مجرد مجالس شكلية، وتخصص الحكومة للمسلمين 10% مما يخصص للبوذيين من ميزانية الدولة، وهذا لا يتفق مع نسبتهم، التي تقدر بنحو 5، 7 مليون مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم نحو 62 مليون نسمة.

أما عن عدد المساجد فيوجد في تايلند ما بين 1800 إلى 2000 مسجد، وطبقاً للإحصاء الحكومي يوجد 351 مسجداً في فطاني، و 314 مسجداً في ناراثيوات، و198 مسجداً في ستنج خولا، و155 مسجداً في يالا، و134 مسجداً في بانكوك، وهناك عدد من المساجد في الشمال التايلندي، وقد بنت الحكومة مسجداً مركزياً في فطاني، وآخر في بانكوك، وهناك مخطط لبناء مثل هكذا مسجد في الولايات الأخرى إرضاءً للمسلمين، إلا ان هذا المخطط بقي معطلاً.

- كمبوديا (كمبوتشيا)

توجد كمبوديا ضمن الوحدات السياسية لشبه جزيرة الهند الصينية في جنوب شرق آسيا، تحدها فيتنام من الشمال الشرقي، والشرق والجنوب الشرقي، وتحدها لاوس من الشمال، وتايلند من الشمال الغربي.

انتقل الإسلام إلى شبه جزيرة الهند الصينية عن طريق الإندونيسيين والتجار العرب، ووصلهم الإسلام في القرن التاسع الهجري، ويصل عدد المسلمين في كمبوديا إلى مائتي ألف نسمة، ويتوزعون على أربع عشرة ولاية، إلا أن تمركزهم في منطقة كامبونج- تشام، في القسم الجنوبي من البلاد، وهناك جماعات مسلمة تنتمي إلى العناصر الجاوية- نسبة إلى جاوة إحدى الجزر الاندونيسية- تنتشر في المناطق الساحلية، ثم ما لبث أن تعرض المسلمون لمصير

الملك بوعده الذي قطعه على نفسه فاسلم. وقد كانت فطاني دولة مستقلة تسيطر على جميع الساحل الشرقي من شبه جزيرة الملايو، وأن اللغة الرسمية للبلاد هي اللغة الملايوية، والدين الإسلامي هو الدين الرسمي. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمود شاكر، فطاني، منشورات العصر الحديث، (د. م، 1974)، ص29-30.

مؤسف في سبعينيات القرن العشرين تحت ضغط النظام الشيوعي (الهومير) الخمير الحمر[1] الذين بدؤوا عمليات استئصال للأقلية المسلمة في كمبوديا، ففرّ المسلمون إلى ماليزيا وتايلند.

لقد شيد المسلمون 185 مسجداً، 9 منها في العاصمة بنوم بينه و 59 مسجداً في منطقة كامبونج- تشام، وتنتشر المساجد الأخرى في مناطق المسلمين الكمبوديين، وقد أباد الخمير الحمر 70% من المسلمين ودمروا جميع المساجد في البلاد.

• الأقلية المسلمة في جنوب آسيا

- الهند

تصل أعداد المسلمين في الهند إلى 120 مليون نسمة من مجموع السكان البالغ نحو مليار وخمسين مليون نسمة (حسب تقديرات 2004).

يعيش المسلمون بين ديانات الهند العديدة، منها الهندوسية والبوذية والسيخية والمسيحية، وأكثر الديانات الوثنية انتشاراً هي الهندوسية، وتقوم على نظام الطبقات، إذ ينقسم المجتمع إلى أربع طبقات في نظر الهندوسية:

1 - طبقة البراهمة (الكهان).

2 - طبقة الاكشترية (المحاربين).

3 - طبقة القيشية (الزراع والتجار).

4 - طبقة الشودرا (المنبوذين).

وصل الإسلام إلى الهند مبكراً، وتمثل أول قدوم للإسلام عبر محور بحري انتقل الإسلام عبره عن طريق التجار العرب الذين تعاملوا مع موانئ سواحل الهند، وحمل التجار العرب الدين الإسلامي الجديد في بدايته إلى الهند، وأصبح في كل ميناء أو مدينة اتصل بها العرب جماعة مسلمة، وأقاموا المساجد وباشروا شعائرهم الدينية في حرية تامة.

وقامت في الهند العديد من الدول الإسلامية منها الدولة الغزنوية التي شملت القسم الشمالي من الهند وأفغانستان وبلاد ما وراء النهر، والقسم الأكبر من بلاد فارس، والدولة المغولية التي ازدهرت الهند في عهدها.

1 الخمير الحمر: حزب سياسي حاكم في كمبوديا.

ينتشر المسلمون في جميع الولايات الهندية حسب إحصاء عام (1971)، ولكن أعدادهم متباينة من منطقة إلى أخرى.

وتضم الهند العديد من الجمعيات والهيئات الإسلامية التي تنتشر في أنحاء مختلفة من البلاد، وتزاول أنشطة مختلفة لصالح المسلمين مثل إقامة المدارس والجامعات والهيئات الخيرية، وإصدار الصحف والمجلات الإسلامية، والاهتمام بالتعليم من أبرز أنشطة الجمعيات والهيئات الإسلامية في الهند، وهذه الأنشطة موزعة توزيعاً جغرافياً على جميع أنحاء الهند[1].

دخلت الهند رسمياً ضمن مستعمرات التاج البريطاني في الأول من تشرين الثاني عام (1858)زمن الملكة البريطانية فيكتوريا (1837–1901)، إذ صدر قرارها بنقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية إلى الحكومة البريطانية، وبتعيين أول حاكم عام من قبل الملكة البريطانية على الهند وهو (اللورد كانينج Canning)، وكانت شركة الهند الشرقية قد تأسست في لندن عام (1600)لشراء منتجات الهند، وجزر الهند الشرقية بأثمان زهيدة، وبيعها في أوروبا بأثمان باهظة.

وفي عام (1686) أعلنت الشركة عزمها على إقامة مستعمرة إنجليزية واسعة في الهند وأنشأت مراكز تجارية في مدراس وبومباي وكلكتا وغيرها من المدن الهندية التجارية، وقد بدأت الشركة عملها التجاري في أرض الهند إبان قوة حكم المسلمين فيها وازدهاره، وكان الحكام لا ينظرون إلى التجار الإنجليز إلا نظرتهم لتاجر يريد أن يكسب مالاً من تجارته، لا أن يحيك المؤامرات ليكسب أرضاً ويستعبد شعباً، وهذا ما جعلهم يتمتعون بجميع التسهيلات التجارية.

كان الوطنيون من المسلمين والهندوس يحاولون إيقاف هذا السرطان الذي بدأ يسري في جسد شبه القارة الهندية، فقامت ثورة غاضبة ضد الإنجليز عام 1857 إلا أنها كانت متأخرة إلى حد ما بعد أن شدد الإنجليز قبضتهم على البلاد، وأجهضت الثورة وقبض على آخر ملك مسلم في الهند هو سراج الدين بهادر شاه ظفر، وحكموا عليه بالإعدام ثم خفف الحكم عليه، ونفي إلى رانكون عاصمة بورما مع أهله وحاشيته، وظل فيها حتى وفاته عام 1862 ودفن فيها.

وهكذا انتهى حكم المسلمين في الهند بعد أن دام ثمانية قرون ونصف، ثم انتقل الحكم

1 بكر، المصدر السابق، ص222.

إلى بريطانيا، وقد لاقى المسلمون والدعوة الإسلامية التعنت والتعسف من جانب الإنجليز في الهند وذلك لسببين رئيسين: الأول- أن المسلمين تزعموا الثورة ضد الإنجليز وأعلن العلماء المسلمين الجهاد ضد التسلط الإنجليزي الأجنبي، والثاني- خشية الإنجليز من أن الدعوة الإسلامية الحقة تلهب في نفوس المسلمين وزملائهم الهندوس جذوة الروح الوطنية، لأن الإسلام لا يرضى بحياة الاستعباد بجميع صورها.

وظلت الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية محتفظة بمكانتها رغم قبضة الإنجليز الشديدة، وكان الدعاة المسلمون يطوفون بالمدن والقرى، يحثّون الناس على القيام بواجبهم للدفاع عن وطنهم، وطرد المستعمر الأجنبي من أرضهم، واستمر العهد البريطاني في شبه القارة الهندية حتى اضطر إلى الجلاء عنها عام 947 وإعلان استقلالها في 15 آب من العام نفسه، وتسليم الحكم للدولتين الجديدتين المستقلتين (الهند والباكستان)[1].

- النيبال

إحدى الدول الصغرى في شبه القارة الهندية، قلما يسمع عنها العالم، بسبب موقعها المنعزل، ووعورة تضاريس أرضها، وبعدها عن العالم الخارجي، فهي دولة داخلية لا سواحل لها، عاصمتها (كتمندو).

وصل الإسلام إليها عبر محورين: غربي جاء إليها من كشمير، وجنوبي أتى إليها عن طريق شبه القارة الهندية- الباكستانية، وكان أول غزو إسلامي للبلاد في القرن الرابع عشر الميلادي عندما هاجم السلطان شمس الدين (حاكم البنغال) وادي كتمندو في وسط النيبال، ثم زادت صلة المسلمين بها في عهد السلاطين المغول في الهند، فلقد أرسلوا البعثات الإسلامية إلى البلاد، وهكذا بدأت الدعوة الإسلامية تأخذ طريقها عبر الأراضي النيبالية، ووصل التجار المسلمون إلى النيبال، وأسهموا في نشر الدعوة فيها، وكان لها علاقات تجارية مع العرب، وزاد النشاط التجاري الإسلامي في القرن الخامس عشر الميلادي، واستوطن التجار المسلمين مناطق عدة في النيبال.

يشكل المسلمون في النيبال أقليةً إذ بلغ عددهم نحو 2,7% من مجموع السكان البالغ نحو 24 مليون و 700 ألف نسمة.

وهكذا وصل الإسلام إلى أعلى مناطق العالم ارتفاعاً، فلقد ارتقى الإسلام إلى جبال

1 محيي الدين الالوائي، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، دار القلم، (دمشق، 1986)، ص362-363.

الهملايا ، وهذا يدحض رأي المتحاملين على الإسلام من المستشرقين ، الذين وصفوه بدين الصحراء والسهول . ولكن وجود الإسلام في الهملايا وفي قلب أدغال أفريقيا ، يحطم هذه الآراء . ويعيش المسلمون هناك وسط أغلبية هندوسية ، وأقلية بوذية .

ينتشر الإسلام في مختلف أقاليم النيبال ، و يوجد أكبر تجمع إسلامي في الإقليم الأوسط في النيبال ، يليه الإقليم الغربي ، والإقليم الأوسط يضم أغلب سكان النيبال وهذا التجمع يقترب من مناطق المسلمين في الهند وبنغلادش ، ويعود المسلمون في النيبال إلى عدة أصول ، فإلى جانب المسلمين من أهالي النيبال توجد عناصر مسلمة استوطنت البلاد ، منها الكشميريون والأفغان والمغول والهنود وبعض العناصر من بنغلادش ، وهناك جالية عربية قديمة .

ويمارس المسلمون شعائر دينهم بحرية ، بغض النظر عما يحدث من تحديات ضئيلة من جانب الهندوس ، ولهم مساجدهم ومدارسهم ، غير أن معضلتهم الرئيسة تعود إلى تدني الدخول ، وانتشار الأمية بينهم ، لذا يعوز المؤسسات الإسلامية الدعم المالي .

يوجد في العاصمة النيبالية مسجدان: المسجد الكشميري وينفق عليه من وقف خصص له ، وفيه مدرسة إسلامية ، يتعلم فيها أبناء المسلمين قواعد الإسلام ، والمسجد الثاني هو المسجد الجامع بكتمندو ، وينفق عليه من أوقاف خيرية ، وملحق بـه فندق يدر عليه بعض الدخل ، وفيه مدرسة ابتدائية ، هذا وتنتشر المساجد في القرى حيث مناطق التجمعات الإسلامية ، وهناك لجنة للحج ترسل سنوياً ما يقارب 50 حاجاً لأداء الفريضة ، وهناك منظمتان إسلاميتان ، عبارة عن جمعيتين تشاركان بإمكانات محدودة في النشاط الإسلامي ، لذا نجد الجالية المسلمة في حاجة إلى علماء دين ، وبحاجة إلى الدعم والتأييد .

وفي ثمانينيات القرن العشرين الميلادي زار وفد من مسلمي النيبال المملكة العربية السعودية ، برئاسة الشيخ محمد يوسف نائب رئيس جمعية خدام المسلمين ، وقد عرضت مطالب الجمعية ، وعلى رأسها الدعم المادي والثقافي لمسلمي النيبال .

– سريلانكا (سيلان)

عرفها العرب باسم (سرنديب) ، وكانت إحدى الجزر التي وصلتها سفن العرب في تجارتهم مع الشرق الأقصى ، فلقد قاموا برحلات تجارية إلى الجزيرة قبل الإسلام وبعده . وقد وصلها الإسلام مبكراً في نهاية القرن الأول للهجرة .

استولت عليها البرتغال في عام (1505) ، واحتلها من بعدهم الهولنديون في عام 1655

ثـم خلفهم البريطانيون عـام (1796)، وبقيت تحت الاحتلال البريطـاني حتى عام (1948) عندما نالت سريلانكا استقلالها وعرفت بجمهورية سـيلان وتغير اسمها إلى سريلانكا عام (1972) نسـبة إلـى الحزب الحاكم، (ومعناها البلد الجميل)، واسـتمد من روعة أراضـيها الخضراء.

ارتبط وصـول الإسـلام إلى سريلانكا بوصـوله إلى الهند وجزر إندونيسيا، فلقد كان العرب على صـلة تجارية بجزيرة سرنديب قبل ظهور الإسـلام، وكان من الطبيعي أن يصل التجـار العرب المسـلمون إليهـا في القرن الأول للهجـرة، وتذكر الروايـات أن مندوباً من سرنديب قابل الخليفة عمر بن الخطاب – رضـي الله عنه – وأعلن إسـلامه، غير أن الانتشار الفعلي للإسلام في جزيرة سيلان بدأ في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة. وزار الرحالة ابن بطوطة سـيلان في القرن الثامن للهجرة وتحدث عن مواضع مهمة فيها، فقد زار مدينة كولومبو العاصمة، إلا أنه لم يزر شرق الجزيرة حيث يعيش غالبية المسلمين، وفي ظل الاسـتعمار البرتغالي والهولندي والبريطاني واجه المسـلمون تحدياً من البعثات التبشيرية طيلة أربعـة قرون، فلقد دعم الاسـتعمار هذه البعثات وأمدها بنفوذه، وأمام ذلك لجأ المسـلمون إلى المناطق المنعزلة، ورغم مسـاندة الاسـتعمار للبعثات التبشيرية المسيحية، إلا أن حصيلتها لم تتجاوز نصـف مليون مسـيحي، وظل الإسـلام ينتشر بجهود فردية دون دعم مادي أو سياسي.

ومع اسـتقلال سـيلان عام (1948) أصبح المسـلمون يلعبون دوراً مميزاً في الحياة العامة وكان لهم دور في المجالات الاقتصـادية والإدارية، وقد خطوا خطوات واسـعة في مجال التعليـم، ودخلـت أعداد كبـيرة منهم الجامعات، وهم الآن يشـغلون جانبـاً من الوظائف الإدارية في الدولة، ويعملون في التجارة، وخاصـة في تجارة الأقمشة والأحجار الكريمة، ولهم محاكمهم القضـائية الخاصة بهم، وتخصص إذاعة سيلان ساعة كل يوم لبث البرامج الإسلامية، ويعد عيد الفطر والأضحى عطلة رسمية في البلاد[1].

1 الخوند، المصدر السابق، ص88؛ بكر، المصدر السابق، ص ص249–250.

الفصل الثالث

أسباب تأخُّر المسلمين في العصر الحديث والمعاصر

3

الفصل الثالث

أسباب تأخر المسلمين في العصر الحديث والمعاصر

إن مثل الدولة والمجتمع في الحياة الدنيا كمثل الجسد من الإنسان فيه ما يضره من الداخل فيمرض، وثمة ما يضره من الخارج فيهلك، ومن لم يجعل الله له شفاء فما له من شفاء، مهما غاص في الأرض ومهما سبح في الفضاء.

وكثيرة هي العقبات والأمراض التي تعاني منها الأمة الإسلامية، فما إن نخرج من واحدة، حتى ندخل في الثانية وهكذا، بتأثير خارجي لا يريد أن تزور القوة منازل هذه الأمة، بل كل ما يريده هو زرع الضعف والانقسام في أراضيها الخصبة، والأدهى من ذلك أنهم ربطوا قوتهم بضعفنا، فكلما فكرنا في التخلص من ضعفنا زادونا ضعفاً وأطعمونا إياها من جميع الجهات، فقوتنا خطر عظيم في نظرهم، وضعفنا وتأخرنا راحة النفوس في فكرهم.

- الأسباب الداخلية

مَنْ لم ينبع تقدمه من داخله فلن يفيده تطور وتقدم العالم أجمع، ومن زرع التأخر في داخله، فمن ذا الذي ينفعه من الخارج؛ فالقوة الباطنية وراء كل إبداع في الظاهر.

ومن أهم الأسباب الداخلية لتأخرنا: سوء فهم العقيدة والعبادة وسقوط الخلافة العباسية والعثمانية، والابتعاد عن الجهاد، وتطبيق النظم الوضعية في بناء الدولة والمجتمع.

سوء فهم العقيدة والعبادة:

إذا أسيء فهم موضوع بسيط إلى حد ما فإنه سيحدث مشكلة كبيرة بين الأفراد والمجتمعات على حد سواء. فكيف بنا إذا أساء مجتمع أو دولة بأكملها فهم عقيدتها وعبادتها

التي هي عماد أمرها، وسر وجودها في الحياة. يقول الله –جل جلاله–: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

إن أصول الدين وتشريعاته ومعاملات المسلمين مستمدة من اصلين عظيمين هما: كتاب الله –جل جلاله– وسنة رسوله الكريم – ﷺ – ولما كان القرآن معنياً بالحفظ من الزيادة والنقصان والتحريف، عمداً عداء الإسلام إلى السنة النبوية، فوضعوا ما أمكنهم من الأحاديث الواهية والضعيفة ليحرفوا بها عقائد المسلمين وعباداتهم وسلوكهم فيما بينهم ومع غيرهم من الأديان الأخرى.

والعقيدة مفرد عقائد، وهي من العقد (الربط) والإبرام والإحكام، والتوثيق والشد بقوة والتماسك والمراصة واليقين والجزم، واعتقد الشيء، صلب واشتد. أما اصطلاحاً: فهناك من يعرفها على أنها: «الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن اليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك». كذلك عرف العقيدة آخرون بأنها: «التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة»[2]. كالاعتقاد بالأنبياء والكتب السماوية دون أن يخالط ذلك ريب في الروح والنفس.

وقد فهم المسلمون هذه العقائد والعبادات بشكل خاطئ إلى حد كبير فأدخلوا الخرافات والأساطير إليها أحياناً واللامبالاة أحياناً أخرى، وقد شاعت عند المسلمين فكرة الكرامات وتقديس الأولياء وخوارق العادات، وأن بإمكان الإنسان أن يكون في بلد ويصلي في بلد آخر في وقت واحد، وهكذا فقدت العقيدة قيمتها عند الكثير من المسلمين وشكّل وهذا الأمر ضربة قاصمة توجه للمسلمين من المسلمين أنفسهم.

واعتقد المسلمون أن الزهد في الدنيا هو أن تترك بالكامل، فالدنيا لا تساوي عند الله – جل جلاله – جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عنده جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء. وبالتالي تهمل الدنيا وعندما اهملت الدنيا تُرك الدين، كوننا فقدنا اعتقادنا بضرورة التوفيق بين الأمرين فهي فضيلة وعقيدة في الوقت نفسه. وهذا ما جرنا صوب التأخر عن ركب العلم والتطور الذي امتطاه الغرب منذ زمن بعيد، لمستقبل جليل. وكثيراً ما يذكر لنا الحبيب الرسول – ﷺ – بأن نستمر بأعمالنا التي بين أيدينا حتى وان قامت الساعة، فلو كان بيد احدنا فسيلة وسمع بأن الساعة قد قامت فليزرعها. إن مجرد الاعتقاد بهذا الحديث هو

1 سورة الذاريات، الآية 56.
2 محمود يوسف الشوبكي، أثر الأحاديث الموضوعة في العقيدة، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، ص4.

التقدم بعينه، إذ إنه يدفع الإنسان دفعاً صوب التطور وإتمام العمل مهما سمع ومهما دار حوله عن قرب نهاية العالم. ومن الاحتباس الحراري الذي لا يراد منه إلا تأخر المسلمين وترك ما في ايديهم في انتظار قيام الساعة. وفي حقيقة الأمر أنني كلما هممت بتأليف كتاب ما غارت عزائمي وتركت ما في يدي عندما أسمع بقرب نهاية العالم، لكن كلما ذكّرت نفسي بحديث الرسول الكريم عادت همتي وتجددت رغبتي في إنجاز عملي على أتم وجه بحسب ما أملكه من إمكانية لذلك.

إن الغرب يسعى بكل ما يملك لجعل المسلمين يتراجعون إلى الوراء وليس تأخيرهم فقط، من خلال جعل المسلم يشك في دينه ومعتقده وهذا ما عمل عليه منذ زمن بعيد، فليس الغريب أن يستهجن غير المسلم من تعاليم الإسلام، ولكن الغريب أن يشك المسلم في الإسلام إلى درجة انه لا يثق فيه وهذا أمر خطير ومرحلة حرجة يحاول الغرب تثبيتها على المسلمين. فهي أساس التأخر المضني الذي يمكن أن ندخله في السنوات القادمة إن لم ننتبه إلى ذلك. فهم على علم تام من أن الإسلام لا يمكن قهره إلا من الداخل، فلهذا هم لا يقدمون الدبابات قبل أن يهدموا المعتقدات، فسوء فهمنا لعقائدنا أساس تأخرنا تقف وراءه دول ومؤسسات رسمية وغير رسمية للقضاء على الإسلام والإبقاء على المسلمين دون إسلام، فهم لا يقتلون المسلم بل يقتلون الإسلام الذي بداخله. هم فهموا الإسلام بدقة متناهية فجاءت حربهم ضدنا بانتصارات متناهية أيضاً.

الصوفيّة:

يرى الشيخ يوسف القرضاوي: أن التصوف ظاهرة عالمية، واتجاه تجده في الأديان عامةً، وأنه في سمته العامة اتجاه إلى التعمق في الجانب الروحي، على اختلاف التعمق قوة وضعفاً، كما في الأديان الهندية والمسيحية، ولكن الإسلام يتميز بكونه توازناً بين الحياة الروحية والحياة العقلية، لذا فإن التصوف ظهر في الحياة الإسلامية عندما أصبح الجانبان العقلي والمادي غالبين على حياة المسلمين بسبب ازدهار الحياة الاقتصادية، وتطور الحياة العقلية بظهور الكلام والجدل والفلسفة، وميل الفقهاء إلى الجانب الظاهري من الفقه، وغلبوه على أعمال القلوب، وروح العبادة فاتجه الصوفيّون إلى مرتبة الاحسان ومقامه. وذهب القرضاوي إلى أن التصوف تطور من مجرد التقشف والزهد للنجاة من عذاب الاخرة، ومن روح العبادة ومعانيها الباطنة مما قوامه الارادة والسلوك العملي، إلى طور آخر يغلب فيه جانب الخوف والتخويف من الله، وفي القرن الثاني الهجري ظهر عنصر جديد تجاوز

الرجاء في الجنة والخوف من النار ذاته، فبدأ الحب الإلهي في شعر العباد أمثال رابعة العدوية (ت 185) وغيرها.

أما عن تسميتهم فهناك من يرى أنها مستمدة من اهل الصُّفة[1] الذين كانوا على عهد الرسول الكريم -ﷺ-، ويرى البعض الآخر أنها سميت بالصوفيّة لصفاء اسرارها ونقاء آثارها، فالصوفي من صفا قلبه لله، وذهب آخرون إلى انهم سموا صوفيّة نسبة لهم إلى ظاهر الالبسة الصوفيّة التي كانوا يلبسونها كون لبس الصوف ارفق من غيره، وهو لباس الانبياء، وللابتعاد عن زينة الدنيا، وقناعتهم بسد الجوعة، وستر العورة، واستغراقهم في امر الاخرة، وذهب فريق آخر إلى أن كلمة صوفي مأخوذة من الكلمة اليونانية (سوفيا) وتعني الحكمة، ومنها اشتقت كلمة (فيلاسوفيا) (فلسفة). وأنسب التسميات وأصحها هي لبسهم الصوف وذلك لموافقتها للغة العربية ولتمسكهم بلباس الصوف.

إذاً فالصوفيّة: (حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري بوصفها نزاعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري). إن فكرة عدم الانغماس في الحضارة وترفها والتركيز على التقشف الدنيوي، والابتعاد عنها وسع الهوة بين المسلمين والتطور ومواكبة العلوم البحتة والتطبيقية.

الصوفيّة والجهل بعلم الحديث:

إن موقف الصوفيّة من السنة النبوية يتلخص في أنهم يتجاهلون الأحاديث الصحيحة، ينشرون الأحاديث الضعيفة، ويختلفون الأحاديث الموضوعة، لذا لا عجب في أن الغالب على المتصوفة الجهل بعلم الحديث، وعدم تمييزهم بين الحديث الصحيح من الموضوع، ويذكر ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد: «ما زال عوام الصوفيّة يروون الواهيات». وقال أحد الائمة: «قد انكر العلماء على أهل التصوف كثيراً مما ذكروه في كتبهم من الأحاديث التي يعلمون أنها من الموضوعات ومن تفاسير آيات يعلمون انها مخالفة مع انهم قوم احبوا الاعمال»[2].

وهذا أبو حامد الغزالي على جلالة قدره عند المتصوفة عاش طوال حياته لا علم له

1 اهل الصُّفة: فقراء المسلمين من اصحاب رسول الله (عليه الصلاة والسلام) الذين لم تكن لهم منازل يسكنونها، فكانوا يأوون إلى هذا المكان المظلل (الصُّفة) في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وعرفوا أيضاً بضيوف الإسلام.

2 يوسف علي فرحات، الأحاديث الموضوعة عند الصوفيّة واثرها على الأمة، بحث منشور على الشبكة الدولية للمعلومات، ص7.

بالحديث، وقد أورد العديد من الأحاديث الموضوعة في كتابه «إحياء علوم الدين» ويقول ابن الجوزي عن الغزالي: «ذكر في كتاب الاحياء من الأحاديث الموضوعة وما لا يصح غير قليل، وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل، فليته عرض تلك الأحاديث على من يعرف. وإنما نقل نقل حاطب ليل».

وامثال هكذا أحاديث ضعيفة تشيع ثقافة التواكل والقعود عن العمل، وقد ذكروا في هذا الصدد جملة من الأحاديث الموضوعة منها: «من زهد في الدنيا، علمه الله تعالى من دون تعلم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيراً وكشف عنه العمه». والترويج لبعض العقائد الخاطئة منها أن محمداً –عليه الصلاة والسلام– خلق من نور، وانه أول المخلوقات.

ومن الاخطاء الفادحة التي وقعت فيها الصوفيّة وغيرهم ممن لا يدري، أنهم وضعوا أدعية، وأوراداً وأذكاراً في كتيبات ونشروها بين الناس، ويقال: من قرأها له كذا وكذا مما لا أصل له في الدين حتى اشتغل الناس بها عن القرآن والادعية المأثورة[1].

وتعظم المصيبة ويشتد خطرها إذا كانت هذه الأحاديث في صميم العقيدة وأصول الدين، إذ إن انتشارها يؤدي إلى مفاسد كبيرة منها ما هو في الأمور العقائدية الغيبية، ومنها ما هو في الامور التشريعية، ولأهمية الحديث في الإسلام بل وفي الحياة والأرض ذكر سفيان الثوري –رحمه الله– ان: «الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض». فلولا الإسلام الحقيقي لفسدت الأرض وهلك الكافر.

– الغلو:

الدين في الإسلام علم، والعلم في الإسلام دين، يقول المفكر الإسلامي محمد عبده: «إن ضعف المجتمعات الإسلامية سببه سوء فهم العقيدة، والجهل بأصول الدين، وخطورة التقليد الأعمى للآخرين، والغلو في الدين...». فالغلو هو مجاوزة الحد أي حد النص الشرعي (كلام الله، وحديث الرسول الكريم)، والغلو ان لا يفهم النص الشرعي وفق قواعد علم الاصول.

أما الغلاة – بحسب رأي محمد راتب النابلسي– فيضربون بعض النصوص ببعض، أو إنهم يأخذون نصاً يلائم غلوهم يسلطون عليه الاضواء، ويعتمون على نص آخر ينقض غلوهم، فالآيات التي يمكن أن تغطي غلوهم يشدونها عن طريق التأويل المتكلف إلى ما يوافق

1 المصدر نفسه، ص8.

أهواءهــم ، والآيــات التي تناقض غلوهم يغفلون ذكرها ، وإذا ذكــروا بها صرفوها إلى غير المعنى الاصولي الذي أرادوه .

أما الأحاديث ، فانهم يقبلون الضعيف منها ، إذا ما تناسب مع غلوهم ، ثم إنهم –باستثناء القــرآن والأحاديث النبوية– يقبلون كل قول يدعــم غلوهم متجاوزين القاعدة المنهجية: «إذا كنت ناقلاً فالصحيح ، وإذا كنت مدعياً فالدليل» .

والغلو نوعان: غلو اعتقادي ، وغلو عملي ، فالأول هو: أن الغلاة يعتقدون فيما هو جزء مــن الدين كله ، يحلون هذا الفرع محل الأصــل ، وينظرون إلى مــن عنى ببقية فروع الدين نظرة ازدراء. أما الغلو العملي ، فهو حينما يقع الإنســان فريسة الهامشيات في الدين ويهمل كل ما هو ضروري فيه ، كالوسوســة في الطهارة مثلاً ، والوضوء والتجاوز في العبادة الحد الذي شرعه الله تعالى ، حينما يهمل الفرد المسلم عمله واسرته ، أو التعلق بالتقليد الاعمى في الملبس والمظهر أو غيرها من الهامشــيات وبهذا النوع من الغلو يختل توازن الفرد المســلم ولا يحقق الهدف الأمثل في دينه ودنياه .

ومن اهم أسباب الغلو التخلف والجهل وعدم معرفة الله تعالى وسنة نبيه محمد –ﷺ– ، كذلك الامية الفكرية أو جمود الفكر الديني ، وعدم تجديده بالاجتهاد ، تلك الفريضة الغائبة في معظــم المجتمعــات الإســلامية في العالم ، التي تركــت الاجتهاد ولجأت إلــى التقليد في وقــت تتجدد الحياة من حول هــذه المجتمعات في عصر تقنية المعلومات ، في حين نجد معظم فقهاء هذه المجتمعات الإسلامية ، حينما يبحثون عن حل شرعي لمشكلة جديدة يلجؤون إلى الكتب الفقهية القديمة ، علّهم يجدون ضالتهم المنشودة ، ولكنهم بعد البحث يسردون الآراء دون التوصل إلى حل .

ومن الجلي أن المشكلة في الفهم المغلوط للدين ، وليس للدين دخل في ذلك لا من قريب ولا من بعيد. ومن أســباب الغلو الأخرى ، الهوى الذي يؤدي إلى أن تميل النفس صــوب العنف والتشدد وهو من أقسى الأمراض النفسية .

ويجب أن لا ننسى أن العقل الإسلامي السليم يدعو في جميع الأزمنة والأمكنة إلى متابعة طريق الأصالة والمعاصرة في تجديد الفكر الديني الإسلامي عبر الاجتهاد الذي تمثل مكانته في الإسلام مكانة الروح من الجسد ، فالاجتهاد روح الإسلام ، وحصنه المنيع[1] .

1 يحيــى احمد الكعكي ، الغلو والجمود والتقليد مخاطر تهدد الدين ، بحث منشــور على الشــبكة الدوليــة للمعلومات ، ص ص 3–4.

– سقوط الخلافة الإسلامية

تعد الخلافة ماضـي الأمة الإسلامية العتيد ومستقبلها المجيد، لذا فالامل معقود من أجل استعادتها لأهميتها في جمع شمل المسلمين تحت سقف واحد، وبيت واحد.

وتأتـي الخلافة بمعنى السـلطان الاعظم، والجمع خلائف، جاؤوا به على الاصـل مثل كريمة وكرائم، ومنه قولـه تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]. ويقال خلف فـلان فلاناً إذا كان خليفته، والخليفة الذي يسـتخلف ممن قبلـه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾[2].

أما تعريفها اصـطلاحاً فهي: «الولاية العامة على الأمـة كافة، والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها».

وذكر ابن خلدون: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها... فهي في حقيقة الأمر نيابة عن صـاحب الشرع في حراسـة الدين وسياسة الدنيا به».

إن العالم العربي والإسلامي يتطلع بشدة إلى قيام الخلافة الإسلامية، والجميع ينتظر ذلك بلهفة بالغة، وحتى يكون ذلك لابد أن نفهم ما الخلافة التي نريدها وما ملامحها. ومن هذه الملامح:

- الفهم الصحيح للإسلام بوصفه نظاماً شاملاً للحياة.
- الإخلاص والطاعة كضرورة لقبول الأعمال عند الله –جل جلاله–.
- تحكيم الإسلام وتطبيقه واقعاً عملياً في حياة العامة.
- تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين أفراد المجتمع.
- التناصح وتطبيق مبدأ الشورى.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تكمن أهمية الخلافة الإسـلامية في انها الجسد الوحيد الذي بإمكانه أن يجمع شمل الأمة

1 سورة ص، الآية 26.
2 سورة الاعراف، الآية 142.

الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في إطار واحد، لرعاية مصالح المسلمين، واقامة حدود الله فيهم، وتوفير الحماية لهم، وكسر شوكة اعدائهم.

ولا يمكن أن يستقيم حال المسلمين دون الخلافة، ولا يمكن القيام على أمور الدين الا بها، ولا يتحقق الأمن والأمان للمسلمين ولديارهم من اعدائهم الا بها، ولا رادع للظالمين إلا بها، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ومن مهام الخليفة في الدولة الإسلامية التي لها تأثير كبير في حياة المسلمين نذكر ما يأتي:

- حفظ الدين على أصوله، وما أجمع عليه سلف الأمة.
- تنفيذ الأحكام بين الخصوم.
- إقامة الحدود لتصان محارم الله -جل جلاله- عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك.
- تحصين الثغور (الحدود) بالعدة المانعة.
- الحفاظ على مبدأ الجهاد الذي هو عماد الإسلام. وغيرها من الواجبات التي يجب أن يؤديها الخليفة ويحافظ عليها.

ومما لا شك فيه إدرك أعداء الإسلام قيمة الخلافة العظيمة في حياة المسلمين، وجمع شملهم، وتكوين قوة كافية للعيش بأمان ولنشر الإسلام في ربوع الأرض، فعمدوا إلى إسقاط الخلافة بشتى الوسائل لينالوا مبتغاهم ومقصدهم. وراحوا يضعون المخططات ويحيكون المؤامرات من أجل اسقاطها والتي طالما شكلت مصدر ازعاج لهم حتى وهي في اشد مراحل الضعف والتفكك، ويكفي أن اسمها وحده يزعجهم ويقض مضاجعهم في كل زمان ومكان، ويمكن اجمال اهم أسباب سقوط الخلافة واضمحلالها في النقاط الآتية:

- ترك العمل بكتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله ﷺ.
- التخطيط الصليبي – اليهودي لهدم الخلافة الإسلامية.
- كثرة الحروب التي أدت إلى ضعف الدولة العثمانية.
- سوء الأحوال الداخلية والخارجية في دولة الخلافة.
- خيانة بعض المسلمين لدينهم وامتهم.

- إغلاق باب الاجتهاد وضعف القدوات لدى العلماء والقادة.

- تعدد الشعوب والقوميات في ظل الدولة العثمانية ومطالبة الكثير من القوميات بالانفصال والاستقلال مما خلق حالة من الفوضى والضعف.

لم يكن سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية حدثاً عشوائياً، بل كان مؤامرة مدروسة، ومخططاً لها مسبقاً من قبل القوى الغربية.

وقد واصلوا الليل بالنهار، وبذلوا كل ما في وسعهم من أجل تحقيق حلم هدم الخلافة، فدبروا المكائد والدسائس، واستغلوا غفلة المسلمين وانشغالهم بأحوالهم الشخصية، وقاموا بتنفيذ هذا الأمر على ثلاث مراحل هي:

- إسقاط الخليفة السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909).
- هزيمة الدولة العثمانية ومن ثم تقسيمها.
- إلغاء الخلافة الإسلامية والحيلولة دون قيامها.

وهكذا سقطت الخلافة الإسلامية بمؤامرة مشتركة بين يهود الدونمة والاتحاديين والكماليين والقوى الاستعمارية الغربية وروسيا، بانتهاج أسلوب من العنف والقتل والاستبداد والظلم الذي قامت به ثلة اعدت لها وخططت لذلك في مرحلتين طويلتين منذ (1909) إلى (1918) باسم الاتحاديين، ومن بعدها إلى عام (1924) باسم الكماليين وهما في حقيقة الأمر سيان عندما استطاعوا أن يفتحوا الباب أمام الصهيونية العالمية إلى فلسطين، بعدما عجزت عن ذلك ايام السلطان عبد الحميد الثاني[1].

آثار سقوط الخلافة الإسلامية

كان لسقوط الخلافة آثار واضحة بالغة الخطورة في حاضر المسلمين ومستقبلهم، وما زالت تلقي بظلالها على العالم حتى يومنا هذا، ومن هذه الآثار:

- غياب الحكم بما انزل الله -جل جلاله-
- ضياع هيبة المسلمين واجتراء الأعداء عليهم.

1 طارق حسن الاشرم، الخلافة الإسلامية معوقاتها وسبل اعادتها، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بغزة، 2009، ص ص56-57.

- تفتيت وحدة المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة والتقدم.

فقد علم أعداء الإسلام سر قوة المسلمين وأكدوا أنها تكمن في وحدتهم واجتماعهم على قلب رجل واحد، فعملوا على تمزيق شملهم، واختلاف كلمتهم، إن من أكبر العقبات التي أدت إلى سقوط الخلافة الإسلامية هو تخلف المسلمين عن الحضارة والتقدم في ميادين الحياة كافة: الاقتصادية والعلمية والصناعية والحربية والتجارية، واهمال العلوم المعرفية، والمعارف الكونية، واضاعة الوقت في فلسفات نظرية عقيمة، وعلوم خيالية سقيمة، لا يختلف عليها اثنان ولا تتناطح فيها عنزان على أنها كذلك.

كانت حكومة الخلافة من اعظم الحكومات في العالم، وقد شكلت قوة سياسية مادية تفوق كل قوة في عصرها، تسود فيها المثل الخلقية، وتحكم معايير الاخلاق الفاضلة في حياة الناس ونظام الحكم، وتزدهر فيها الاخلاق برفقة التجارة والصناعة والتطور العلمي والحضاري، فكان المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة أصحاب دين وأخلاق أينما حلوا وأينما رحلوا، وكانوا أعفة أمناء خاشعين متواضعين حكاماً ومحكومين، قادة وجنوداً.

ويصف احد عظماء الروم جنود المسلمين قائلاً: «انهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم». وقال آخر: «هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم الا بثمن، ولا يدخلون الا بسلام..». ويقول ثالث: «أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر»[1].

جميع هذه الأمور العظيمة جعلت عظماء الروم يعجبون بجندي يخدم في جيوش الخلافة الإسلامية. فكيف سيكون الإطراء لو أراد أحدهم أن يمدح المجتمع الإسلامي برمته، أو أن يمدح خليفة المسلمين بجلاله، وهذا ما دفع اعداء الإسلام إلى إلغاء الخلافة ليموت كل ما هو عظيم وجليل في الدولة الإسلامية وإلى الأبد، إلى أن تعود الخلافة إلى أرض الإسلام.

- **ترك الجهاد**

الجهاد عماد الدين وحصنه الحصين، من أقامه أصابه العز والتمكين، ومن أهمله أهملته الايام والسنين، فلا تقوم له قائمة إلى يوم الدين.

1 ابو الحسن علي الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الغد الجديدة، (القاهرة، 2009)، ص115.

يذكر أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام (1952) ما يأتي: «ليست الشيوعية خطراً على أوروبا فيما يبدو لي فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة، وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسي عسكري فقط، لكنه ليس خطراً حضارياً تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً عنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة، فهم جديرون بإقامة قواعد عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب أي دون حاجة إلى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية».

ويقول آخر: «إن الخطر الحقيقي إنما هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون من تغيير في نظام العالم. فقيل له: إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم ونزاعاتهم. فأجابهم: اني أخشى أن يخرج من بينهم مَنْ يوجه خلافهم الينا»[1].

والمقصود بالخطر هو الإسلام الجهادي من أجل الحق، ونشر الإسلام في ربوع الأرض. والجهاد الحقيقي هو أن تحيا من أجل الإسلام قبل أن تفكر أن تموت من أجله. ومنذ أن ادرك الغرب خطورة ذلك عمدوا إلى طمس هذا المبدأ والفريضة العظيمة، وإزالتها من النفوس والعقول حتى يكون إسلاماً اليفاً على حد زعمهم.

والجهاد خلق رئيس من أخلاق المسلمين ويجب أن يكون من أجل أن تكون كلمة الله -جل جلاله- هي العليا سواء أكان جهاداً سياسياً أم مالياً أو عسكرياً أو تعليمياً أو لسانياً، وإذا تحقق المبتغى من الجهاد، وضع حداً للتجاوزات والاجتراءات التي يعمد اليها اعداء الإسلام فتقمع في مهدها، وبذلك تستطيع البلدان الإسلامية التحرر من القيود والانطلاق صوب التطور والتقدم دون أية تدخلات أجنبية، فإذا ما غاب هذا الرادع، أصبحت البلدان الإسلامية تابعة ومغلوباً على أمرها ويسودها التخلف والذل والحرمان. فتكون بعيدة كل البعد عن العلوم والتقدم الذي تشهده دول العالم الآن.

فالجهاد إذاً يعمل على صياغة الشخصية الإنسانية صياغة إسلامية ويوحد الأقطار الإسلامية في دولة واحدة ويحيي الخلافة، ويُخضع العالم لكلمة الله -جل جلاله-.

رغم كل ذلك اهملنا الجهاد من حيث ندري أو لا ندري، فالمسلم الأول كان عالماً

1 سعيد حوى، جند الله ثقافة واخلاقاً، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (القاهرة، 2008)، ص ص 16-17.

وزاهداً وعابداً ومقاتلاً وداعياً وجريئاً وصريحاً في الحق، وحكيماً وسياسياً وإدارياً وكيساً وفطناً، أما المسلم الآخر فلم يعد كذلك فهو عالمٌ لا يجيد القتال، ومقاتل لا يعرف الله، وسياسي لا عالماً ولا حكيماً، وهكذا ضاعت الشخصية الإسلامية النموذجية التي يفترض أن يكون عليها كل مسلم لكننا لا نراها اليوم الا بأفراد، وهذه غبطة ما بعدها غبطة تلف قلوب وعقول اعداء الإسلام ممن اسهموا بشكل كبير في ذلك.

ومن الرقي والحضارة والمدنية أن يكون لديك مؤسسة عسكرية قائمة بحد ذاتها يخشاها الجميع، وأن يكون لديك مقاتلون من الطراز الرفيع مهنة وأخلاقاً في السلم والحرب، الذي من خلاله ينشر الدين إلى باقي ربوع الأرض، وقد ايقن الغرب ذلك فحافظوا على هذه القيمة، واطلقوا البعثات التبشيرية إلى الأراضي الإسلامية وغير الإسلامية.

يقول الله -جل جلاله- في كتابه الحكيم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾[1] والحضارة العربية الإسلامية غابت شمسها وتلاشت مع غياب تلك القوة والرهبة بفعل فاعل، وعمل عامل.

- **تطبيق النظم الوضعية:**

لا خير في قوم يتمسكون بقانون يصدره الإنسان، ويتركون قانون خالقهم المنان في تسيير أمورهم العامة والخاصة.

وسميت النظم والقوانين بالوضعية لأنها من وضع الإنسان نفسه، فما بين قانون الأرض وقانون السماء يكمن سر التقدم والارتقاء، فالأول قشر، والثاني جوهر، ومن ضعف العقل والايمان التزام القشور بعيداً عن الجوهر والنور.

فالقوانين التي تحافظ على حركة الكون بانتظام دقيق يفوق التصورات الإنسانية المحدودة، لحري أن تصان وتطبق على أرض الواقع الإنساني، فيما يخص القوانين السماوية المتعلقة بحفظ كرامة الإنسان وتنظيم اموره بكل دقة وإلى أبعد الحدود وإلى يوم يبعثون.

فالمجتمعات الإسلامية إن استعانت بالنظم والقوانين الوضعية في بناء دولها وحكوماتها وصياغة دساتيرها وسياساتها الداخلية والخارجية – عوقبت بالضعف والاضمحلال والتخلف، وسلط عليها أشد الناس عداوة، وامتُصّت ثرواتها وسحب الفكر والثقافة من

1 سورة الانفال، الآية 60.

نفوس وعقول هذه المجتمعات، وألقي بها في سلة المهملات.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]، فلا يجتمع الكفر والظلم والفسق إلا في الأمة الجاهلة المتخلفة التي لا تبحث عن التطور والتقدم في مختلف الميادين الدينية والدنيوية على حد سواء.

وهذا الأمر أصبح السمة البارزة في كل نظام حكم موجود في العالم الإسلامي تقريباً، أي الحكم بغير ما انزل الله -جل جلاله-، والناس في ذلك انواع فمنهم الداعي إلى تطبيق غير حكم الله وهم يجاهرون بذلك، ومنهم ينفذ ذلك بصمت خبيث، ومنهم لا يرى صلاحية الاحكام الإسلامية للتطبيق في كل زمان، وكثير من الناس اعتاد على الكفر والقوانين المحكوم بها.

وقد ظهرت جميع هذه المعاني في حكومات واحزاب ومؤسسات واتجاهات وصحف ومجلات.

ووصل الأمر في بعض البلاد أن سار بعض الحكام في طريق استئصال العبادات الإسلامية، فيأمر احدهم المسلمين بالإفطار في رمضان، ويفطر امامهم علناً وغيرها من الامور الأخرى.

وهكذا فالمسلمون في العالم الإسلامي في حالة رجوع إلى ايام الجاهلية الأولى وتخلف وخروج عن الطريق السليم والصحيح، ونتيجة لذلك فقد تم انحسار الإسلام عن الحياة والتطور انحساراً تاماً تقريباً، فانحسر نظامه السياسي عن الأمة ليحل محله القومية، وانحسر مفهومه عن الوطن ليحل محله مفهوم القبلية، وانحسر مفهومه عن الشورى لتحل محله الديمقراطية، وانحسر نظامه العسكري عن الجهاد والإعداد والتدريب وادب المعركة، وقس على ذلك ما تشاء.

قد تتقدم امة إلى الامام إذا لم تكن تؤمن بالله كما امر (غير المسلمين)، ولكنها لا تكون كذلك إذا ما امنت وتخلت عن ايمانها، وذلك لأنها لن تراوح مكانها، بل انها ستتراجع إلى

1 سورة المائدة، الآية 44.
2 سورة المائدة، الآية 45.
3 سورة المائدة، الآية 47.

الخلف مهما فعلت ، ومهما دبرت .

- الأسباب الخارجية

إن الأسباب الخارجية هي أشد وطأة ، إذا ما قورنت بالأسباب الداخلية لتأخر المسلمين عن الآخرين ، كونها من يفتح الباب على مصراعيه امام التدخلات الأجنبية الخارجية لتفعل فعلها ، وتنفذ مؤامراتها على ارض الواقع الإسلامي ، ومنها الدور اليهودي والتنصيري والاستشراقي والالحادي (الشيوعي) وأخيراً الدور الوثني .

- الدور اليهودي

غيابنا وراء وجود أعدائنا ، وضعفنا من يصنع القوة فيهم . فعلينا ان نلوم غيابنا وضعفنا ، لا ان نلوم الاعداء فيما يفعلوه بنا .

لليهود دور بارز في ايقاف عجلة التقدم الإسلامي صوب الامام ، ومواكبة التطور ، ومحاولة فصل المسلم عن الدين الإسلامي الحنيف وهذا بمثابة فصل الروح عن الجسد ، ونجحوا كثيراً في ذلك ، فهم الآن يتعاملون مع اجساد لا ارواح فيها ، حتى تعود تلك الاجساد إلى ارواحها المتمثلة بالإسلام عندها يمكن أن نتقدم ويمكن أن ننتصر .

كانت الأمة الإسلامية وما زالت تعاني من دسائس اليهود ومكرهم ، فهم يسعون إلى تضليلها عن دينها ويصرفونها عن قرآنها ، فهم يؤمنون بأن هذه الأمة اذا ما انصرفت عن دينها فانهم سيكونون (اي اليهود) في مأمن وسلام ، وهذا يُذكرنا بزيارة احد المسؤولين الإسرائيليين لعدد من المخيمات الفلسطينية وهناك اراد مصافحة احد الشباب الفلسطينيين ، لكن الشاب امتنع عن ذلك واخبر الإسرائيلي قائلاً: لن تصافح يدي يد عدو وسيأتي اليوم الذي سننتصر فيه عليكم ، فابتسم الإسرائيلي قائلاً: لن تنتصروا علينا حتى تعودوا إلى الإسلام بشكل جاد وعملي ، ويمكن أن تفسر تلك الابتسامة على انها ثقة في الحيلولة دون عودة المسلمين إلى الإسلام ، وهذا ما يخططون لأجله ، ويواصلون الليل بالنهار من أجل ذلك[1] .

لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام في المدينة المنورة ، وكادوا للامة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه امة . وقد تضمن القرآن الكريم العديد من التقريرات والاشارات حول هذا العداء وهذا الكيد ، وهو ما يبرر

1 سيد قطب ، معركتنا مع اليهود ، دار الشروق ، ط12 ، (بيروت ، 1993) ، ص20 .

الحرب الشعواء التي شنها اليهود على الإسلام والرسول الكريم -ﷺ- والأمة الإسلامية في تاريخها الحديث والمعاصر وحتى هذه اللحظة[1].

ولقد شحنوا على الإسلام والمسلمين جميع قوى الجزيرة العربية المشركة وراحوا يجمعون القبائل المتفرقة لحرب الجماعة المسلمة، وهذا هو شأنهم في كل زمان ومكان.

وهكذا فإن العداء بين المسلمين واليهود عداء أزلي لا تزال دائرته قائمة، كونهم لا يرضون الا بتدمير الدين الإسلامي، وما سوى ذلك فلا يرضيهم حتى لو وضع القمر عن يمينهم والشمس عن يسارهم، فحقدهم لا ينتهي الا بانتهاء الدين الإسلامي وهذا ما لن يحدث.

هناك قصة فكاهية تجسد التطرف الإسرائيلي الموجه ضد الإسلام بشكل خاص، والذي توصل إلى أن (المسلم الطيب هو المسلم الميت) ومفاد هذه القصة: «ان هناك بطلاً خارقاً يرتدي غطاء الرأس الأسود ويطلق لحيته، ولم يكن طالباً في مدرسة دينية وهب نفسه لدراسة التوراة، ولكنه مقاتل بطل يلاحق المخربين، وقد قام في الاسابيع الأخيرة بمطاردة اثنين من المخربين وفي الاسبوع الماضي بعد أن انقلبت سيارة المخربين قتل احدهما. بينما قبض على الآخر ويُدعى صباح، وبعد اعتقاله بدأ المخرب في تملق البطل الذي اسره بزعم انه يحب اليهود، وقد طلب البطل الحديدي منه أن يعطيه قائمة بأسماء جميع أعضاء حركة حماس الفلسطينية، فارتمى صباح عند قدمي البطل، وقد اطلع الاطفال اليهود على بقية القصة، وبدأ صباح يصرخ من الرعب وقال: سأذكر اسماءهم جميعاً بالكامل، وقد امر البطل بوضع المخرب في طائرة مروحية، في حين كان يصرخ ويبصق على زميله الميت وهو يقول: انت ملعون ايها الكلب، ويظهر البطل في الصورة الأخيرة من القصة وهو يستخلص العبر بنظرة تأملية قائلاً: «حقاً، أن المسلم الطيب هو المسلم الميت»[2].

هناك فتاوٍ عديدة للحاخامات اليهودية عن المرأة وكيفية التعامل مع العربي والفلسطيني والمسلم والمسيحي، وهناك أيضاً فتاوٍ تحريضية متطرفة إلى حد بعيد.

فقد افتى الحاخامات بعدة فتاوى ضد الديانة الإسلامية والمسيحية، واظهرت هذه الفتاوى أن الصراع بين اليهود والمسلمين هو صراع ديني رغم أنه في أساسه صراع سياسي، وقد

1 المصدر نفسه، ص 31.
2 منصور عبد الوهاب، فتاوى الحاخامات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 2010)، ص21.

ساعد على زيادة الاعتداءات على المقدسات الإسلامية موقف الدولة من هذه المقدسات، وهو الموقف الذي يتبنى سياسة هدم المساجد وتدنيس المقابر الإسلامية تحت حماية قوات الاحتلال الإسرائيلي، ومن اهم هذه الاعتداءات ما يشهده المسجد الأقصى من اعتداءات متكررة، ومحاولة تهويد القدس ومحو الطابع العربي الإسلامي والمسيحي لهذه المدينة[1].

وفي 13 تشرين الأول عام (1967) صرح الحاخام الاكبر لإسرائيل المغتصبة شلومو غورين لمراسل الاذاعة اليهودية انه ما زال مصراً على تأكيد الحق الشرعي لليهود في الصلاة بمنطقة الحرم القدسي، ولكنه من الناحية العملية يرى أن الوقت غير مناسب لذلك، وعندما سأله الصحافي عن ذلك أجابه: إن مثل هكذا امر سيشعل الروح الدينية عند المسلمين، وهذا امر لا نرغب أن يحدث، وإذا حدث فإنه سيضع دولتنا (إسرائيل) أمام مشاكل خطيرة قد تصعب مواجهتها[2].

وفي مستهل شهر نيسان عام (1977) عقد مؤتمر خطير احتوى مناظرة علمية لدراسة النشاط الإسلامي في آسيا وشارك في المؤتمر ما يقارب 30 خبيراً جميعهم من المعروفين بعدائهم للإسلام، وينتمون إلى الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان والفلبين وأستراليا ومن إسرائيل. واشرف على المؤتمر البروفسور اليهودي (برافي يسرائيل)، وركز المؤتمرون على بحث أفضل السبل من أجل القضاء على الحركة الإسلامية للاطمئنان على مستقبل إسرائيل في الشرق الاوسط.

وفي 17 كانون الأول عام (1978) نشرت صحيفة صنداي تلغراف مقالاً بعنوان: «بالعنف وحده نقضي على خطر المسلمين المتطرفين» جاء فيه: «إن الغربيين يقعون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يتهدد مصالحهم في الشرق الاوسط هو خطر الشيوعيين، لان الخطر الحقيقي الوحيد الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقاءهم في المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين الذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل رغم كل ما اوقعته بهم النظم الصديقة للغرب في المنطقة من محن وتنكيل»[3].

وهكذا فإن الإسلام يبقى الهدف الوحيد لمؤامرات اليهود وحلفائهم، وان كل ارض ترتفع فوقها راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تكون عرضة للدسائس اليهودية.

---

1 المصدر نفسه، ص77.
2 زياد ابو غنيمة، عداء اليهود للحركة الإسلامية، دار الفرقان، (عمان، 1983)، ص 27.
3 المصدر نفسه، ص ص 33-34.

ومنذ العام (1975) اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يقضي بأن الصهيونية[1] شكل من اشكال العنصرية، وابدت العديد من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ادانتها بشدة هذا القرار المناوئ لها (أي الصهيونية)[2].

إن الصهيونية اداة من ادوات ايديولوجية وسياسية كثيرة تستخدمها الامبريالية المعاصرة، بيد انها تعد من اخطر هذه الادوات، فالحركة الصهيونية والايديولوجية الصهيونية صنيعتان رجعيتان للإمبريالية، ولا تستطيع ممارسة ايديولوجيتها الا في اطار القهر الاستعماري[3].

فعلى سبيل المثال أن العلاقات العربية – اليهودية في إسرائيل تتخللها العديد من المظاهر العنصرية التي تمارسها السلطات الإسرائيلية ضد العرب المسلمين دون رحمة أو انصاف. ففي الحروب الإسرائيلية – العربية التي مرت خلال القرن العشرين استخدمت الصهيونية اقسى انواع التمييز العنصري، والتهجير القسري، ففي 25 تموز (1948) اجبرت القوات الإسرائيلية سكان العديد من القرى الفلسطينية على الهجرة، ودمرت العديد منها رغم طلب السكان التفاوض[4].

وتذكر الكاتبة الفرنسية (مارتين مونو) في كتابها «إسرائيل كما رأيتها» أن: «العلاقات العربية اليهودية في إسرائيل اشبه بالعلاقات القائمة في الحياة الزوجية. فلا بد أن يتولى زمام الأمر احد الطرفين، ومن الطبيعي في إسرائيل أن يضطلع اليهود بهذه المهمة»[5].

وتشير مونو إلى أن إسرائيل مازالت تعيش على عبادة حرب الايام الستة (حرب 1967)، ويمكن ملاحظة ذلك عند الكلام مع الناس هناك. فإذا ذهبت إلى مطعم قدموا لك «سلطة موشيه دايان» ومقبلات «6 ايام من حزيران»، وكوكتيل «الحرب الخاطفة»، وفي محلات بيع الملابس في وسط تل ابيب يوجد تمثال لموشيه دايان بالحجم الطبيعي يقف بين مجموعة من تماثيل عرض الملابس، يحمل في يده رقم (6) وكأنه يقدم للجمهور موضة الشتاء[6].

1 إن أول من اطلق تعبير الصهيونية هو الكاتب الالماني اليهودي (ناتل بيرنباون) Nathel Birnbawen وهي مشتقة من كلمة صهيون ومعناها الأرض الموعودة وهي تنسب إلى جبل يقع شرق مدينة القدس. محمود متولي، إسرائيل الحقيقة والمستقبل، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1974)، ص132.

2 مجموعة باحثين، الصهيونية والعنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مج1، (بيروت، 1977)، ص305.

3 المصدر نفسه، 374.

4 مؤسسة الدراسات الفلسطينية، من هم الارهابيون، (بيروت، 1973)، ص29.

5 مارتين مونو، إسرائيل كما رأيتها، ترجمة حليم طوسون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د. م، 1971)، ص48.

6 المصدر نفسه، ص13.

- الدور التبشيري (التنصيري)

التبشـير لغةً، مصـدر للفعل بشر الثلاثي، وبشره فرحه بتشـديد الراء والمباشرة والتبشير والاستبشار والبشارة، والاسم منه كالبشرى والبشارة، وتطلق على الانجيل كمعنى له.

أما في الاصـطلاح: فهو: «نشر الحقيقة الانجيلية بين الناس أو نشر بشـارة المسيح (u) في العالم بالقول والعمل».

والمبشر الانجيلي هو الإنسان الذي وهب حياته وماله للمسيح والكنسية، فهو يتفانى في سبيل العمل التبشيري، وهو في مستوى علمي لا يقل شأنه عن الدرجة الجامعية، «ذلك لان طبيعة عمله وقيامه بالتبشـير توجب عليه طاقات من المعرفة حتى يسـتطيع أن يناقش ويباحث وينتصر»[1].

ويقوم العمل التبشيري على مفاهيم ومعتقدات، ومن هذه المفاهيم أن تبشير العالم فرض على المسـيحيين، والدعوة إلى التثليث، إذ تقول خاتمة انجيـل متي أو متى: «اذهبوا وتلمذوا جميـع الأمم وعمدوهم باسـم الاب والابن والـروح القدس». ومن المعروف أن المصـلح الهولنـدي ارازمس (1466–1536) حين طبع العهد الجديد (الانجيل) الاغريقي ونشره عام 1516 قـد حذف منه اقوى نص للتثليث، واشـار الالماني مارتـن لوثر (1483–1546) إلى التثليث على انه تعبير يفتقد القوة، وانه لم يوجد في الاسفار[2].

أما المفهوم الآخر فهو أن المسيحية دين المحبة الاوحد، فيقول الانجيل على لسان المسيح في موعظة الجبل: «سـمعتم انه قيل عين بعين، وسن بسـن، واما انا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضاً، ومن اراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبـك فأترك له الرداء أيضـاً. ومن سـخرك ميـلاً واحداً، فاذهب معه اثنين. ومن سـألك فأعطه، ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده. سمعتم انه قيل ان تحب قريبك وتبغض عدوك، واما انا فأقول لكم احبوا اعداءكم ...».

هناك علاقة وطيدة بين التبشـير والاسـتعمار، إذ يذكر المبشر الأمريكي (مندلسون) في هذا الصدد: «لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين، لا لمصلحة المسيحية وانما لخدمة الاستعمار والعبودية».

1 يونس احمد الرواي، التبشير في افريقيا، (الموصل، 2004)، ص11.
2 احمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، (القاهرة، 1981)، ص ص 114–115.

وقد قال أحد الملوك الفرنسيين: «الدين ضروري لكل الناس، ولكنه أكثر ضرورة في المستعمرات الآهلة بالعبيد التي لا يمكن أن تحوى املاً في حياة أفضل الا بعد الموت».

وفي عصر النهضة كتب احد الوزراء الفرنسيين إلى احد الحكام: «يجب على المبشرين أن يلاحظوا مدى خطورة الوعظ في اثناء شرحهم لقواعد الانجيل الحكيمة بالمساواة التي تتعارض مع مبدأ الاستعمار المحكم».

وقال نابليون في جلسة مجلس الدولة في 22 ايار عام (1804): «إن في نيتي انشاء مؤسسة الارساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لي في آسيا وافريقيا وأمريكا، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الاقطار. إن ملابسهم تحميهم وتخفى نواياهم الاقتصادية والسياسية»[1].

وقد ارتبطت حركة التبشير بالتفرقة العنصرية ارتباطاً وثيقاً، فمنذ قرون مضت، نشطت تلك الحركة واندفعت تغزو العالم وتدّعي ان هدفها هو «جلب نور الانجيل إلى العالم». ومن اخطر الممارسات العنصرية تلك التي يكون في المجالين السياسي والديني.

ففي مجال السياسة يقول المبشر مندلسون: «إن أكثر اجنحة المسيحية كشفاً وقابلية للانثلام، هو التفرقة العنصرية الوحشية باسم المسيحية».

وانه لمن المعيب جداً أن تكون قصص الكتاب المقدس مصدر الهام للمبشرين بالتفرقة العنصرية، وسنداً قوياً يحتجون به. وقد اصدرت احدى المجلات عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس، ومما جاء فيه: «لا تزال حكومة جنوب افريقيا تعتمد على ما جاء في سفر التكوين – الذي يصف احد ابناء حام بأنه عبد العبيد– لتبرير سيطرتها على السود واذلالهم».

ان التبشير المسيحي يساند على الدوام النظم العنصرية، وينظر إلى الشعوب التي يعمل بينها الأفارقة والآسيويين وغيرهم نظرة تكبر واستعلاء، وما ذلك الا لارتباطه الوثيق بالاستعمار، كيف لا والتبشير المسيحي يمارس العنصرية السوداء داخل اروقة الكنائس ومؤسساتها الكنسية.

أهداف التبشير في العالم الإسلامي

تعد حملات التبشير بمثابة حملات صليبية سلمية، وهذا ما ورد في مخطط وضعه الملك

1 المصدر نفسه، ص128.

الفرنسي لويس التاسع (1226–1270) ليمكنه من مواجهة الإسلام وتدمير قوته، ومما جاء فيه: «تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين النوعين الا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام، ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً. . .».

وفي عام 1818 تأسست في الولايات المتحدة الأمريكية جمعية تبشيرية للعمل في فلسطين تستند إلى الجهود الأمريكية، وكان الهدف الرئيس للتبشير في فلسطين هو تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى، وتبديل انماط حياتهم، وقد وضعت خطط مختلفة للوصول إلى نفوس النصارى والمسلمين واليهود في فلسطين.

وفي عام (1928) دعا المبشر الأمريكي (صمويل زويمر) إلى مؤتمر تبشيري شهير في القدس، وفي هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة اعمال المبشرين في العالم الإسلامي، فقال مخاطباً الحاضرين: «ايها الابطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس. . . لقد اديتم الرسالة التي أنيطت بكم احسن اداء. . . انني اقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين. . . ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست ادخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريم، وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ومن ثم فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية»[1].

إنها الحرب الشعواء التي مازال يشنها الغرب ضد الإسلام حتى ينسلخ منه المسلمون، فيكونوا مسلمين دون إسلام، وإسلاماً دون مسلمين، إن هذا النوع من الحروب اخطر وابشع من تلك التي يستخدم فيها احدث الاسلحة التقليدية وغير التقليدية كافة، فالرصاصة الواحدة لا تخترق الجدران، ولكن الكلمة تخترق الجدران والعقول والقلوب حتى تغيرها وتقلب كيانها، وهذا ما تسعى اليه المسيحية الغربية للنيل من الإسلام والمسلمين في عقر دارهم.

1 المصدر نفسه، ص ص 160–161.

وسائل التبشير في العالم الإسلامي

هناك العديد من الوسائل التي يستخدمها اعداء الإسلام لتشويه صورته امام العالم اجمع ومن هذه الوسائل:

أولاً- المؤثرات الفكرية:

ومنها تشويه صورة الإسلام، وتحريف فهم القرآن، إذ يقول احدهم: «يجب أن نستخدم كتابهم (القرآن) وهو امضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وان الجديد فيه ليس صحيحاً».

كذلك يدرك المبشرون خطورة الاعلام وآثاره القوية في محاربة الافكار والمعتقدات، ومن أجل ذلك ركزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر، وقد اعترفوا بأنهم «استغلوا الصحافة المصرية على الاخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر».

ثانياً- العلاج الطبي:

يعد العلاج الطبي واحداً من اخطر وسائل التبشير، إذ يقول احد المبشرين: «نحن متفقون بلا ريب أن الغاية الأساسية من اعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات: أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية».

وتقول إحدى المبشرات وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية: «يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين، وقلوبهم عن طريق الإنجيل، إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه اثمن تلك الفرص على الاطلاق، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: أن واجبك هو التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه».

وتؤكد مؤتمرات التبشير في توصياتها على خطورة استخدام العلاج الطبي في التبشير.

ومن اساليب التبشير الطبي: أن تذكر كلمات من الانجيل في مستشفيات المدن على مسامع المرضى بأسلوب بسيط لا يدعوا إلى التطرف في المناقشة. وفي الادغال يعلنون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل، فيأتي الناس من كل حدب وصوب يحملون

مرضـاهم، وينتظر الجميع قدوم الطبيب وفي هـذه الاثناء يقوم فيهم المبشرون، وغيرها من الاساليب الأخرى[1].

الحملات التبشيرية في إندونيسيا والملايو

بدأ النشـاط التبشيري في هذه الجزر خلال القرن الثامن عشر، ولم تكن البلاد قبل ذلك خالية من المسـيحية، فقد كانت الحملات الكشـفية تصـطحب معها رجـال الدين ليبشروا بالإنجيـل، ولكن الدعوى لم تحـرز تقدماً خلال حكم البرتغاليـين، واثناء حكم الهولنديين في القرن السـابع عشر ارسلت بعثة هولندية إلى إندونيسـيا والملايو (ماليزيا) وكانت مهمتها الرئيسة العناية بالجانب الروحي في حياة الموظفين الهولنديين، ولم يعلنوا انهم مكلفون بتنصير الوثنيين، وكانت الحكومة الهولندية قد خصصـت مكافآت كبيرة لكل مبشر يدخل شخصاً في المسيحية، وكان هذا دافعاً كبيراً لاستمالة الاهالي لهذه الديانة.

وفي عام (1688) ترجم الانجيل إلى اللغة الملايوية، وكانت هذه أول ترجمة إلى اللغات الشرقية، إذ لم يترجم قبلها إلى أي لغة منها، وفي عام 1734 ترجم الكتاب المقدس كله إلى الملايويـة، وكتب بحروف لاتينية ثم كتب بحروف عربية عام (1759). وفي عام (1776) كان يوجد في إندونيسـيا كلها 22 قسيسـاً رئيسـاً بينهم خمسـة فقط يجيدون لغة البلاد. وازدادت حركة التبشير مع ازدياد دائرة السيطرة الهولندية على البلاد.

ويذكر المبشر البروتسـتانتي (ادوين): «ان عقيدة الإسـلام هناك سـقيمة لان اهل البلاد كلها (ماليزيا وإندونيسيا)، لم تسلم على يد علماء، ولم تعرف الإسلام الا في القرن الثالث عشر، فخرج أهلها بشيئ من عقائدهم، ثم اقتبسوا شيئاً من الكاثوليكية في العصر المغولي، ومن البروتسـتانت في العهد الهولندي، والمعركة عنيفة بين الديانتين، ومراكز التبشـير في سرواك وصباح تعد من اقوى مراكز التبشير واكثرها نشاطاً، وهي تدخل في المسيحية كثيراً من الوثنيين والمسلمين أيضاً».

وأهم ما يعتمد عليه التبشـير هناك هو المدارس، ففيها يلقن الناشـئون، تعاليم المسـيحية ومبادئها، ويلقنوهم أيضـاً ضرورة الابتعاد عن الإسـلام والصـد عنه، وقد كان المسلمون في بادئ الأمر يعزفون عن هذه المدارس حين يدعون اليها، لكن فيما بعد أصـبحوا يتهافتون عليها لما بها من مغريات.

1 المصدر نفسه، ص181.

الحملات التبشيرية في الفلبين

حملت العديد من السفن الإسبانية في حملاتها المتكررة إلى الفلبين دعاة المذهب الكاثوليكي، ولكن دعوتهم لم تلق قبولاً، ورأى المبشرون الكاثوليك أن الأمر يدعوا إلى اقامة اساقفة وطنيين ليكونوا اقدر على دعوة الاخرين، ولكن المجلس البابوي رفض ذلك، وخاطر أحد الآباء بإنشاء كنيسة مستقلة، وكون لها مجلساً دخله بعد ذلك فرع أمريكي وآخر انجليكاني.

وبعد عام (1898) ووضع جميع الجزر تحت السيطرة الأمريكية، انفتح الباب على مصراعيه للكنائس البروتستانتية المختلفة، وشكل ذلك غبطة كبيرة لدى الأمريكان، لأنها لم يسبق لها أن اتخذت موقعاً بين الاقاليم التي يسودها المذهب الكاثوليكي، وهي قد دخلت الفلبين بقوة السلاح وبوعود بمنح الحرية الدينية والاستقلال، وإذا بدا لهم أن اهل الفلبين يميلون صوب الاستقلال، فإنهم سيعملون على ايجاد كنائس مستقلة، وظل الوافدون من أمريكا يشكلون الداعم لها، لكن وبالرغم من نشاط التبشير في الفلبين، الا أن مقاومة المسلمين له كانت يقظة وقائمة على قدم وساق، وظلت مصرة على عدم الانقياد وراء الكنائس بشتى انواعها.

وفي عام (1948) عقد مؤتمر في مانيلا (العاصمة الفلبينية) جمع القساوسة من كوريا وباكستان، وكان هذا المؤتمر على صلة بمراكز الدعوة في انجلترا وأمريكا وإيطاليا، وفيه اتخذت الخطوات والوسائل التي يمكن أن يُقضى على المسلمين من خلالها، الذين يشكلون العقبة الرئيسة في طريق التبشير المسيحي[1].

التبشير في افريقيا

يقول أحد الزعماء الأمريكان السود مخاطباً الجنس الابيض: «عندما جاء اجدادكم إلى افريقيا كنا نملك الأرض، وكانوا يحملون الصلبان، أما الآن فنحن نحمل الصلبان، وهم يملكون الأرض».

إن أفريقيا على كبر حجمها وترامي اطرافها قد احتلت الدول الإسلامية فيها جانباً عظيماً من اهتمام بعض المنظمات الإسلامية العالمية، وتوجيه الدعوة الإسلامية الخالصة إلى مجاهل

1 المصدر نفسه، ص ص 128-129.

افريقيا ومساعدة المسلمين هناك.

رغم ذلك تعد افريقيا ارضاً خصبة للتبشير بالدين المسيحي لأنها تعيش في حالة من التخلف العلمي والصحي، وتعاني من فراغ ثقافي كبير ينتظر من يملؤه بما يرتأ به الملاء.

ففي شمال افريقيا وقع على دولها العبء الاكبر من الحملات سواء كانت التبشيرية أو الاستعمارية، ففي مصر عمل المبشرون بكل قوة بمساعدة المحتلين الإنجليز، وعملت البعثات التبشيرية على بث روح الفرقة والطائفية.

وحرصت بريطانيا على حماية الارساليات البروتستانتية خاصة، مهما كانت الجهة القادمة منها. وذلك لأن هذه الارساليات تقدم خدمة جليلة في ترويض الشعب على قبول فكرة الاستعمار.

ويذكر (زويمر) في احد كتبه عن الإسلام ما مفاده: إن أهم معاهد التبشير هي التي أنشأت في مصر المعهد الذي سمته جمعية اتحاد مبشري أمريكا الشمالية عام (1854) وقد استطاع المبشرون منذ ذلك العام وحتى (1904) أن يحتكوا بالمسلمين عن طريق مؤلفاتهم ومدارسهم والمحاضرات العامة التي يقيمونها مرتين في كل اسبوع للمناظرة بين الإسلام والمسيحية، ويحضرها جمع غفير من المسلمين، ويسمح لهم بالكلام، وقد غدا لدى مدارس المبشرين في القطر المصري ما يقارب 3000 طالب مسلم وخمس هؤلاء من البنات المسلمات. وفي عام (1882) تأسس في مصر معهد علمي للتبشير، وله اربعة فروع هي:

- قسم طبي.
- مدرسة الصلبان.
- مدرسة للبنات.
- مدرسة لنشر الانجيل.

وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة اسبوعية وكراسات، ولهم مكتبة خاصة بهم.

وفي الجزائر دخلت الارساليات التبشيرية مع الحملات الفرنسية التي احتلت الجزائر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وكان هذا الاحتلال الغطاء الواقي للمبشرين بين صفوف المسلمين.

لكن هذه الطرق التقليدية لم تفلح في تنصير المسلمين واستحال عليهم الوصول بالدعوة أو بالقوة ، إذ أرادوا انشاء مركز للتبشير يشبه من حيث المظهر المظاهر الحياتية للمسلمين ، واقترح احدهم تسمية الزاوية المسيحية بيت الله ثم اقترح أيضاً أن يكون لباس رواد الصحراء المسلمين ، أو الاخوة المسيحيون ممن يعيشون في الزاوية المسيحية مشابهاً للباس المسلمين ما عدا لباس الرأس .

وعد الفرنسيون أن التبشير بالمسيحية بين المسلمين من المهام الأولى والرئيسة في جدول اعمالهم[1] .

والحال نفسه كان في دول غرب وشرق ووسط افريقيا ، ولكن المسلمين كانوا يزدادون تمسكاً بالدين الإسلامي الحنيف . لأنهم يجدون فيه دين الوحدة والاتحاد والمحبة .

- الدور الاستشراقي

يراد بالاستشراق دراسة علوم الشرق ، واحواله وتاريخه ، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية ، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي[2] .

إن أول استعمال لكلمة استشراق كان في عام (1630) عندما اطلقت على احد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية[3] .

وعموماً فكلمة مستشرق تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق ، ورغم أن مصطلح الاستشراق يمتد إلى عدة قرون الا انه لم يظهر في أوروبا الا في نهاية القرن الثامن عشر ، فقد ظهر أول مرة في انجلترا عام 1779 ، وفي فرنسا (1799) ، وادرج مصطلح الاستشراق في قاموس الاكاديمية الفرنسية في (1838) .

بدأ المستشرقون في النصف الأول من القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا بإنشاء جمعيات متابعة الدراسات الاستشراقية ، فقد تأسست أولاً الجمعية الاسيوية في باريس عام (1822) ، ثم الجمعية الملكية الاسيوية في بريطانيا وايرلندا عام 1823 ، والجمعية الشرقية الأمريكية عام (1842) والجمعية الشرقية الالمانية عام (1845) ، وسرعان ما نشطت

1 الراوي ، المصدر السابق ، ص ص 65-66 .
2 عبد المتعال محمد الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مكتبة وهبة ، (القاهرة ، 1995) ، ص13 .
3 محمد ابراهيم الفيومي ، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي ، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، (القاهرة ، 1994) ، ص11 .

هذه الجمعيات في اصدار المجلات والمطبوعات المختلفة، واصدرت أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا عام 1809 في فينا هي مجلة «ينابيع استشراقية».

وفي عام 1895 ظهرت في فرنسا مجلة انصب اهتمامها بصورة خاصة على العالم الإسلامي وعرفت بمجلة الإسلام.

وعقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873 وتضم المؤتمرات المعقودة بخصوص الاستشراق مئات العلماء.

الاستشراق والاستعمار

كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق وخاصة بعد منتصف القرن التاسع عشر، وقد افاد الاستعمار كثيراً من التراث الاستشراقي، ومن جانب آخر كان للسيطرة الغربية على الشرق الدور الابرز في تعزيز موقف الاستشراق، وازداد حجم التضخم في مؤسسات الاستشراق مع تزايد التوسع الأوروبي في الشرق.

ويبدو أن الاستعمار والاستشراق وجهان لعملة واحدة، وشجرتان خبيثتان في جذر واحد. فالاستشراق ثمرة الاستعمار، والاستعمار هو حتمية الاستشراق التي لا مفر منها.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى كان العالم الإسلامي يخضع جميعه تقريباً تحت النفوذ الغربي الامبريالي، وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أهدافه، وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين، وهكذا نشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار عدد لا بأس به من المستشرقين ممن ارتضوا لأنفسهم أن يكون عملهم وعلمهم وسيلة لإذلال المسلمين واضعاف شأنهم، وهذا ما دفع العديد من المستشرقين المنصفين إلى الشعور بالخجل والمرارة ازاء ذلك، ومن هؤلاء المستشرق الالماني (استفان فيلد Wild) الذي قال: «انه من القبيح وجود جماعة يسمون انفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة».

وفي فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين في وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال افريقيا، وعندما غزا الفرنسيون الجزائر عام (1830) كان دي

ساسـي المستشرق الفرنسـي هو من ترجم البيان الموجه للجزائريين ، وكان يستشار بانتظام في جميع المسـائل المتعلقة بالشرق من قبل وزير الخارجية ، ومن قبل وزير الحربية في حالات معينة .

وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار صوب اضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسـلمين ، وتشكيكهم في معتقداتهم وتراثهم ، حتى يتم الأمر للاستعمار في جميع بلدان المسلمين .

أهداف الاستشراق .

قد يتبادر إلى الاذهان تسـاؤل حول ما يدفع الباحث الغربي إلى بذل كل هذه الجهود في دراسة عالم غريب عنه ، يدرس لغات تختلف تماماً عن لغته ، ومجتمعاً يختلف عن مجتمعه ، ويحاول جاهداً فهم آدابه وعقائده وتاريخه؟ .

وليس من الغموض أو العيب دراسة الغريب والمجهول حتى تفك طلاسمه ، وتنقشع غيومه ولكن العيب في استخدام هذه الدراسة في إضعاف شعوب تلك البلدان والسخرية منهم والتشكيك في أديانهم .

وهناك من يعتقد أن الدافع العلمي كان وراء جميع الجهود الاستشراقية فيرى المستشرق الالماني (رودي بـارت) أن الدافع العلمي في الحركة الاستشراقية كان واضحاً جداً منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ويعني ذلك في رأيه أن معظم الكتابات الاستشراقية قبل هذا التاريخ تفتقر إلى الطابع العلمي ، ومما لا شك فيه أن الدافع الديني كان له الأثر البالغ في نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا ، وكان مصاحباً له طوال مراحل تاريخه ، ولم يستطع الانسلاخ منه بصفة نهائية ، والهدف الديني للاستشراق كان منذ البداية يسير في اتجاهات ثلاثة هي:

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعفه .
- حماية النصارى ، وتحذيرهم من خطر الاستسلام للدين الإسلامي .
- التبشير وتنصير المسلمين .

ويقول (برنـارد لويس) بهذا الصـدد: «لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الابحاث العلمية» .

وهذا لا يعني أن الهدف الديني هو كل شيء، فقد كانت هناك أهداف أخرى للاستشراق تقترب أو تبتعد من الهدف الديني ومنها:

- **أهداف علمية**

كانت الأهداف العلمية مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا، فمنهم من قرأ الكتب الدينية وادرك أن رسالة الإسلام قريبة من الرسالات السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من ايمان بالله وكتبه ورسله ودعوة إلى العلم ونبذ الجهل والتخلف، وهؤلاء كانوا قلة[1].

كان الغرض من دراسة المشرقيات هو استفادة الغرب من علوم الشرق وآدابه، وقد رأت أوروبا انها لا تستطيع أن تنهض وتتخلص من الحكم العربي المسيطر على أوروبا الا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون فتوحاتهم وحكمهم.

وقد ادرك رجال الدين المسيحي بأن المسلمين لم يتمكنوا من فرض سلطانهم على أوروبا الا بالعلوم التي تربع على عرشها المسلمون بينما جثت أوروبا تحت اقدامهم.

وهذا ما دفع المستشرقين صوب الانكباب على العلوم الصرفة والفلسفية، ولهذا تأسست الجمعيات العلمية في معظم الدول الأوروبية، وهو غرض علمي يستهدف انهاض الغرب، والاخذ بيد المسيحية، ومع ذلك فقد افصح احدهم عن الهدف قائلا: «لم يكن الاستشراق عملاً علمياً محضاً، بل ان المراد منه هو الرد على الإسلام، والتبشير بالنصرانية بين المسلمين، ذلك بتراجم عربية للإنجيل»[2].

وكان الملك الفرنسي (لويس الرابع عشر) قد ارسل عام (1671) رسله إلى جميع البلدان الإسلامية لشراء المخطوطات، وزود مبعوثيه بأوامر ملكية إلى جميع القناصل ليضعوا رجالهم وأموالهم لتحقيق هذه الغاية.

وهكذا تدافع المستشرقون على جمع التراث العربي، واقتناء الكتب الإسلامية والشرقية بوجه عام، واغتنموا فرصة سيادتهم على الشرق عند اضمحلاله فصادروا مخطوطات المساجد والتكايا[3].

1 www.Islamweb.net/newlibrary.
2 الجبري، المصدر السابق، ص ص 16–17.
3 المصدر نفسه، ص23.

ويمكن القول ان الدافع العلمي يتمثل في اتجاهات ثلاث هي:

- البحث عن نقاط القوة في الدين الإسلامي، وفي المسلمين للإفادة منها في نهضة الشعوب الأوروبية.

- البحث للاطلاع على حضارات الأمم واديانها وثقافاتها ولغاتها.

- العمل على تشويه الدين الإسلامي ونقله إلى الشعوب الأوروبية ليثبتوا للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار والاعتناق.

وليس من الغريب أن نجد اقلام المستشرقين تسبق بنادق المستعمرين في البلدان التي كانوا يرغبون في بسط سيطرتهم عليها.

- **أهداف اقتصادية**

طالما رغبت الدول الأوروبية في مد مصانعها بالمواد الخام والأولية، ورغبت أيضاً في تسويق منتجاتها، فكان لابد من التعرف على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية، ويمكن أن تكون في الوقت نفسه اسواقاً مفتوحة، فكان الشرق الإسلامي والدول الافريقية والاسيوية هي الهدف المنشود، فلجأت الدوائر الحكومية، ومؤسسات الاستثمار الأجنبي إلى المستشرقين في البلدان المعنية من أجل:

- الاستطلاع على امكانية استغلال الثروات الباطنية والبشرية فيها.

- تنفيذ مشاريعهم الاقتصادية المختلفة، والعمل كوسطاء، ومستشارين ومترجمين ومنقبين، مقابل رواتب مغرية.

- **أهداف سياسية واستعمارية**

تمكنت قوى الاستعمار من تجنيد طائفة كبيرة من المستشرقين، لخدمة أغراضها، وتحقيق أهدافها في البلاد المستعمرة، وعمل الاستعمار على تعزيز موقف الاستشراق، وهكذا نشأت الرابطة الوثيقة بين الجانبين وعمل بعض المستشرقين مستشارين في وزارات الخارجية في بلدانهم، وتجسسوا على المسلمين، وكان رجال السياسة يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية.

وطالما مثّل التراث الإسلامي الدليل الواضح للاستعمار، لأن المعرفة بالأجناس الشرقية

هي التي تجعل حكمهم سـهلاً ومجدياً، فالمعرفـة تمنح القوة، والمزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة[1].

- الدور الشيوعي

الشيوعية عقيدة وممارسة تنادي بتعميم المساواة بين البشرية من خلال الغاء الملكية الخاصة والتمييز الطبقي والاجتماعي، ومعظم المؤسسات الاجتماعية القديمة، وهي على النقيض من الرأسمالية العالمية.

ومهما يكن من امر فكل ما هو غير مسلم يكّن العداء للمسلم، فيهب اليوم العالم الغربي لنسـيان خلافاته مع الشـيوعية وحتى الشـيطان من أجل الوقوف في وجه الإسلام، وتحويل تربته الخصـبة إلى رمال متحركة، لأنه يدرك تماماً أن الجذور لا تنمو في الرمال، وعندها لا جذع واغصان ولا ثمار.

ويذكر احمد صلاح جمجوم[2]: «منذ أن اشتركت في المؤتمرات الدولية لمكافحة الشيوعية عام (1971) والحقائق تتكشـف عاماً بعد عام ومدة بعد أخرى بان العالم الحر لا يمارس تلك المكافحـة بجدية كافية، وتتخذ القرارات والتوصـيات في كل عـام دون أن يكون لها تأثير واقعي أو تحرك عملي».

إن كل اصـلاح في العالم العربي والإسلامي لا يكتب له النجاح الا إذا كان معتمداً على الإسـلام، فمن جهة فإن تاريخ جميع الشعوب العربية لم يعرف نهضة عامة وشاملة تذكر، ومن جهة أخرى فإن عدداً كبيراً من شـعوب الأمة الإسـلامية لم يعرف في تاريخه كله أي ازدهار حضاري الا بالإسلام، وما سوى ذلك فشل في فشل.

وهذا ما يفسر فشـل الحركة الماركسية الشـيوعية في الواقع العربي الإسلامي فقد كانت تجربة هذه الحركة تتميز بعدائها للإسـلام كجزء من عدائها للدين، ورغم محاولاتها التفاهم مع الشـعوب العربية الا انها على علم مسـبق من أن جميع تلك المحاولات ستبوء بالفشل ما دامت تتعارض مع الإسـلام ومبادئه، وكانت الماركسية اشد التيارات والحركات معارضة للإسلام.

وتجربة الحزب الشـيوعي العراقي والمصري خير دليل على ذلك، فما من حزب شـيوعي

1 سعد ال حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، (د.م، د.ت)، ص ص 7-8.
2 الوزير السعودي الاسبق للتجارة، واحد ابرز قادة المنظمة العالمية لمناهضة الشيوعية.

في العــالم أجمع حظي بقــدر من التجاهــل والرفض الجماهيري كالــذي حظي به في مصر والعراق وباقي البلدان العربية[1].

وقد تلتقي المتناقضــات مــن أجل هدف واحد ينتفع بتحقيقه كلا الجانبين، وخاصــة إذا كان هذا الهدف وراء بقائهما وتواجدهما في الحياة والعالم والجماهير والمجتمعات.

وهذه المتناقضــات هي الشــيوعية والصــهيونية التــي من دون ادنى شــك تلتقي من أجل هدف واحد وهو تدمير الإسلام وجعله يتأخر قروناً من الزمان، والحد من انتشاره بين ربوع الأرض.

(الشيوعية وليدة الصهيونية): عبارة رددها الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (1906-1975) في بعضــ من خطبه، وقد اســتغرب كثير من الناس هــذه الحقيقة التي لم يكونوا قد ادركوها بعد، فهم يرون كلا منهما نقيضــاً للآخر، ودليلهم الصراع العريض بين الرأسمالية والشيوعية والنقائض بينهما في جميع المجالات والميادين.

فيقول احد كتاب الغرب هو (فرانك بريتون) في كتابه «الصــهيونية الشيوعية» في المقدمة التي بدأها بقوله: «تختلف الصــهيونية عن الشــيوعية ظاهراً في ثلاثة امور، أولها – التسمية، ففي الصهيونية تخصيص، وفي الشيوعية تعميم يختار المرء بينهما بحسب مزاجه. والثاني – مركز النشــاط، فمركز نشاط الصــهيونية ما اصطلح على تسميته (بالغرب) بزعامة أمريكا، ومركز نشــاط الشــيوعية (الشــرق) وتتزعمــه روســيا. والثالث – الاســلوب في العمل، فالصــهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية عند اللزوم، والشــيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال عند الحاجة.

واما الحقيقة الراهنة فهي أن الصــهيونية والشيوعية صنوان (الشبيه) يجمعها اصل واحد، وجوهر واحد، والفئة التي تقوم عليها من وراء الستار واحدة، وما اختلافهما سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم اجمع».

ويدعم هذا الرأي كتاب ومفكرون وباحثون في الغرب ومنهم المليونير الأمريكي المعروف (هنري فورد) الذي اعد كتاب «اليهودي العالمي أكبر مشــكلة في العالم» عام 1921 وكان من أوائل من كشفوا للأمريكيين وللعالم أن الشيوعية من صنع الصهيونية.

---

1 طارق حجي، الشيوعية والاديان، ط3، (د.م، 1980)، ص ص 73-74.

وما دامت الشيوعية في جوهرها وحقيقتها صهيونية، فلا غرابة أن يكون دعاتها ومروجوها في العالم العربي والإسلامي يهوداً محترفين مدربين على التضليل وخداع العرب والمسلمين.

وكانت الظروف مؤاتية لانتشار الدعوة التي تروج من قبل الدعاة باسم الحرية والإنسانية والعدالة وتجد قبولاً إلى حد ما، وخاصة بعد أن تولى الاستعمار والصهيونية والشيوعية تشويه سمعة الخلافة العثمانية والحكم التركي، فالخلافة قتلت، والحكم التركي اقتصر على تركيا بعد الحرب العالمية الأولى.

كانت موسكو ترسل العديد من اليهود لنشر المذهب الشيوعي في العالم العربي، فارسل إلى مصر العديد منهم واهمهم (هنري كوريل) الذي قضى سنوات في بكين وهونج كونج، ويعد من الخبراء في الدسائس والمؤامرات، ودخل مصر يحمل معه أموالاً طائلة زودته بها موسكو، حتى استطاع من تأسيس منظمة عرفت باسم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني) واختصرت إلى (حدتو)، وكانت من أكبر المنظمات الشيوعية في مصر.

وقد اثرت مثل هكذا منظمات يهودية شيوعية في كثير من الطلبة والطالبات والعمال والمدرسين، وتم خداعهم باسم الاماني الوطنية وتحرير البلدان العربية من نير الاستعمار، ومناهضة الاحلاف العسكرية، واوهموهم بان الشيوعية ماهي الا نصير الشعوب المغلوب على امرها.

وفي العراق وصلت الشيوعية على ايدي اليهود أيضاً، وجميع يهود العراق حملة للدعوة الماركسية امثال: يوسف حزقيل ويعقوب كوجمان. واستطاع هؤلاء اليهود الشيوعيون تضليل كثير من شباب العراق وشعرائه وأدبائه وكتابه، ومنهم الشاعر المعروف بدر شاكر السياب.

ويذكر قدري قلعجي في هذا الصدد: «لم تدخل الشيوعية البلاد العربية بوصفها حركة وطنية تنبثق من البيئة القومية وتتفاعل معها، وان مؤسسي الحزب الشيوعي لم يكونوا مواطنين عرباً من اهل البلاد، وانما كانوا رسل الكومنترن أو الشيوعية الدولية لهدايتنا اليها، في وقت لم يكن الاتحاد السوفيتي قد اقام علاقات دبلوماسية مع بلدان الشرق الاوسط».

وهناك العديد من العرب ممن ايدوا الشيوعية وانضموا اليها، والادهى من ذلك انهم تنكروا لعروبتهم ودينهم، وايدوا الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ودافعوا عن ضرورة ان

يكون هناك سلام دائم مع إسرائيل. وكان لقيام دولة يهودية في فلسطين أن فتح الباب على مصراعيه لتدخل الشيوعية إلى العالم العربي، بل بلغت براعة الصهيونية والشيوعية أن جعلتا بعض زعماء العرب الذين يحكمون شعوبهم يصفون روسيا بالصديق والمنقذ والحامي.

وهكذا نجدهم يندفعون صوب محاربة الإنجليز والفرنسيين، تاركين وراءهم عدواً لا يقل خطورة عن الذين هم أمام صدورنا، فراحت الشيوعية تتخذ لها قواعد لها في بلدان الشرق العربي لتكون انطلاقة لتدمير وضرب الإسلام في عقر داره.

وعمدوا إلى وضع مخططات تنال من الإسلام وسيد المرسلين، ومن هذه المخططات مؤتمر باكو المنعقد (من 19 تموز حتى 7 آب 1920) برئاسة اليهودي الصهيوني (كارل راديك) أحد زعماء الشيوعية، والصديق الحميم للينين، وشريكه في الحكم بعد اشتراكه معه في ثورة 1917 في روسيا. وهو المسؤول الأول عن جميع حركات العمل الثوري الشيوعي في أوروبا الوسطى وأوروبا الغربية، ويعد من أكبر الشيوعيين الهدامين، وقد تفرغ لمؤتمر باكو، فأعد كل ما يضمن نجاحه، وجعله المؤتمر الإسلامي السوفيتي الأول الذي كان ما اتخذ فيه أساس لكل تجمع أو مؤتمر إسلامي سوفيتي يأتي بعده، ووضع راديك عنوان النداء الموجه إلى المسلمين في روسيا والشرق وهو: «نداء موجه لجميع مسلمي روسيا والشرق». وبني النداء على أساس أن تكون (حركة التحرير الوطني) للشعوب الإسلامية كجزء من حركة التحرير البلشفية المركزة في الاتحاد السوفيتي، وكجزء من حركة التحرير للجماعات اليهودية المضطهدة.

وقد تعرض البيان للإسلام ولسيد المرسلين محمد -ﷺ- بأبشع ما تنضح الشيوعية الملحدة فيقول: «يا شعوب الشرق كم من مرة دعتكم حكوماتكم الرجعية إلى الحرب المقدسة (الجهاد) ومشيتم اليها تحت راية النبي الخضراء، ولكن مثل هذه الحروب كانت خدعة لكم. لا يستفيد منها سوى الرجعية والاقطاع، وتلك الراية كانت زائفة. لأن النبي نفسه (زائف) جاء بدعوة تخدم الرجعية والاقطاع».

كان هذا البيان المخادع أساساً بنيت عليه جميع الانشطة الشيوعية في البلدان الإسلامية والتي كان قوامها اليهود انفسهم، والتقت الشيوعية والصهيونية في ضرب العرب في وطنهم وسلبهم فلسطين منهم إلى يومنا هذا[1].

1 احمد عبد الغفور عطار، الشيوعية وليدة الصهيونية، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت، 1974)، ص ص 93-94.

والفرق الوحيد بين عداء الصـهيونية والشيوعية للمسلمين هو أن العدو الأول علني حتى يوجـه اليه جميع الانظار . والثاني خفي حتى يجذب اليـه جميع القلوب . وهذه لعبة اتقنت جميع جوانبها ، فخدعت وقتلت وسلبت .

وهكـذا فإن العداوة المُغلفة بالصـداقة اخطر انواع العـداوات فهي تجعلك تمنحها ظهرك: وهذا ما يسـهل عليها الطعن والضرب ، ومن ثم تثقل قفاك بالسـهام المسومة ، فتنهك قواك لتتأخر عن ركب الحضارة والحياة والإنسانية لتكون تابعاً لا متبوعاً ، ومجنياً عليه بين الاشهاد مصروعاً .

وبما أن الشيوعيين قد أدركوا بان مذهبهم وحركتهم لا يمكن أن تسود ما دام هناك شيء اسمه الإسلام ، سارعوا إلى محاربته والسعي إلى نشر مذهبهم في البلدان الإسلامية بالوسائل كافة ، وراحوا يستأصـلون المسـلمين من البلدان التي تقع تحت سـلطانهم ، ويقضون على الروح الدينية في نفوس أطفال المسلمين وحتى غير المسلمين بالعديد من الاساليب الخبيثة[1] .

الدور الوثني

الوثن هو التمثال الذي يعبد من دون الله سواء اكان من خشب أم حجر أم نحاس أم غير ذلك . وكل إنسـان يسـجد للأوثان فهو وثني ، وكل دين يوصي بعبادة أي شيء غير عبادة الله –جل جلاله– كما امر واوصى فهو دين وثني ما انزل الله به من سلطان .

وموقف الإسـلام من الوثنية معروف ، فهو يرفضها تمام الرفض ، فقد بعث الله الرسول الكريم –ﷺ– وبقايا الوثنية ما زالت مترسـخة في عقول العرب ونفوسـهم . ومتمركزة في حياتهـم الاجتماعيـة يخلعون على الوثن والصـنم من المعاني الدينيـة والمعتقدات ما هو مبهم وغريب .

ولقد كان للعرب في جاهليتهم اصـنام واوثان كثـيرة يعبدونها من دون الله بعد أن زين لهم الشـيطان سـوء اعمالهم ، وصرفهم عن الصراط المستقيم فتقربوا إلى الشيطان الرجيم ، وابتعـدوا عن خالقهم الرحيم ، ولم يكن يخلو بيت احدهم من وثن أو صـنم ، وانه لما كان يوم فتح مكة نادى منادي رسـول الله: «من كان يؤمـن بالله واليوم الآخر فلا يدعنّ في بيته

1 عباس محمود العقاد واحمد عبد الغفور عطار ، الشيوعية والإسلام ، مطابع دار الاندلس ، (بيروت ، 1972) ، ص 65–66 .

صنماً إلا كسره»[1]. والمعروف أن الصنم لا يكسر في الظاهر، الا إذا كان قد كسر في باطن الإنسان الذي ينبع إيمانه من سويداء قلبه.

إن كسر الاوثان والاصنام الذي دعا اليه الإسلام، هو ما يدفع اهل الاوثان في السابق واللاحق إلى التكالب على الإسلام، وسهر الليالي من أجل تدميره، وابعاده كل البعد عن ركب الحضارة والتطور، ومحاولة اظهاره للعالم على انه دين التخلف والرجعية، وادعائهم بان بقية الاديان خير منه في كل شيء.

ومن أدلة صدق الدين الإسلامي، هذا التكالب الذي تشهده الأمة اليوم، فلو كان هذا الدين من عند غير الله، لما كان هناك تكالب ووجل منه، والمعروف أن الباطل لا يحارب الا الباطل.

وثمة ديانات وثنية تعبد وتقدس المخلوق دون الخالق، من حيوان وإنسان وشيطان، فمنها البوذية والهندوسية وعبدة الشيطان. وقد ذُكرت الاوثان في القرآن في ثلاث مواضع، إذ يقول الله –جل جلاله–: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[2]. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا..﴾[3]. وقال: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[4].

ومن المعتقدات الوثنية عبادة الشيطان، وهذه الكلمة تطلق على كل من خالف امر الله –جل جلاله–، إذ عُرّف الشيطان بأنه: كل عات متمرد من الجن والانس والدواب. يقول الله –جل جلاله– في كتابه الحكيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[5].

وعبادة الشيطان تطلق على كل عبادة لا يتوجه بها إلى الله تعالى، وذلك أن كل معصية لله تعالى هي طاعة للشيطان، وان نبي الله ابراهيم الخليل –عليه الصلاة والسلام– قال لأبيه، كما أخبرنا تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[6]. رغم أن اباه وقومه كانوا في غالبهم يعبدون الاصنام والاوثان، وهو ما يؤكد أنَّ معنى عبادة الشيطان في هذا المقام هي الاستجابة له في عبادة الاوثان.

1 حسن خالد، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، معهد الانماء العربي، (بيروت، 1985)، ص ص 23–24.
2 سورة الحج، الآية 30.
3 سورة العنكبوت، الآية 17.
4 سورة العنكبوت، الآية 25.
5 سورة الانعام، الآية 112.
6 سورة مريم، الآية 44.

وقد ظهرت عبادة الشيطان وانتشرت في العديد من الحضارات والديانات القديمة منها:

- الحضارات الفرعونية .
- الحضارة الهندية القديمة .
- الحضارة الفارسية .
- الحضارة السومرية .

أسباب انتشار عبادة الشيطان في المجتمعات الإسلامية

هناك أسباب كثيرة وراء انتشار هذا المعتقد الوثني الضال نذكر منها:

- ضعف الايمان بالله تعالى
- الجهل بالإسلام الحنيف ، وضعف المعرفة العقائدية .
- كثرة دعاة الضلال واتباع الغزو الفكري .
- وسائل الاعلام المسيطر عليها من قبل اليهود .
- الاغترار بالغرب والتقليد الاعمى له[1] .

وأخطار المعتقدات الوثنية كبيرة جداً على المجتمعات الإنسانية بما فيها الإسلامية ، فهي تلغي الايمان بالله تعالى ، وتحض على نشر المفاسد والانحلال بين ابناء المجتمع الواحد ، وتسعى إلى تقويض الاديان والقضاء عليها وعلى أتباعها ، كما أنها تحول دون الفرد وتقدمه وتطوره .

ونجد الوثنيين في بورما وميانمار يسعون إلى استئصال المسلمين من مناطقهم وقتلهم وحرقهم وهم احياء ، وتمزيق المصاحف من دون رحمة أو رأفة ، وذلك لأنهم يعلمون أن الدين الإسلامي لا يحابي ولا يجامل اية معتقدات وخرافات لا تؤمن بالله تعالى وتخالف اوامره . وبعد أن ادركوا أن قتل الإسلام ضرب من المحال ، نجدهم يسعون إلى قتل المسلمين والتضييق عليهم في كل مكان وزمان ، وبشتى الطرائق والالوان .

1 طارق عمر التلباني ، ظاهرة عبادة الشيطان ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بغزة ، 2008 ، ص ص 134-135 .

ومهما يكن من امر فإن السبب الرئيس في تأخرنا يكمن في الفهم الخاطئ للدين الإسلامي من قبل المسلمين ، وليس من غير المسلمين ، فلا يخشى على الإسلام الا من المسلمين انفسهم ، فما يفعله الوثنيون واليهود والنصارى والشيوعيون وما إلى ذلك لا يمكن عده سبباً في تأخرنا ، إنما هو اقرب إلى النتيجة منه إلى السبب ، فليس من المعيب أن تعجب بقوة العدو ، ولكن المعيب أن تخضع لقوته ، فتموت ولا تحيا ، وتذل ولا تعز ، وتستهلك ولا تنتج ، فأمة تأكل من يد غيرها لا تتقدم ولا تنتصر ، ولا تحيا امة ولا ترقي صوب القمة إذا مات فقيرها بشبع غنيها . ولا خير في وطن لا يكون لأبنائه وطناً ، ولا خير في ابناء لا يستغلون من أجل وطنهم الزمن .

والذي يرغب أن تتأخر عنه ، فإنه سيجعل من نفسه صديقاً لأمتك ، حتى إذا افصح عن عداوته فستكون يدك بعيدة عنه لتضربه وذلك لأنك تأخرت عنه عندما كان صديقك في الظاهر . وهذا ما سيجعل من المجتمع ذا يد قصيرة ، ولسان طويل ، وعين قاصرة ، وقدم عرجاء لا تحمل صاحبها في سلم ولا في حرب هوجاء .

لقد فتحنا الباب امام من كان يريد الدخول علينا من النافذة ، فدخل علينا من الاثنين معاً ، فلو التزمنا السور لما خطف منا النور ، ولما كان قد دخل علينا الذل والحرور ، والسور هنا هو الإسلام الذي من التزمه ساد بين الأمم ، ومن تركه خاب وندم .

– دور الوعي والعولمة

إن كثرة الحلول والاتجاهات التي قد تصادفنا في حياتنا . لا تعني اننا ضللنا ، ولكنها مؤشر كبير بان وعينا في امتحان صعب جداً .

ففهم الحياة لم يأت بالصدفة ولم يجده الإنسان جاهزاً بقالب حياتي ، وانما لعب الوعي والمعرفة دوراً بارزاً في سيرها صوب الجادة الصحيحة أو الخاطئة[1] .

يُنظر إلى الوعي لغةً على انه الفهم وسلامة الادراك ، وهو في الاصطلاح ادراك الفرد لنفسه وللبيئة المحيطة به ، وهو بهذا المعنى يتضمن ادراك الفرد لنفسه ولوظائفه العقلية والجسمية وللعالم المحيط به[2] .

1 مازن مرسول محمد ، مشكلة الوعي ووعي المشكلة ، دار الفارابي ، (بيروت ، 2012) ، ص21 .
2 المصدر نفسه ، ص22 .

وأخطـر ما تتعرض له الإنسـانية في زماننا هذا هو ظاهرة العولمـة بقوتها وآلياتها المتنفذة، والتي غارت غوراً عميقاً في شتى مجالات الحياة الإنسانية لجميع البلدان دون استثناء بدافع الموجة الجديدة القاضية بإنقاذ العالم من بؤسه وفتح مداركه، وتوسيع اسواقه، وانتشاله من مشكلاته الاجتماعية التي تعصف به. واعادة صياغة عالم جديد بأسس وقوالب جديدة تختلف عن سابقاتها وتتسق مع كل ما هو عصري وحديث.

وان اصطلاح العولمة درج كالموضة على كل لسان، وهو لا يعدو في هدفه (أمركة العالم أجمع)، وفي مظاهر الحياة كافة: امركة العادات والتقاليد والقيم والاساليب والانماط والتربية والالبسة والمأكل والذوق العام. والمعروف أن تغيير القيم التي فطر عليها الإنسان هـو تهديد للعالم اجمع بأنهاره واكوانه ومناخه، فمنظومة القيم هي من تحافظ على منظومة الكـون وترممه بين الحين والآخر، فإذا ما حوربت وفرض عليها التغيير فإن ذلك سيعد بمثابة جريمة تقتل صاحبها قبل قتلها للآخرين. وخاصة القيم الاخلاقية والدينية التي اوصى الإسلام بضرورة التزامها لجميع ابناء الجنس البشري، وإن محاولات تأخير المسلمين، وطمس الهوية الإسلامية وتشويه صورته، ما هو الا خطوة أولى في طريق تأخير العالم بشتى اجناسه، من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

وفي ادبيات العلوم الاجتماعية برز مفهوم العولمة كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة. فهي مثال لعملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤثرات كمية وكيفية في مجالات متعددة من الحياة.

جاءت العولمة بالتغيير حاملة بين طياتها كل ما يجعل العالم ينهض من قواعده التي يتمسك بها ويتخلى عن مبادئه السائدة إلى مبادئ جديدة قادمة حددتها لهذا العالم. بهدف تغيير كل الخريطة العالمية قيمياً وتراثياً واقتصادياً وسياسياً ومعلوماتياً لصالحها.

فالعولمة ليست في حد ذاتها شكلاً طارئاً من اشكال التطور البشري وانما هي امتداد بالمعنى التاريخي والسياسي والمعرفي والاقتصادي لعملية التطور الرأسمالي التي لم تعرف التوقف عن الحركة والصراع والتوسع والنمو المتسارع والبطيء منذ مرحلتها الجينية الأولى في القرن الخامس عشر إلى مرحلة نشوئها في القرن الثامن عشر، ومن ثم تطورها إلى شكلها الامبريالي في نهاية القرن التاسع عشر[1].

1 المصدر نفسه، 101.

وبمقارنـة الوعي الزائف المتأني منها بوعي حقيقي متقد نجد أن هناك اغراضـاً ابعد واعمق من ذلك ، إذ انها تهدف إلى قولبة العالم بقالب نمطي موحد يدور في فلك صـانعها وواضـع اسسـها . وغرضـها ابتلاع ثروات واسـواق العـالم بالسـوق العالمية وشركاتهـا العملاقة ، ومحاولة توسـيع الهوة بين الفقراء والاغنياء بزيادة التفـاوت الطبقي وتفاوت الوعي والقدرة على الانتاج ، وجعل الشعوب الأخرى تابعة غير متسيدة ، وتتخبط في جميع تعاملاتها ، مع محاولة لإذابة كل ثقافات هذه المجتمعات بما تحمله من مضامين .

تحاول العولمة اذابة الوعي الإنسـاني المسـلم في محلول التخبط ، لتختلط عليه الامور في شتى المجالات ، فإذا ما حدث ذلك ارسلت العولمة ذبذباتها صوب مخ المسلم ووعيه ، ليبدو له التأخر تقدماً ، ويبدو له الجهل علماً ، وقس على ذلك ما تشاء .

فنجـد الثقافة معدومة إلى حد كبير في مجتمعاتنـا العربية ، فمثلاً نجدها معدومة حتى في ارقى طبقات المجتمع المتمثلة بالأسـاتذة الجامعيين الذين باتـوا لا يفرقون بين العلم والثقافة ، فهناك مَنْ في جعبته شهادات عليا وعلم كثير ، لكنه لا يجد سبيلاً إلى الثقافة ، أو أنه لم يطرق بابها يوماً ، وذلك أن مفاصل الوعي عنده غير سالكة .

ولعل من اخطر سـلبيات العولمة هو (عولمة الثقافة) ذلك لأنها تسـعى إلى خلط الثقافات وايجـاد واحلال مفاهيـم ثقافية جديدة محل الثقافة العربية والإسـلامية في المجالات كافة ، لطمس معالم الثقافة الإسلامية بمبادئها ومنتوجاتها وموادها الاعلامية التي تبثها ، والسعي إلى دفع المجتمعات لهجرها والتمسك بمبادئ واسس الثقافة العولمية الجديدة .

وان من اخطر تحديات العولمة في الثقافة العربية الإسـلامية الدين واللغة والوعي التاريخي بالأخريـن ، ويظهـر ذلك واضـحاً في الاعلام الغربي وتصـويره للعرب والمسـلمين ، فهي تدخل إلى دقائق الثقافة العربية مراهنة على وعي الفرد العربي المسـلم وقدرته على ترك مبادئه ومقومـات دينه وثقافته ، فتحاول أن تقطع الترابط بينه وبين تراثه واصـالته وتسـعى كذلك إلى تشـويه لغته برفده بلغة العولمة ، ولغة الحواسيب المفروضـة لاقتلاع اللغة العربية الإسلامية وتذويبها ، مع تحطيم ما يمكن أن يفعله تماسـك اللغة وبقاؤها في المجتمع العربي الإسلامي ، هـذا من جانـب ومن جانب آخر ، تحاول الثقافة العولمية تشـويه صـورة معتنقيها في ثورتهم الاعلاميـة واظهارهم على انهم التابع واللاجئ والمجرم والارهابي والمتسـول ، دون التطرق إلى ذكر الصـفات الحميدة التي عنده ، رغبة منها في تهميش الشخصـية الإسلامية والزج بها

في قيعان العزلة والانكسار.

وهكذا تجد الثقافة العربية الإسلامية نفسها امام ضرورة فهم محاولات العولمة تجاهها، ويجب عليها اعادة النظر في فحص قدراتها على ادراك مخاطرها بوعي ثاقب إن كانت تريد البقاء والامان من عولمة الانجراف والعبودية[1].

وقد راهنت العولمة بثقافتها على تخطي وعي كثير من هذه المجتمعات بوعيها المؤدلج والمغرض، وفعلاً وجدت افراداً غير ثابتي القيم والقواعد يعانون تدهوراً واضحاً في اسس وجذور وعيهم، فبات قاصر الوعي في المجتمع العربي الإسلامي ناقماً على قيمه واساليب تراثه ومبادئه، وتحيط به الشكوك حول دينه وارث ابائه واجداده ومتلهفاً إلى قيم ثقافة العولمة وقواعدها، محاولاً نزع كل شيء. واخراج ذاته من ثقافته واللحاق بركب ثقافة الغرب.

وهكذا فقد تعرض وعي المجتمعات العربية الإسلامية إلى تغييب واضح من قبل اساليب وثقافة العولمة والياتها، فقد ساعد في اعداد العدة لأطر العولمة الكثير من افراد هذه المجتمعات الذين لم يميزوا بين الوعي الصادق والوعي المضلل، بحيث وقفوا إلى جانبها واسهموا في الحط من اقدارهم واقدار ثقافتهم، بينما يفترض امتلاك الوعي الذي به يستطيعون تمييز ما هو ضار وما هو نافع، فلو امتلكت الشعوب العربية والإسلامية هذا الوعي العقلاني، لما استطاعت أن تجد العولمة موطئ قدم لها في أراضي هذه الشعوب، ولما استطاعت بعثرة قيم كثير من افرادها، ومن ثم زعزعة اركان ثقافة ودين لهما ثقل كبير في العالم[2].

وأخيراً نقول: أن حضور الوعي الجاد في الإنسان والمجتمعات هو ثراء ما بعده ثراء، فغياب الوعي بحضور المال هو فقر مدقع، وحال بالٍ لا ينفع، ويفتح الباب للغرباء لإدخال كل ما هو سيء وبلاء. ولماذا لا نتأخر ومثقفونا لا يجيدون التحدث والاملاء، وامة عندها العلا والقاع سواء. وأطفال مرضعهم السلاسل، وقماطهم القضبان فكيف لا تكون العبودية أُماً لهم. ومن لم تنبع حريته من داخله، فلن تفيده حريات العالم اجمع، ومن لم يصنع تقدمه بيده، صنعت له الاقدار ما يؤخره بعقله، ومَنْ اراد الرقي من دون وعي واتقان، ظل في القعر ملازماً بطون الحفر والوديان.

1 المصدر نفسه، ص ص 125-126.
2 المصدر نفسه، 132.

الفصل الرابع

أولاً: القضية الفلسطينية

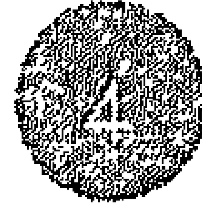
ثانياً: القضية الأريترية

ثالثاً: قضية الصومال

رابعاً: قضية كشمير

خامساً: البوسنة والهرسك

سادساً: الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي



الفصل الرابع

أولاً: القضية الفلسطينية

الموقع والأهمية

فلسطين احدى الاجزاء الرئيسة المكونة لبلاد الشام ويمكن تقسيمها جغرافياً إلى سبعة مناطق أساسية تضم:

1 – شريط الموانئ الساحلية: وأهمها عكا ويافا وعسقلان وغزة والتي لعبت دوراً مهماً في التجارة الدولية عبر العصور مع مصر وآسيا الصغرى وجزر بحر ايجة وغيرها من مناطق المتوسط.

2 – السهل الساحلي: وهو شريط خصب من الأراضي الموازية للبحر يتسع بعد ما يعرف برأس النافورة.

3 – سهل شفلح أو منطقة التلال المنخفضة ويشكلها الانحدار التدريجي لمنطقة الهضاب الفلسطينية.

4 – الهضاب الفلسطينية: وهي الامتداد الجنوبي المنخفض للبنان الشرقية وتتكون من أربعة أقسام: أ– الجليل في الشمال. ب– الهضاب المركزية (مرتفعات السامرة قديماً ومرتفعات نابلس حديثاً). ج– جبال القدس، وتنحدر الهضاب بشكل حاد نحو وادي الأردن. د–نجدة النقب وهي الامتداد الشمالي لصحراء سيناء.

5 – وادي الأردن: وهو غور عميق يمتد بين بحيرة طبرية والبحر الميت ثم يستمر بعد ذلك في وادي عربة.

6 – مرج ابن عامر: وهو سهل خصب واسع يمتد من الفتحة الجنوبية بين مرتفعات الجليل والهضاب المركزية.

7 – المرتفعات الواقعة إلى الغرب من وادي الاردن وجنوب جبل حوران وهضبة الجولان[1].

فلسطين بين الفتح الإسلامي والفتح العثماني

أرسل أمير المؤمنين وخليفة رسول الله أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– عمرو بن العاص –رضي الله عنه– على رأس جيش بلغ تسعة آلاف مقاتل وكان ضمن الجيش من أهل بدر من المهاجرين والانصار، وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– على رأس ألف مقاتل هزم بهم عشرة آلاف من الروم في أولى المعارك فغنم المسلمون الخيل وستمائة أسير[2].

وفي المعركة الثانية واجه المسلمون روبيس ومعه مائة ألف فارس، فواجه المسلمين لمنعهم من الوصول إلى القدس، وقتل من الروم عندها خمسة عشر ألف فارس وقتل من المسلمين مائة وثلاثون كان على رأسهم سعيد بن خالد –رضي الله عنه– وهو اخو عمرو بن العاص لأمه[3].

وبعد أن آلت القيادة لخالد بن الوليد –رضي الله عنه– سار إلى منطقة أجنادين الواقعة بين الرملة وبين جبرين فقد تجمع الروم هناك بمائة الف فارس تحت قيادة (ثيودريك) شقيق هرقل، أما المسلمون فقد بلغ عددهم ثلاثون ألفاً، فوقع الصدام يوم 28 جمادى الأولى سنة 13 هـ وظفر المسلمون بعدوهم بعد أن فقد الروم ثلاثين ألف قتيل، وكان الخليفة أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– في ايامه الأخيرة عندما بلغه نصر المسلمين في اجنادين[4].

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– هزم المسلمون بقيادة عمرو بن العاص الروم في فلسطين سنة 15 هـ ويطلق عليها المؤرخ أبو الخيل معركة أجنادين الثانية

1 فراس السواح، تاريخ اورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط3، دار علاء الدين للنشر، (دمشق، 2003)، ص ص 21–22.

2 أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، فتوح الشام، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2005)، ص ص 16–18.

3 المصدر نفسه، ص20.

4 محمد بن إبراهيم بن صالح أبا الخيل، تاريخ الخلفاء الراشدين، ط1، دار الهدي النبوي ودار الفضيلة، (المنصورة، الرياض، 2009)، ص ص 88–91.

وفي تلك الأثناء تقدمت جيوش المسلمين القادمة من شمال الشام بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح –رضي الله عنه– وحاصر بهم بيت المقدس داعياً أهلها إلى الإسلام أو الصلح، ولما رأى اهلها ذلك فاتحوه بالصلح عن أن يكون من يصالحهم هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وأن يكتب لهم الأمان فقبل أبو عبيدة –رضي الله عنه– ذلك وكتب به إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–[1] وسار اليهم بعد أن استشار كبار الصحابة رضوان الله عليهم» واستخلف على المدينة سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– ووصل القدس في شهر رجب من سنة 16 هـ وافتتحها صلحاً وكتب لأهلها كتاب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، أنكم امنون على دمائكم وأموالكم، وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب، إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً»[2].

وقد بقيت القدس منذ ذلك التاريخ تحت حكم المسلمين طوال عهد الدولة الأموية (41–132ه)، وما أن بدأ الضعف يدب في أوصال الأمة الإسلامية أواخر العهد العباسي (132–656هـ) وكثر الصراع والتنافس على الزعامة وتوقفت الحملات الجهادية حتى بدأت دول أوروبا تستغل الفرصة في محاولة للقضاء على الأمة الإسلامية فيما عرف تاريخياً بالحملات الصليبية التي ابتدأت سنة (1095) واستمرت حتى (1291)، وكانت هذه الحملات قادمة من إيطاليا والنمسا وألمانيا وإنجلترا وفرنسا وغيرها، واستطاعت أن تحتل العديد من مدن بلاد الشام وأهمها القدس لأهميتها السياسية والدينية عند النصارى، وقد تصدى للدفاع عن بلاد المسلمين خلال تلك المدة عدد من القادة المسلمين أمثال: عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي الذي استطاع تحرير بيت المقدس من المحتلين في معركة حطين سنة 1187 ومن الجدير بالذكر أن صلاح الدين الايوبي تعامل بالعدل بعد الانتصار على الصليبيين ولم يحدث بهم مذبحة كما تفعل الدول الغربية «المتقدمة» اليوم[3].

فلسطين في العهد العثماني

دخلت فلسطين تحت الإدارة العثمانية عقب وصول العثمانيين الأراضي المصرية وإخضاع المماليك لحكمهم سنة 1516 وبقيت تدار كإحدى الولايات العثمانية وما إن دبّ الضعف

1 المصدر نفسه، ص 179–180.
2 أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي البغدادي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2002)، ص101.
3 محمد مورو، الحرب الصليبية من البابا اربان إلى البابا بوش، ط1، مكتبة جزيرة الورد، (القاهرة، 2005)، ص 124.

في الدولـة العثمانيـة حتى بدأت مرحلة جديدة مـن بروز الكيانات المحلية فعلى سـبيل المثال سيطرت أسر قره عثمان اوغلو وشابان اوغلو في غرب ووسط الاناضول وفي المشرق العربي حكم المماليك بغداد والجليليون الموصـل[1] وآل العظم في سوريا أما فلسطين فقد حكمت من قبل أسرة آل ظاهر العمر 1743 والذي اسـتطاع أن يمد حكمه إلى مناطق صـيدا ويافا والرملة ونابلس وصـفد، وبدأ بإقامة علاقات تجارية وودية مع التجار الفرنسـيين ومنذ سـنة 1746 أخذ ظاهر العمر التزام عكا وبدأ في تحصـينها وجعلها مقرّاً له، كما تدعم مركزه في الجليل والاقاليم السـاحلية ووافقت الدولة العثمانية على كل ما حصـل عليـه، وعندما طلب والي الشـام عثمان باشـا الصادق القيام بحملة لإخضـاع ظاهر العمر رفضت الدولة العثمانية ذلك لانشـغالها بحربها مع روسيا سنة 1768، فضـلاً عن ما كان يحظى به ظاهر العمر من تأييد لدى بعض كبار موظفي بلاط السلطان[2].

وقد اسـتغل ظاهر العمر الحرب واعلن انفصـاله عن الدولة العثمانية واشـترك مع قوات علي بك الكبير في دخول دمشـق سـنة (1771) وحاصر بيروت وقدم له الأسـطول الروسي المساعدات حينها، وبعد انتهاء الحرب قررت الدولة العثمانية دعم محمد أبو الذهب للإطاحة بظاهـر العمر وفي آذار 1775 تقدم أبو الذهـب من مصر إلى فلسـطين لكن الأخير مات أثناء الحملـة، كمـا قتل ظاهر العمر غدراً على يد بعض جنوده المغاربة وبدعم من أحمد الدنكزلي وعادت السلطة في مناطق فلسطين تابعة للدولة العثمانية[3].

السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين

بدأت فكرة تكوين كيان سياسي لليهود على يد صحفي وكاتب مسرحي نمساوي يدعى (ثيدور هرتزل "Thidor Hartezi") نصـب نفسـه ناطقاً باسم (الأقلية اليهودية) ونشر كتاباً بعنوان "دولة اليهود" حاول خلاله أن يبرهن أن اليهود ليسـوا طائفة دينية بقدر ما هم شـعب مشـتت في العالم، وقال: "إن اليهود يسـتحقون وطناً يؤسسـون لهم فيه دولة يعيشون فيها احراراً محترمين"[4].

1 دونالـد كواتـرت، الدولة العثمانية 1700–1922، ترجمـة: ايمن ارمنازي، ط1، مكتبة العبيـكان، (الرياض، 2004)، ص102.

2 عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516–1922، دار النهضة العربية، (بيروت، د.ت)، ص ص 176–177.

3 محمـد العريس، موسـوعة التاريخ الإسـلامي (العصر العثماني)، ط1، دار اليوسـف للطباعة والنشـر والتوزيع، (بيروت، 2005)، ص ص 137–138.

4 دزموند سـيتورت، تاريخ الشرق الأوسـط الحديث معبد جانوسـ، ترجمة: زهدي جار اللـه، دار النهار للنشر، (بيروت،

لذلك بدأ يخطط لتأسيس الدولة والحصول على اعتراف ودعم الدول الكبرى قبل البحث عن الأرض واختيار فلسطين، فقد كتب يوم 6 حزيران 1895 ما نصه: "سأتفاوض أولاً مع القيصر (الروسي)، الذي سيقدمني إليه نصيرنا أمير ويلز، بخصوص السماح لليهود الروس بترك البلاد. ثم اتفاوض مع قيصر المانيا ثم مع النمسا ثم مع فرنسا بخصوص يهود الجزائر حسب ما يقتضي الحال". وكتب في اليوم التالي: "حالما يتم الاتفاق على الأرض وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع الدول الكبرى"[1].

بعد ذلك ظهرت الإشارات حول رغبته في الاستيطان في فلسطين التي كانت حينها خاضعة للسلطة العثمانية ويأتي تفضيل فلسطين على غيرها من البقاع بحسب رأيه لأنها "هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى"[2] واعتمد هرتزل عدة وسائل للضغط على السلطان عبد الحميد وكان المال على رأسها وقد قدمها للدولة العثمانية زاعماً أنها تقدم بهدف إنساني لإنقاذ الدولة من ديونها، وفي اللقاء الذي جمع هرتزل بالسلطان عبد الحميد قال له: "إن نحن حصلنا على فلسطين، سندفع لتركيا كثيراً، وسنقدم عطايا كثيرة لمن يتوسط لنا، مقابل هذا نحن مستعدون أن نسوي أوضاع تركيا المالية"[3].

وجاء الأسلوب الثاني كعرض على السلطان عبد الحميد أن يتدخل هرتزل واليهود لحل القضية الأرمنية وإيقاف العمليات التي يقوم بها الأرمن ضد الدولة العثمانية شريطة أن يسبق ذلك الموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين لكن السلطان العثماني رفض هذا المقترح[4].

واستمر هرتزل ينشط على الصعيدين العثماني والأوروبي لتحقيق التطلعات الصهيونية، وفي 12 كانون الثاني 1903 التقى باللورد روتشيلد (Rotsheld) في لندن بهدف تأمين الأموال لعملية الاستعمار الصهيوني. وفي 23 نيسان 1903 قابل هرتزل تشمبرلن (Chamberlin) وزير المستعمرات البريطاني طالباً مساعدته، غير أن الأخير بادره بالقول إن بريطانيا تفكر في إسكان اليهود بأوغندة، غير أن هرتزل رفض هذا الاقتراح[5].

1974)، ص142.

1 ثيودور هرتزل، يوميات هرتزل، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1973)، ص ص 19-20.

2 هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية، ج1، ط1، دار القلم، (دمشق، 2002)، ص310.

3 أحمد نوري النعيمي، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد، 1982)، ص ص83-84.

4 درويش، المصدر السابق، ص317.

5 حسان حلاق، دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد عن العرش 1908-1909، ط2، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، (بيروت، 1993)، ص31.

وأخيراً جاء رد السلطان النهائي على جميع المقترحات بالتالي: "إن كان هرتزل صديقك (مخاطباً نيولنسكي) كصداقتك لي، فقل له ألا يخطو خطوة أخرى في هذه القضية. فإنني لن أبيع شيئاً من التراب ولو كان شبراً، لأن هذا الوطن ليس ملكاً لي، بل هو أمانة لأمتي نالته بالدماء، وسوف نرويها بدمائنا قبل أن تنفصل وتبتعد عنا، لن يتمكن أحد من اقتطاع مثل هذه الأرض قبل أن نرويها بدمائنا وتبقى لنا، إن جنود الويتي في سوريا وفلسطين سقطوا شهداء، وثبت الجميع هناك في الميدان بلا عودة . . . لن أتنازل عن أي قطعة منها فلندع اليهود وليحتفظوا بملايينهم . . . "[1].

فلسطين بين الحربين العالميتين

دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب المانيا والنمسا والمجر ضد كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا لكن الأخيرة انسحبت من الحرب بعد قيام الثورة البلشفية سنة 1917 كما سيأتي لاحقاً، وفي 4 آذار 1916 عقدت بريطانيا وروسيا وفرنسا اتفاقية (بطرسبورغ)، والتي أصبحت المنطقة العربية بموجبها من حصة بريطانيا وفرنسا بعد أن كانت تابعة للدولة العثمانية، ثم عقدت بريطانيا اتفاقاً آخر مع فرنسا (اتفاقية سايكس –بيكو) في 16 آيار 1916 تم بموجبها توزيع مناطق النفوذ بين الدولتين واصبحت فلسطين بموجبها تحت إدارة دولية، وقد وجدت الحركة الصهيونية في هذا فرصتها، وبدأت المفاوضات البريطانية الصهيونية في شباط 1917 وقد لخصت الحركة الصهيونية مطالبها بما يأتي:

1 – الحصول على اعتراف دولي بحق اليهود في فلسطين.

2 – خلق جنسية قانونية للجالية اليهودية في فلسطين.

3 – انشاء شركة يهودية مسجلة في فلسطين تخول حق امتلاك الأراضي.

4 – وضع فلسطين تحت إدارة واحدة.

5 – إعلان الأماكن المقدسة في فلسطين مناطق حرة.

وكانت السياسية الصهيونية أثناء الحرب ترمي إلى تأمين انتصار الحلفاء، وضمان قيام انتداب بريطاني في فلسطين يسهل وصول نحو مليون يهودي إلى فلسطين في غضون عشرين

1 مصطفى أرمغان، السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب، ترجمة: مصطفى حمزة، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، 2012)، ص153.

إلى ثلاثين عام[1].

وقد اثمرت الضغوط الصهيونية على بريطانيا بإصدار الأخيرة سنة 1917 ما عرف بوعد بلفور وجاء فيه: "إن الحكومة البريطانية تنظر بعين الرضا إلى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين شريطة ألا ينال ذلك من الحقوق المدنية والدينية للسكان الآخرين في ذلك البلد" وما إن انتهت الحرب حتى نصت معاهدة فرساي 1919 على أن البلدان التي كانت خاضعة للحكم العثماني تعد مستقلة على أن تتلقى المساعدة والنصح من دولة تسند إليها مسؤولية (الانتداب) على هذه البلدان واقر ذلك قرار عصبة الأمم سنة 1922 والذي منح بريطانيا مسؤولية الانتداب على العراق وفلسطين، وفرنسا على سوريا ولبنان[2].

واستطاع الصهاينة إدخال مقررات وعد بلفور في نص صك الانتداب فنصت المادة الثانية منه على مسؤولية بريطانيا في تأسيس وطن قومي لليهود، أما المادة الرابعة فأوردت إعترافاً بريطانيا بالوكالة اليهودية كهيئة رسمية تمثل اليهود وتسهم في إدارة شؤون البلاد، وتعهدت بريطانيا في المادة السادسة بتسهيل الهجرة اليهودية، في حين كفلت المادة السابعة حصول اليهود على الجنسية الفلسطينية، ونصت المادة الثانية والعشرون على اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية في فلسطين إلى جانب العربية والإنكليزية[3].

بعد ذلك زاد عدد المهاجرين إلى فلسطين من اليهود بدعم من بريطانيا ومندوبها السامي (هربرت صموئيل) (Herbert Samuel) والذي قال حاييم ووايزمان (Haeem wisman) الصهيوني عنه: "وضعناه نحن في ذلك المركز فهو صموئيلنا"، وخلال الفترة 1918-1935 دخل فلسطين (300,000) صهيوني[4].

وكان لإعلان الانتداب والهجرة الصهيونية رد فعل فلسطيني ترجم على شكل صدامات بين العرب والصهاينة في نيسان 1920 وآيار 1921 مما حدى بالسلطات البريطانية إلى إصدار ما يعرف بالكتاب الأبيض لسنة 1922 والذي أُشير فيه إلى أن وعد بلفور غير قابل للتبديل أو التغيير كما أكد خلاله على أن وجود اليهود في فلسطين "حق وليس منّة"[5].

1 طاهر خلف البكاء، فلسطين من التقسيم إلى أوسلو 1937-1995، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2001)، ص ص 17-19.

2 البرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: أسعد صقر، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق، 1997)، ص 387.

3 البكاء، المصدر السابق، ص ص 21-22.

4 المصدر نفسه، ص ص 23-25.

5 المصدر نفسه، ص30.

أما الصهاينة فقد دأبوا منذ بداية الهجرة على تأسيس منظمات صهيونية سرية إرهابية كانت اولها منظمة الدفاع والعمل "الهاغاناه" سنة 1920، وقد لعبت الأخيرة دوراً عندما انطلقت ثورة البراق في آب 1929 كرد فعل على الاستفزازات الصهيونية عند زيارتهم لما يطلقون عليه (حائط المبكى)، وقد فشلت السلطات البريطانية في السيطرة على الوضع والذي انتهى بمقتل (133) يهودي وجرح (339) آخرين، في حين استشهد (116) فلسطينياً وجرح (232) آخرون[1].

لذلك اصدرت بريطانيا ما عرف بالكتاب الابيض لسنة (1930)، والذي انذرت من خلاله بالعقوبة الشديدة كل من يحرض على الإضطرابات، مؤكدة على أن بريطانيا ستحتفظ بفرقتين عسكريتين في فلسطين وشرق الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية) فيما بعد مع سربين من الطائرات وأربع فرق من السيارات المسلحة، كما أشار الكتاب الأبيض إلى أن الشكل الدستوري الذي يطلبه العرب يتنافى مع التزامات حكومة الانتداب، لكن الوقت حان لمنح فلسطين درجة من الحكم الذاتي على أن يلائم ذلك صك الانتداب وأحكامه، وهذا ما حدا بالصهاينة إلى القيام بحملة معارضة للكتاب الابيض زاعمين انه مخالف لصك الانتداب، وقد أشترك في الحملة الصهاينة في كل من فلسطين وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية واستقالت بعض الشخصيات الصهيونية من عضوية الوكالة اليهودية، وهذا ما دفع بريطانيا إلى التراجع عن كتابها الأبيض وإصدار تفسير له عام (1931) كان بمثابة الغاء لما جاء فيه، وأطلق العرب على هذا التفسير اسم "الكتاب الأسود" لعام 1931 [2].

وبسبب السياسة البريطانية وازدياد الهجرة الصهيونية والمساندة الغربية للعصابات الإرهابية واعتماد العنف مع المتظاهرين، فقد سقط في يافا وحدها عام 1933 ثلاثون شهيداً وعدداً كبيراً من الجرحى[3]، وفي تشرين الثاني من العام نفسه قاد الشيخ عز الدين القسام في ثورة ضد السلطات البريطانية، اعتمد خلالها حرب العصابات التي شكلت تهديد للقوات البريطانية مع خوف الأخيرة من اتساع رقعتها وزخمها، وهذا ما حدى بها إلى حشد عدد كبير من قواتها بعد أن ضمت إليهم قوات الشرطة المحلية، وفي 20 تشرين الثاني 1934 جرت معركة بين قوات الثورة والسلطات البريطانية استشهد خلالها الشيخ عز الدين القسام

1 عيسى فاضل نزال عيفان الشمري، منظمة (كاخ) 1968– 2001 دراسة في الارهاب الصهيوني، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الموصل، 2006، ص12.
2 البكاء، المصدر السابق، ص ص 34–35.
3 المصدر نفسه، ص ص 36–37.

مع أربعة من القيادات[1].

وتداركاً لتفاقم الأمور اقترح المندوب السامي تشكيل مجلس تشريعي في فلسطين مكون من 28 عضـواً (أحد عشر من المسـلمين وثلاثة من النصارى وسبعة من اليهود وسبعة يعينهم المندوب السامي)، وقد عارض الصهاينة المشروع وأيده ممثلو الأحزاب الفلسطينية فقد عدوه خطوة نحو الحكم الذاتي، وقد لعب الصـهاينة دوراً فاعلاً اثناء مناقشـة المشروع في مجلسي العموم واللوردات البريطانيين اللذين أكدا على إهمال المشروع[2].

لكن الأمر كان ينذر بما هو أكبر ففي نيسان 1936 أطلق بعض الشباب النار على صهيونيين فقتلا، تعالت الأصوات الصهيونية مطالبةً بالانتقام وأغلقت المحال التجارية "اليهودية" وفي 16 نيسـان قتل الصـهاينة اثنين من الفلسطينيين وفي 19 نيسـان حدثت اشتباكات نتج عنها مقتل 7 صـهاينة وجرح 39 ومقتل فلسطينيين وتزايدت الاصطدامات وأعلنت يافا الاضراب العام وأغلقت محالها وشـكلت لجاناً لتنظيم الأحـزاب وعقدت مؤتمراً في القدس يوم 7 ايار 1936 أعلنت خلاله الامتناع عن أداء الضرائب للحكومة ابتداء من 15 آيار ما لم تغيّر الحكومة البريطانية سياسـتها في فلسـطين على أن تبدأ بوقف الهجرة الصهيونية. وقد ردت السلطات البريطانية على ذلك بالاعتقال والنفي لكل من يؤيد الحركة وإقامة معتقل في (صـفير العوجا) فكانت الثورة الطريق الوحيد لإنقاذ الفلسـطينيين وإيصـال صوتهم وانطلقت صبيحة يوم 23 آيار 1936 في قضاء طولكرم ومنه انتشرت إلى نابلس وغيرها[3].

وقـد جرت عدة محـاولات لإيقاف الثورة ابتدأت من التهديد حتى الوسـاطة، وكان للحكام العرب الدور الأساس في الوساطة حيث أجروا محادثات مع الجانب البريطاني لإقرار تسـوية تلبي مطالب الفلسـطينيين لكنها لم تحض بقبول بريطاني، ثم جاءت الوسـاطة الثانية والتي جرت مباحثاتها مع الجانب الفلسطيني هذه المرة لكن لجنة الثورة قالت بأنها لا تستطيع إيقاف الثورة ما لم تتوقف الهجرة الصـهيونية، جاءت بعدها وسـاطة رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد لكنها رفضت من الجانب البريطاني، واستمر الأمر على هذا الحال حتى نجحت الوسـاطة التـي قادها الملك عبد العزيز ال سـعود والملك غـازي (1933–1939)، والامام يحيى حميد الدين (1918–1948). وقد أدى نقص الامدادات والارهاب الصهيوني دوراً

1 أمين سعيد، ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، (د.م، د.ت)، ص 117.
2 البكاء، المصدر السابق، ص ص 38–39.
3 سعيد، المصدر السابق، ص ص 118–119.

في قبول لجنة الثورة لإيقاف عملياتها العسكرية وإنهاء الاضراب[1].

وفي 17 آب 1936 شكلت الحكومة البريطانية لجنة الملكية لدراسة تطورات الوضع ومواجهة الانتفاضات والثورات التي عمت فلسطين برئاسة الأمير بيل وقد قاطعت اللجنة العربية اعمال اللجنة الملكية ما أفسح المجال لليهود للاتصال بها وشرح وجهة نظرهم لكن اللجنة العربية انهت مقاطعتها والتقت اللجنة بأربعة عشر شخصية عربية فقط في حين التقت بأربعين شخصية من الصهاينة وكان السبب في ذلك هو مقاطعة اللجنة العربية العليا لأعمال اللجنة المليكة بادئ الأمر[2].

وقدمت اللجنة إلى البرلمان البريطاني في 7 تموز 1937 تقريرها في 23 فصلاً، ومما جاء فيه: "إن أسباب هذه الاضطرابات والثورات انتشار روح القومية عند العرب وسعيهم للاستقلال القومي وازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وخوف العرب على مستقبلهم وبلادهم من فكرة انشاء الوطن القومي اليهودي"، وأكدت اللجنة عدم امكانية الاندماج بين الثقافتين (العربية واليهودية) كما أشارت إلى دور الوكالة الصهيونية والمتمثل في التدخل في كل مفاصل الدولة وأصبحت تشكل حكومة موازية لحكومة الانتداب، وقدمت اللجنة مقترحاً باعتماد نظام المقاطعات حلاً أقل حدةً من التقسيم تكون فلسطينْ بموجبه عبارة عن ولايات أو مقاطعات تتمتع بالحكم الذاتي، أما الطريقة الامثل من وجهة نظرها لاستئصال المشكلة من جذورها فهو إنشاء دولتين مستقلتين واحدة عربية والأخرى صهيونية (يهودية) مع إبقاء القدس والناصرة وبيت لحم وحوض بحيرة طبرية تحت الانتداب البريطاني[3].

لاقى المشروع تأييد الصهاينة بادئ الأمر إلا أنهم عادوا وأعلنوا رفضهم له لمخالفته تصريح بلفور، أما الفلسطينيون فأعلنوا رفضهم له منذ البداية وتمسكوا بحقهم في الإستقلال وبوقف الهجرة ومنع تسرب الأراضي إلى الصهاينة[4].

أما الحكومات العربية فأعلنت من جانبها رفضها لمشروع التقسيم وعزمها على تأييد عرب فلسطين لذلك عقد في بلودان مؤتمر من 8-10 أيلول 1937 حضره خمسمائة عضو من الأقطار العربية اتخذت فيه عدة قرارات أكدت خلالها على عروبة فلسطين ورفضها للتقسيم

1 البكاء، المصدر السابق، ص ص 44-45.
2 المصدر نفسه، ص 53.
3 المصدر نفسه، ص ص 55-59.
4 ابراهيم خليل أحمد وآ-رون، قضايا عربية معاصرة دراسة تاريخية، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1988)، ص 70.

وكذلـك لإقامة دولة "يهودية" والإصرار على إلغاء الانتداب ووعد بلفور، ووقف الهجرة وتشريع ما يمنع انتقال الأراضي من العرب للصهاينة[1].

وبسبب فشل اللجنة وعودة الثوار إلى العمل المسلح قررت بريطانيا عقد مؤتمر في لندن، لذلـك اجتمعـت في القاهرة وفـود كل من العراق والسـعودية ومصر واليمـن والأردن في 2 كانون الثاني (1939) وقرر المجتمعون ضرورة إرسال وفد رسمي للاجتماع مع المسؤولين البريطانيين وحضور المؤتمر (المائدة المستديرة) في شباط (1939) [2]. والذي نتج عنه إصدار الكتاب الأبيض لعام (1939) وجاء فيه إلغاء فكرة التقسـيم وقيام حكومة فلسـطينية يشترك فيهـا العرب و"اليهود" وتراعى فيها مصـلحة الطرفين مع تحديد الهجرة الصـهيونية بدخول 75 ألف مهاجر خلال خمس سـنوات على أن لا يسـمح بعدها بدخول المهاجرين إلا بموافقة العرب مع فرض نوع من القيود على شراء الصهاينة للأراضي العربية[3].

وقد رفض الصـهاينة الكتاب الأبيض بعد يوم واحد من صـدوره معارضين فكرة إغلاق باب الهجرة متهمين بريطانيا بالخضوع (للإرهاب العربي)[4].

فلسطين بين الحرب العالمية الثانية وقرار التقسيم

ما إن اندلعت الحرب العالمية الثانية حتى أعلنت بريطانيا تمسكها بتنفيذ الكتاب الأبيض لعام (1939) لكنها سرعان ما عادت وتصـدت لكل مقاومة لسياستها، أما الصهاينة فقد رفضوا الكتاب علانية وانتهزوا الحرب للضـغط على بريطانيا وكسـب ود الحلفاء وبدأت المنظمات الصهيونية الإرهابية (كالهاغانا واتسيل وليهي) تصعد من عمليات تخزين الأسلحة والتدريب وقـد صرح بن غوريون (Ben Gurion) قائلاً: "لقد عادت علينا الحرب العالمية الأولى بوعد بلفـور، ويجب أن تعود علينا الثانية بدولة يهوديـة"، وأعلنت الوكالة اليهودية الوقوف إلى جانب بريطانيا ضـد ألمانيا، كما أسـس (المجلس القومي الصـهيوني) في فلسطين ما يعرف (بالجيش الوطني) ضـم أكثر من (143) ألف صـهيوني، وبعد دخول الولايات المتحدة في الحرب برز التقارب الأمريكي – الصـهيوني والذي نتج عنه عقد مؤتمر بالتيمور في 12 آذار

1 المصدر نفسه، ص 70.
2 عمر مهدي خليل الحيالي، اليمن الشمالي 1948–1962 دراسة في العلاقات الخارجية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، 2006، ص18.
3 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص ص 73–76.
4 البكاء، المصدر السابق، ص110.

1942 وأقر شـجب الكتاب الأبيض لعام (1939) وإطلاق العنان للهجرة الصهيونية بإشراف الوكالة اليهودية ثم تحويل فلسطين بعد الحرب إلى (دولة يهودية) [1].

أدت الحرب العالمية الثانية وازدياد الهجرة إلى فلسـطين واكتساب الصهاينة حليفاً جديداً هو الولايات المتحدة مع فرض بريطانيا لقيود على تلك الهجرة إلى قيام المنظمات الصـهيونية بشـن عمليات ضـد القوات البريطانية بدأت مع بداية الحرب واستمرت حتى عام 1948 ففي آب 1939 قامت منظمة الإرغون الإرهابية بقتل ضـابطين بريطانيين بلغم ارضـي اسـتهدف الضـباط المسؤولين في اجهزة الأمن التابعة لسـلطة الانتداب ، وزادت ضراوة العمليات مع انتهاء الحرب العالمية ، فشـهد عام (1946) نسـف فندق الملك داوود وراح ضـحية الحادث عـدد كبـير من الجنود البريطانيـين ، وفي اذار 1948 قـام أفراد من منظمـة الأرغون بعملية نسـف نادي الضـباط البريطانيين وسـقط جراء ذلك اثنا عشر ضـابطاً بريطانياً . كما قامت بعمليات استهدفت البنية التحتية مثل سكك الحديد والمطارات والجسور وخط نفط الموصل–حيفا وكان الهدف من ذلك كله إظهار عجز السـلطات البريطانية عن ادارة فلسطين وحفظ أمنها[2] .

أما بالنسـبة للموقف الفلسـطيني فكان على العكس تماماً في فترة الحرب فكان أقرب إلى المهادنة منه إلى الثورة لا سيما بعد مغادرة قيادات الثورة إلى خارج فلسطين في سوريا والعراق ولبنان ومحاولة إجراء اتصال بدول المحور والحصول على اعترافها باستقلال الدول العربية في حال انتصار ألمانيا ورفاقها في الحرب[3] .

وما أن انتهت الحرب العالمية بانتصـار الحلفاء حتى شـكلت بريطانيـا والولايات المتحدة الأمريكية لجنة من اثني عشر عضـواً نصـفهم بريطانيون والنصـف الآخر من أمريكا والتقت في فلسـطين بالعرب والصـهاينة وغادرت بعدها إلى القاهرة والتقت بالمسـؤولين العرب من كافـة الـدول العربية ، وفي مؤتمر عقد في لوزان بسـويسرا قدمت اللجنـة تقريرها وجاء فيه "السـماح بدخول اليهود ضـحايا النازية وتعسّف الفاشية إلى فلسـطين" والسماح لمائة الف صهيوني بالهجرة إلى فلسطين عام (1946) ، على أن لا تكون فلسطين ملكاً لأي شعب على انفراد لأنها مقدسة لدى الديانات الثلاث ، وأوصت الدولة المنتدبة بالالتزام بتقدم العرب في

1 أحمد وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص 75–76 .
2 الشمري ، المصدر السابق ، ص17 .
3 أحمد وآخرون ، المصدر السابق ، ص76 .

فلسطين علمياً وسياسياً بشكل مساوٍ للصهاينة، مع التوصية باستمرار شكل الحكم الحالي على أن يتم الاتفاق بين العرب والصهاينة[1].

في الوقت نفسه أصدرت جامعة الدول العربية والتي تأسست في 22 آذار 1945 عدداً من القرارات فيما يخص القضية الفلسطينية كان من أهمها ما أصدرته في حزيران 1946 عن تشكيل (الهيئة العربية العليا) كمؤسسة قيادية للشعب الفلسطيني بزعامة الحاج امين الحسيني[2].

وبعد تأكد الدول العربية من نوايا الدول الكبرى ورغبتها في تقسيم فلسطين دعت اللجنة السياسية للجامعة العربية لعقد جلسة استثنائية بمصيف عالية بلبنان لدراسة القضية الفلسطينية من الناحية العسكرية، وفي تشرين الأول 1947 قدمت اللجنة المشكلة لهذا الغرض تقريرها والذي أشارت فيه إلى تشكيلات الصهاينة العسكرية والتي تضم ما بين 65–75 ألف مقاتل من عصابات (الهاغانا والإرغون وشيترون) مع إمكانية تجنيد قوة احتياطية في حالة اعلان النفير العام، وفي اليوم ذاته الذي قدم فيه التقرير أبرق الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر إلى مجلس الجامعة يعلن عن استعداده لإرسال عشرة آلاف مقاتل من الإخوان المسلمين كدفعة أولى إلى فلسطين[3].

وفي 29 تشرين الثاني 1947 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها ذي الرقم (181) والقاضي بتقسيم فلسطين[4] إلى ثلاث مناطق تشمل دولة عربية ودولة "يهودية" وجزءاً ثالثاً يضم الأماكن المقدسة التي ستبقى تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. وسرعان ما بدأت القضية تدخل طوراً جديداً فانهالت على الصهاينة التبرعات والإعانات وأُنشئت في أوروبا الغربية العديد من المراكز لتدريب الشباب الصهيوني للهجرة إلى فلسطين[5].

---

1 البكاء، المصدر السابق، ص ص 151–153.

2 أحمد الخلايلة وآخرون، جامعة الدول العربية في عصر التكتلات الإقليمية، ط1، بيت الحكمة، (بغداد، 2002)، ص143.

3 عمر مهدي خليل الحيالي، الإخوان المسلمون في مصر 1949–1966 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010، ص37.

4 قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين 1947 –1972، جمع وتصنيف: سامي مسلم، ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الوثائق والدراسات، (أبو ظبي، 1973)، ص4.

5 أحمد صالح عبوش، موقف فرنسا من الصراع العربي– الإسرائيلي 1948-1973، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2006، ص 23-24.

القضية الفلسطينية في إطار الصراع العربي – الصهيوني (1948-1973)

رفضت الحكومات العربية بادئ الأمر القيام بأية عمليات عسكرية –باستثناء مصر– حتى آيار 1948 عندما اعلنت (إسرائيل) قيام الدولة متعذرة بأن أي حرب قبل ذلك التاريخ تعني حرباً على الدولة المنتدبة (بريطانيا)، ناهيك عن عدم تقدير القوة الحقيقية للكيان الصهيوني أو أنها لم تكن جادة في مواجهة هذا الحدث الخطير فكانت القوات النظامية التي أرسلت من العراق ومصر والأردن ولبنان وسوريا قرابة الثلاثين ألف مقاتل تحت قيادات متعددة، أما الكيان الصهيوني فقوته تشمل ستين ألف مقاتل نظامي يدعمهم أكثر من مائتي الف مقاتل ينتمون إلى العصابات الإرهابية[1].

أما الدول الكبرى فقد اختلف موقفها بعد إعلان الدولة ففي الوقت الذي سارع فيه الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة فيه إلى الاعتراف بالدولة الجديدة، اجلت فرنسا قضية الاعتراف بالكيان الصهيوني لعدة اشهر أسوة ببعض الدول الأوروبية أولاً وبسبب الخوف على نفوذها في دول المغرب العربي ثانياً[2].

وقد بدأت أولى المعارك مع الجانب الصهيوني على يد الإخوان المسلمين القادمين من مصر قبل اشتراك القوات العربية النظامية، ففي 14 نيسان 1948 وقعت معركة كفارد يروم والتي استشهد فيها ما يربو على العشرين من متطوعي الإخوان بعد أن حوصرت قواتهم من قبل قوات الجيش الصهيوني وهذا ما حدى بهم في الفترة التالية إلى اعتماد حرب العصابات بديلاً عن الهجوم المباشر على المستعمرات والمراكز الصهيونية المحصنة، ومنذ 25 نيسان 1948 بدأت قوات المتطوعين بالعمل تحت قيادة ضباط من الجيش المصري[3].

وفي 15 أيار دخلت الجيوش العربية فلسطين بقوات مشتركة من سوريا والعراق والاردن فضلا عن القوات المصرية وتولى القيادة العامة الملك عبد الله بن الحسين (1921 – 1951) ملك الأردن، وقد أحرزت القوات العربية بعض الانتصارات على القوات الصهيونية والتي كانت تحظى بتأييد بريطاني– أمريكي، وعندما وصلت الجيوش العربية إلى مشارف تل ابيب لجأت القيادة الصهيونية إلى الأمم المتحدة التي اصدرت بدورها قراراً

1 مجيد العلوي، التاريخ العسكري للشرق الأوسط 1940–2000، ط1، دار ابن رشد للبحوث، (لندن، 2003)، ص57.
2 عبوش، المصدر السابق، ص26.
3 الخيالي، الإخوان المسلمون، ص39.

بوقف اطلاق النار، رفضته القيادة العربية لكنها سرعان ما عادت والتزمت به، وعقدت الهدنة الأولى في 11 حزيران 1948 [1] على أن تستمر لمدة أربعة اسابيع وقد رفضت قيادة الإخوان المسلمين قبول الهدنة لان القوات العربية كانت تحرز تقدماً[2] وقد استغل الصهاينة اعلان الهدنة فاحتلوا بلدة العسلوج في اليوم ذاته وحصنوا مواقعهم وأدخلوا الأسلحة التي وصلتهم من أوروبا كالدبابات والطائرات وآلاف المتطوعين. وما أن استؤنف القتال حتى بدا واضحاً مدى المساعدات والامدادات التي تلقتها القوات الصهيونية من أوروبا وبدأت الجبهة الأردنية بالتراجع وحصل العدو على اهم مطار فلسطيني وهو مطار اللد، واستخدم الصهاينة الطائرات التي استقدموها من أوروبا وبدأت الجبهة العربية بالتراجع وظهرت رغبة الأردن بالانسحاب وصدرت الأوامر للجيش الأردني بعدم الهجوم والاقتصار على الدفاع في جميع المواقع[3].

وجاءت الهدنة الثانية في 19 تموز 1948 لتعطي فرصةً جديدة للصهاينة لتثبيت مواقعهم وبرزت خلال تلك المدة جهود الكونت برنادوت (Brnadotte) لحل المسألة عبر تقسيم فلسطين لدولتين عربية تضم لها منطقة النقب وصهيونية تضم لها منطقة الجليل، مع تدويل حيفا ومطار اللد ووضع القدس تحت إشراف دولي وعودة النازحين العرب إلى ديارهم وتعويضهم عما فقدوه[4]، وكانت هذه المقترحات سبباً في قيام عصابة شتيرن الصهيونية باغتياله هو ومساعده الفرنسي سيروت (serot) يوم 17 أيلول (1948) [5].

لم تسفر الحرب التي خاضتها الجيوش العربية بعد أن دخلت فلسطين في 15 آيار 1948 عن نتيجة إيجابية بل كشفت ضعف الأقطار العربية وتفرقها، ولأسباب مختلفة لعل أبرزها ضعف إرادة القتال لدى الحكومات العربية والتي قبلت هدنة رودسي في 3 نيسان 1949، وقد نتج عن الانسحاب العربي من ارض المعركة نزوح اعداد كبيرة من الفلسطينيين قدر عددهم تقرير بعثة المسح الاقتصادي للشرق الأوسط التابع للأمم المتحدة في كانون الثاني 1949 بحوالي 726 الف نازح[6] وقد وقعت أربعة اتفاقيات للهدنة بين الكيان الصهيوني وبين

1 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص90.
2 الحيالي، الإخوان المسلمون، ص40.
3 العلوي، المصدر السابق، ص63.
4 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص90.
5 عبوش، المصدر السابق، ص26.
6 البكاء، المصدر السابق، ص ص 213-214.

مصر والأردن ولبنان وسوريا ورفض العراق توقيع الاتفاق[1].

بقيت مسألة اللاجئين الفلسطينيين خاضعة للمماطلة والتسويف ما بين العامين 1948--1966 أصدرت الأمم المتحدة ستة عشر قراراً رسمياً بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بلادهم لكن الكيان الصهيوني رفض تنفيذها، وقد بلغ عدد اللاجئين عشية 5 حزيران 1967 والمسجلين في مكاتب وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الاونروا" التابعة للأمم المتحدة 1.344.576 فلسطيني[2].

شهدت فترة الخمسينيات حتى عام 1967 أعمال عنف وارهاب مارسها الكيان الصهيوني تعدت الواقع الفلسطيني إلى المحيطين العربي والدولي، وتم إنشاء وحدات إرهابية في رحم الاجهزة الإسرائيلية العسكرية والتي يدخل ضمن نشاطها ووظائفها مسؤولية إثارة الفتن ومراقبة الأحداث خارج "إسرائيل"[3] وقبيل العدوان الثلاثي على مصر (1956) والذي اشترك فيه الكيان الصهيوني إلى جانب بريطانيا وفرنسا. اقترفت القوات الصهيونية في 19 تشرين الأول 1956 مذبحة بشعة ضد سكان كفر قاسم حيث قتل واحد وخمسون فلسطينياً وجرح ثلاثة واربعون آخرون[4].

وقد تأسست في فلسطين منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 والتي رفعت شعار الكفاح المسلح وإعداد الفلسطينيين عسكرياً عبر جيش التحرير الفلسطيني[5] وفي مطلع عام(1965) تأسست حركة التحرير الفلسطيني (فتح) وقامت بعده عمليات عسكرية ضد الصهاينة عبر ذراعها العسكري (العاصفة)[6].

خططت قيادة الجيش الصهيوني لقيادة حرب ضد الدول العربية وكان هدفهم الأول إحراز السيطرة الجوية وشل القوة الجوية المصرية وجعلها خارج المعادلة ومن ثم التحول نحو الحرب البرية المزمع شنها، وكانت القوة الجوية الصهيونية تملك ثلاثمائة وخمسين طائرة ناهيك عن عشرين طائرة فرنسية كانت مؤجرة للقوات الجوية (الصهيونية) لم تسترد إلا بعد الحرب، وكانت القوة الجوية المصرية مكونه من خمسمائة وخمسين طائرة من ضمنها ثمانية

1 أحمد واخرون، المصدر السابق، ص 91.
2 المصدر نفسه، ص92.
3 الشمري، المصدر السابق، ص23.
4 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص95.
5 الخلايلة، المصدر السابق، ص ص 163–165.
6 هاني الهندي، التقويم الفلسطيني محطات في تاريخ القضية، ط1، (عمان، 1997)، ص23.

وأربعون طائرة هيلوكوبتر وسبعون طائرة شحن[1].

في 5 حزيران 1967 وفي الساعة 8.45 بتوقيت القاهرة قامت القوة الجوية الصهيونية وبدون استخدام أجهزة الإتصال اللاسلكية بمهاجمة تسع عشرة قاعدة جوية مصرية في سيناء وعبر قناة السويس، ثم قامت بتجميع قوات المدرعات البرية واكتساح شبه جزيرة سيناء[2].

وفي غضون بضعة أيام استطاع الكيان الصهيوني احتلال أراضٍ عديدة في ثلاث دول عربية هي مصر والأردن وسوريا، ناهيك عن احتلال بيت المقدس، وقدرت المساحة المحتلة من مصر وحدها بـ(000، 61 كم2) وقتل في سيناء (500، 11) مصري وخسر الطيران المصري 95% من قوته الجوية وتم تدمير 85% من معدات القوى البرية والياتها ووفقاً لرواية محمود رياض وزير الخارجية المصري فإنه في يوم 11 حزيران لم يكن في القاهرة سوى سبع دبابات فقط[3].

أما الموقف العربي من الحرب التي اشتركت فيها الأردن وسوريا إلى جانب مصر، فقد اعلن مؤتمر وزراء النفط العرب على إثر اجتماعه في بغداد عن قطع الامدادات النفطية عن كل دولة تشارك وتساند الكيان الصهيوني في عدوانه، كما أصدرت الحكومة المصرية بياناً أعلنت فيه قطع العلاقات مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لتواطئهم مع الكيان الصهيوني. وعلى الصعيد الدولي اقر مجلس الأمن في اجتماعه الطارئ وقف العمليات العسكرية بين الدول المتحاربة بتاريخ 8 حزيران 1967 لكن الجبهة لم تهدأ بالفعل ولم تقف العمليات حتى يوم 15 حزيران (1967) [4].

وخلال المدة (1967–1973) قدمت عدداً من المشاريع بهدف احلال السلام بين الكيان الصهيوني والدول العربية منها مشروع الرئيس الأمريكي جونسون (1963) (Johnson–1969) في 17 حزيران 1967، والمشروع السوفيتي في 19 حزيران 1967 والذي طالب فيه الكيان الصهيوني بالانسحاب من الأراضي العربية دون قيد أو شرط، والمشروع الأمريكي في 20 حزيران والذي رفض فيه الانسحاب غير المشروط الذي قدمه الاتحاد السوفيتي ودعا

1 العلوي، المصدر السابق، ص ص 81–82.
2 المصدر نفسه، ص82.
3 عمر مهدي خليل الحيالي، «دوافع تصاعد تيار الإحياء الإسلامي في مصر 1967–1981 دراسة تحليلية» مجلة التربية والعلم، (جامعة الموصل) العدد 5، 2012، ص ص 137–138.
4 عبوش، المصدر السابق، ص78.

إلى إجراء مفاوضات مباشرة بين الكيان الصهيوني والدول العربية[1]. وبسبب فشل تلك المشاريع أصدر مجلس الأمن قراره ذي الرقم (242) والقاضي بالانسحاب من الأراضي العربية التي احتلها الكيان الصهيوني، وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين[2].

وبسبب تمادي الكيان الصهيوني في احتفاظه بالأراضي العربية التي أحتلها خلال حرب 1967، وعدم إبداء أي رغبة في حل المشاكل العالقة بطرق سلمية وعدم تطبيق قرار مجلس الأمن (242) سابق الذكر، قررت مصر اعتماد الضغط العسكري وفعلاً بدأ الهجوم المصري يوم 6 تشرين الأول 1973 وفي اليوم الأول للحرب صرح وزير الخارجية الفرنسي ميشل جوبير (M. Jober) قائلاً: "إن الاشخاص الذين يحاولون وضع اقدامهم في بيوتهم لا يمكن اعتبارهم يقومون بأعمال عدائية غير متوقعة"[3].

واجتاز ستون الف جندي مصري قناة السويس تسبقهم ألف دبابة واخترقوا خط بارليف المعروف بأنه غير قابل للاختراق، وحاولت الطائرات الصهيونية (الفانتوم) تدارك الموقف لكن الصواريخ المضادة للطائرات (سام 6) السوفيتية الصنع اسقطت عدداً كبيراً منها فعادت إلى قواعدها وفتح جسر جوي بين الاتحاد السوفيتي ومصر وجسر جوي مماثل من الولايات المتحدة الأمريكية للكيان الصهيوني، وقد مكنت المساعدات الأمريكية الصهاينة من الانتصار على جبهة الجولان واستعادت ما خسرته من أراضٍ وفي 23 تشرين الأول أصبحت دمشق ضمن مرمى المدفعية الصهيونية، وبتدخل مجلسٍ الأمن بدأت المفاوضات يوم 28 تشرين الأول عند منطقة (الكيلو متر 101) على طريق السويس – القاهرة، وفي 11 كانون الثاني (1974) توصل الرئيس المصري أنور السادات (1970–1981) ورئيسة الوزراء "الإسرائيلية" غولدا مائير (Golda Meir) إلى الاتفاق على انسحاب القوات الصهيونية مسافة عشرين كم2 والسماح لقوات الأمم المتحدة باحتلال مسافة فاصلة بين الطرفين أما بالنسبة لسوريا فقد انسحبت القوات الصهيونية من أراضيها مقابل الإفراج عن الأسرى الصهاينة لدى سوريا[4].

1 البكاء، المصدر السابق، ص ص 230–232.
2 رأفت غنيمي الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (مصر، 2006)، ص 194.
3 عبوش، المصدر السابق، ص114.
4 بيارميكال، تاريخ العالم المعاصر 1945–1991، ترجمة: يوسف ضومط، ط1، دار الجيل، (بيروت، 1993)، ص ص 441–444.

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

عانى الشيخ أحمد ياسين – وهو من مواليد قرية الجورة الفلسطينية عام (1938) – من مرارة الاحتلال الصهيوني لفلسطين وشاهد امام ناظريه ما تعرضت له الجيوش العربية في حرب (1948) وهزيمة (1967) والانتصار النسبي في حرب تشرين (1973). وكان الشيخ متأثراً بأفكار جماعة الإخوان المسلمين في مصر، وفي عام (1978) أنشأ الشيخ أحمد ياسين مؤسسة اطلق عليها اسم (المجمع الإسلامي) وقد تم الحصول على الموافقات الرسمية وتم تسجيلها في دوائر السلطات الصهيونية، وامتد نشاطها ليشمل بحسب ما قاله زعيمها الشيخ ياسين إلى نشر رسالة الإسلام وتحفيظ القرآن وبناء المساجد والمدارس والعيادات الطبية وقد ادى اتساعها إلى قيام سلطات الاحتلال بفرض قيود عليها للحد من نشاطها، وأسست المنظمة لها جناحاً عسكرياً عُرف بـ (مجاهدي فلسطين) لكن سلطات الاحتلال الصهيوني نجحت في اختراق الحركة وتزويدها بالسلاح ومن ثم اعتقال قياداتها وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين بتهمة حيازة الأسلحة[1].

وفي يوم 8 كانون الأول (1987) وقع حادث عرضي مثل القشة التي قصمت ظهر البعير، عندما دهس سائق مقطورة صهيوني سيارة كانت تقل عمالاً فلسطينيين كانوا عائدين من العمل فقتل أربعة منهم عمداً فثار الشعب الفلسطيني وأثناء عملية التشييع أنضم العديد من الفلسطينيين إلى الموكب الذي مر بالقرب من معسكر اللاجئين في جباليا فازداد زخماً وقوة وبعد الانتهاء من دفن الجنازة هاجم البعض مركز الشرطة "الإسرائيلي" القريب من المقبرة ورد الجنود بإطلاق النار وسقط شهيد واحد وعدداً من الجرحى وكانت تلك شرارة الانتفاضة[2].

ناقش الشيخ المفرج عنه ورفاقه تطورات الوضع وفي يوم 14 كانون الأول 1987 أعلن عن قيام حركة المقاومة الإسلامية (حماس) واعلن في بيانها الأول أنها الذراع الضارب لجماعة الإخوان المسلمين في فلسطين المحتلة وهددت العدو الصهيوني بعنف أشد كلما اشتد عنفه مؤكده أن الإسلام هو الحل العملي لقضية فلسطين وأنها ترفض إضاعة الوقت في السعي

1 زكي شهاب، حماس من الداخل، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، 2008)، ص ص 39–41.
2 أحمد منصور، الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، ط1، الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2003)، ص168.

وراء الحلول السلمية والمؤتمرات الدولية الفارغة[1].

وكان الدور الإخواني واضحاً في انتفاضة الحجارة والتي سميت بـ (انتفاضة المساجد) وقد شنت حماس عدة عمليات ضد قوات الاحتلال الصهيوني، كانت أولها في غزة عندما اطلقت الرصاص على الجنود الصهاينة، وهذا ما حدا برئيس الوزراء الصهيوني اسحق رابين (Isaac Rabin) بأن يتمنى غرق قطاع غزة في البحر[2]، وكانت حماس مقسمة إلى قيادات ووحدات لكل وحدة مهامها الخاصة وكانت كتائب عز الدين القسام تمثل الجناح العسكري لحركة حماس، أما الجهاز الاستخباري فأطلق عليه اسم (مجد) ووضع تحت قيادة كل من يحيى سنوار وخالد الهندي[3].

أما السلطات الصهيونية فعجلت في مطاردة أعضاء حماس وقياداتها ففي عام (1988) اعتقلت سلطات الاحتلال مائة وخمسين من قيادات الحركة كان على رأسهم عبد العزيز الرنتيسي الذي خلف الشيخ أحمد ياسين في قيادة الحركة بعد استشهاده.

وفي شباط وآيار (1989) أعتقل مائتان وستون قيادياً على أثر قيام حماس باختطاف جنديين صهيونيين وكان أحمد ياسين على رأس المعتقلين وفي (1990) اعتقل ألف وسبعمائة عضو من الحركة[4].

وقد اعتمدت حركة حماس العمليات الاستشهادية طريقة لضرب العدو الصهيوني في العمق وبلغ عدد منفذي تلك العمليات حتى آيار (2001) اثنين وسبعين استشهادياً ([5]). وبدأت قوات الاحتلال بتنفيذ عمليات اغتيال ضد الناشطين الفلسطينيين وتوجهت بعد جمع عدد كبير من المعلومات إلى المرحلة التالية باغتيال القيادات وكان الشيخ أحمد ياسين على رأس القائمة حيث قامت مروحية صهيونية بإطلاق ثلاثة صواريخ موجهة استهدفت الشيخ يوم 22 اذار (2004)، وتشير المصادر الصهيونية إلى أن رئيس الوزراء (الإسرائيلي) اريل شارون (Ariel Sharon) قد أصدر أوامره باغتيال الشيخ أحمد ياسين، وتولى القيادة بعده مباشرة

1 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ج1، ط5، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، (الرياض، 2003)، ص236.
2 ياسر الزعاترة، الظاهرة الإسلامية قبل 11 أيلول وبعده تجارب وتحديات وافاق، ط1، الدار العربية للعلوم، (بيروت، 2004)، ص73.
3 شهاب، المصدر السابق، ص ص 54–55.
4 الزعاترة، المصدر السابق، ص81.
5 المصدر نفسه، ص87.

الدكتور عبد العزيز الرنتيسي وهو من مواليد 23 تشرين الثاني 1947 وقد اغتيل هو أيضاً بإطلاق صاروخين نحو السيارة التي كان يستقلها في شارع الجلاء شمال غزة يوم السبت 17 نيسان (2004) [1].

1 شهاب، المصدر السابق، ص ص148-154.

ثانياً - القضية الأريترية

الموقع الجغرافي

تقع أريتريا بين السودان في الشمال الغربي وأثيوبيا (الحبشة) من الجنوب وجيبوتي من الجنوب الشرقي ، وتحدها شرقاً شواطئ البحر الأحمر من رأس قصار في حدود السودان الشرقي إلى باب المندب المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، وتمتلك أريتريا شاطئاً طويلاً يضم ثلاث موانئ مهمة هي (عصب ، مصوع ، تكلاي) فضلاً عن ميناء (ادوليس) ، كما توجد في أريتريا مطارات عدة اهمها مطار اسمرة .

أما اللغة الرسمية في أريتريا فهي اللغة العربية إلى جانب اللغة التيجيرنية وتنتج أريتريا جميع أنواع الفاكهة والخضروات والحبوب والقطن والبن والسمسم والفول السوداني فضلاً عن الصمغ ، كما توجد فيها ثروة هائلة من المواشي اهمها (الضأن والماعز والابقار والابل) ، وأريتريا غنية بالمعادن حيث يوجد فيها الحديد والذهب والمنغنيز واكتشف فيها أيضاً البترول في فترة متأخرة[1] . ويبلغ عدد سكان أريتريا بحسب إحصاء (2002) أربعة ملايين نسمة وتبلغ نسبة المسلمين فيها قرابة 85% [2] .

أريتريا بين الفتح الإسلامي والسيطرة الإثيوبية

عرفت أرض أريتريا هجرة قبائل عربية لها في المدة الواقعة بين (700 –1000) ق . م ، وتواصلت بعد ذلك الهجرات عبر مضيق باب المندب وجزيرة دهلك ، وانتقل الإسلام اليها ليجد فيها بيئة ملائمة لنشر تعاليمه ونتج عن ذلك انبثاق العديد من الإمارات والسلطنات الإسلامية التي ارتبطت بالخلافتين الاموية والعباسية وقد عرفت شواطئ أريتريا في القرون الوسطى بتسمية (بلاد الطراز الإسلامي)[3] .

وقد انتشر الإسلام هناك عن طريق التجار والدعاة والمصاهرات ، وكان الخليفة العباسي

1 محمد علي الهمشري وآخرون ، القاموس الإسلامي للناشئين والشباب ، ج11 ، ط1 ، مكتبة العبيكان ، (الرياض ، 1997) ، ص ص 19–20 .
2 شوقي أبو خليل ، أطلس دول العالم الإسلامي ، ط2 ، دار الفكر ، (دمشق ، 2003) ، ص 123 .
3 مسعود الخوند ، الأقليّات المسلمة في العالم الإسلامي ، ط2 ، universal company ، (بيروت ، 2006) ، ص52 .

هارون الرشيد (170–193هـ) قد أولى اهتماماً خاصاً بساحل أفريقيا الشرقي فدفع بالكثيرين للهجرة إلى هناك وبقيت الهجرات تتدفق بدافع الدعوة أو طلباً للاستقرار والتجارة[1].

كما خضعت أريتريا للدولة العثمانية شأنها في ذلك شأن معظم البلدان العربية في آسيا وافريقيا للفترة من (1577) وحتى(1846)، حيث انتقلت إدارتها إلى مصر في عهد واليها محمد علي باشا (1805–1848)[2] وكانت تسمى إبان تلك الفترة باسم (بلاد البوغوص) نسبة إلى اقليم البوغوص الأريتري الواقع غربي العاصمة أسمرة بالقرب من الحدود السودانية، ومنذ عام 1889 خضعت البلاد للاحتلال الإيطالي وبعد عام من ذلك أطلق عليها اسم (أريتريا) بعد أن أصدر الملك الإيطالي همبرت الأول (1878-1900) (Hombert I) قراراً بتسميتها إحياءً للتسمية الرومانية القديمة للبحر الأحمر وشواطئه وهي البحر الأريتري "Mare Erythraeum"[3].

واعتمد الاحتلال الإيطالي لأريتريا أسلوب حرب القبائل بعضها ببعض، بهدف دفع السكان بعيداً عن المدن والمناطق الخصبة واحلال الإيطاليين محلهم، كما قام الإيطاليون بمد سكة حديدية تربط ما بين أسمرة وما بين ميناء مصوع بطول (120) كم بدأ العمل بها عام 1888 وأنجز 1911[4].

وكان للاحتلال الإيطالي تأثير بالغ على أريتريا شمل نواحٍ عدة من الحياة سياسياً واقتصادياً، وقد نظر (بنيتو موسوليني) (1922-1945) (Benito Mussolini) إلى أريتريا بوصفها القاعدة المستقبلية للإمبراطورية الشرقية لأفريقيا، وما إن جاءت الحرب العالمية الثانية حتى كانت أريتريا تضم نصف المشروعات الصناعية للإمبراطورية الإيطالية وتحوي على 5%، 80 من رؤوس الأموال الصناعية التي تستثمرها روما في مشروعها الاستعماري في افريقيا، وبعد هزيمة الفاشست في الحرب العالمية الثانية حل البريطانيون محل الإيطاليين في أريتريا، وحاولوا خلال الفترة (1941–1951) إدخال نمط إداري جديد شمل (البرلمان والنقابات والهيئات الديمقراطية فضلاً عن الصحافة) وكانت هذه الأمور نادرة في حينها

1 جميل عبد الله المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ج2، ط1، منشورات كلية الدعوة واصول الدين (المملكة العربية السعودية، د. ت)، ص409.
2 مجدي الداغر، أوضاع الأقليّات والجاليات الإسلامية في العالم قبل وبعد احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، 2006)، ص84.
3 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص ص 251–252.
4 المصري، المصدر السابق، ص413.

داخل قارة أفريقيا إذا ما استثنينا مصر وبعض دول الشمال الأفريقي.

وقد أدت هذه الأمور إلى إثارة الجارة أثيوبيا والتي رأت في ذلك إعطاء خصوصية لأريتريا قد يغلق مستقبلاً أي منفذ إثيوبي على البحر الأحمر فضلاً عن أن النظام الديمقراطي لأريتريا يشكل بحال من الاحوال تهديداً واضحاً للنظام الملكي المطلق في أثيوبيا[1].

أما على الصعيد الإداري فقد تبنت الحكومة البريطانية وجهة نظر خاصة بشأن القضية الأريترية تقوم على أساس تقسيم البلاد بين أثيوبيا والسودان على أساس ديني وذلك بضم المحافظات الثلاث (اغودات وكرن ونفقة) إلى السودان وضم الهضبة الأريترية والسواحل بما فيها العاصمة اسمرة ومينائي عصب ومصوع إلى إثيوبيا، وعلى ما يبدو أن بريطانيا كانت في ذلك الوقت متواطئة مع إثيوبيا.

وأثناء عرض قضية المستعمرات الإيطالية على هيئة الأمم المتحدة قررت الأخيرة إرسال لجنة تحقيق إلى أريتريا خلال الفترة من 12 تشرين الثاني (1947) وحتى 3 كانون الثاني (1948)، كما شجعت بريطانيا خلال الفترة ذاتها على قيام عدد من الأحزاب ومنها حزب الرابطة الإسلامية والحزب الليبرالي التقدمي والحزب الوطني الإسلامي، وقد تلقت هذه الأحزاب الدعم المادي من بريطانيا لأنها طالبت باستقلال أريتريا ووضعها تحت الانتداب البريطاني[2].

وبعد أن انجزت اللجنة تقريرها رفعته إلى الأمين العام للأمم المتحدة في 28 حزيران 1950 وتضمن ثلاثة مقترحات هي:

1 – يجب إقامة الوحدة بين أريتريا وأثيوبيا تحت سيادة التاج الإثيوبي.

2 – إعادة توحيد جميع مقاطعات البلاد مع أثيوبيا بإستثناء الولاية على أن تظل هذه الولاية تحت الإدارة البريطانية لمدة محددة من الزمن.

3 – وضعها تحت الوصاية تمهيداً لمنح أريتريا استقلالاً تاماً[3].

ناقشت الجمعية العامة للأمم المتحدة القضية الأريترية وقد طرحت أثناء الاجتماع عدة

1 الخوند، المصدر السابق، ص ص 52-54.

2 ابراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 2005)، ص 205.

3 محمد عثمان أبو بكر، تاريخ أريتريا المعاصر أرضاً وشعباً، ط1، (القاهرة، 1994)، ص ص 457-458.

مشاريع مقترحة لحل الازمة اهمها:

أ- **المشروع الأمريكي**: والذي يوصـــي بالاســتقلال الذاتي لأريتريا واتحادها مع أثيوبيا بصيغة اتحاد فيدرالي تحت سيادة التاج الأثيوبي مع وضع مشروع مفصل لهذا الغرض[1].

ب-**المشروع الســوفيتي**: والذي يقضي بمنح أريتريا اســتقلالاً فورياً وانسحاب القوات البريطانية في موعد أقصاه ثلاثة أشهر مع ضمان منح جزء من أراضي أريتريا إلى أثيوبيا بهدف حصول الأخيرة على منفذ بحري لها عن طريق ميناء عصب.

ت-**المشروع العراقي**: والمتضمن إتاحة الفرصة للشعب الأريتري من خلال جمعية وطنية حقيقية لتقرير رغبته أما في الانضـمام إلى أثيوبيا على شـكل اتحاد فيدرالي أو الاستقلال التام على أن يبت في الأمر في موعد اقصاه الأول من تموز (1951).

ث-**المشروع البولندي**: ويوصـي بمنح أريتريا استقلالاً بعد ثلاث سنوات توضع خلالها أريتريا تحت سـلطة مجلس مكون من سـتة أعضـاء عضـو من أثيوبيا وعضـوين من الأقطار العربية وثلاثة من أريتريا وانسحاب القوات البريطانية خلال ثلاثة أشهر من تاريخ الموافقة على مشروع القرار مع منح أثيوبيا منفذاً بحرياً عن طريق ميناء عصب.

ج- **المشروع الباكستاني**: ويهدف إلى إعلان أريتريا دولة مستقلة ذات سيادة في مدة لا تتجاوز الأول من كانون الثاني 1953 وتقديم المساعدة للشعب الأريتري لبناء دولته[2].

وفي عام 1950 أصـدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها ذي الرقم (390) والذي توصـي مـن خلاله أن تصبح أريتريا وحدة متمتعة بحكـم ذاتي في إطار اتحـادي مع أثيوبيا تحت سـيادة التاج الإثيوبي، على أن يكون للسلطات الأريترية صلاحيات تشريعية وتنفيذية وقضـائية في الشـؤون الداخلية، أما ما يخص التمثيل الخارجـي فيجري من خلال الحكومة الإثيوبية[3].

الاحتلال الإثيوبي لأريتريا وتداعياته

لم تلتزم أثيوبيا بقرار الأمم المتحدة وسرعان ما حولت هذا الاتحاد إلى احتلال عسـكري

1 المصري، المصدر السابق، ص416.
2 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص271.
3 مصـطفى البغا، حاضر العالم الإسـلامي، ط6، جامعة دمشـق، (دمشـق، 1999)، ص 115؛ الداغر، المصدر السابق، ص84.

قضت خلاله على استقلال أريتريا، وقام الاحتلال الإثيوبي بزج معظم الأحرار في السجون والمعتقلات، وفرض الحراسة المشددة على المواطنين في المؤسسات الوطنية كافة، ناهيك عن أعمال القمع والتعذيب والاضطهاد مما زاد في حدة التوتر بين السلطات الإثيوبية والشعب الأريتري[1].

وبنظرة فاحصة يمكن أن نرى مدى التسلط الأثيوبي من خلال الهيكل الإداري للدولة الاتحادية، فبعد قيام السياسيين بإعداد الدستور وانتخاب الجمعية التمثيلية الأريترية ورئيس الوزراء الأريتري سلمت الإدارة البريطانية السلطة رسمياً للحكومتين الأريترية والإثيوبية ورفع العلم الأثيوبي إلى جانب العلم الأريتري وتولى النصارى مناصب هامة في تشكيلة الحكومة الجديدة. فقد كان عدد النواب في الجمعية التمثيلية (86) نائباً نصفهم من المسلمين نصفهم من النصارى مع أن نسبة 80–85% من السكان هم من المسلمين، أما بالنسبة لإدارة الحكومة فقد شكل النصارى ما نسبته 90% من أعضائها[2].

وفي يوم 28 آب 1952 اجرت الجمعية التمثيلية انتخاباتها والتي نتج عنها تولي (تدلا بايرو) السكرتير العام لحزب الاتحاد مع أثيوبيا رئاسة مجلس الوزراء، كما انتخب (موسى راداي) السكرتير العام لحزب التقسيم رئيساً للجمعية التمثيلية[3] كما فرض الإمبراطور هيلاسلاسي (1892-1975) (Haileselassie) نفسه رئيساً لأريتريا، وتدخل في كل شؤون الدولة ضارباً بالدستور عرض الحائط فأوقف الصحف وحل الاحزاب والاتحادات واستولى على حصة أريتريا من الجمارك مما شكل ضغطاً اقتصادياً على الشعب الأريتري[4].

وقد نتج عن ذلك تجدد النزاع بين الأريتريين والأثيوبيين مما ادى إلى تدخل هيئة الأمم المتحدة وفرضها على أريتريا نظاماً فيدرالياً سلبها حقها في الاستقلال فقام الامبراطور (هيلاسلاسي) بإلغاء الدستور المشترك رسمياً هذه المرة وإعلان ضم أريتريا إلى أثيوبيا باسم الولاية الرابعة عشر متجاهلاً قرار الأمم المتحدة[5]. وكانت السلطات البريطانية قد هيأت الظروف الملائمة لأثيوبيا للعب هذا الدور قبيل انسحابها من أريتريا حيث قامت بتسريح

1 توفيق سلطان اليوزبكي وآخرون دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، 1973)، ص222.
2 المصري، المصدر السابق، ص417.
3 أبو بكر، المصدر السابق، ص477.
4 المصري، المصدر السابق، ص417.
5 الداغر، المصدر السابق، ص84.

الوحدات العسكرية الأريترية ، وتخفيض اعداد قوات الشرطة وتزويد عصابات (الشيفتا) الإثيوبية بالسلاح والعتاد[1].

حركات التحرر الأريترية والسعي نحو الاستقلال

كان احد أبرز نتائج الاحتلال الأثيوبي للأراضي الأريترية واعتماد القمع والبطش اسلوباً للتعامل مع الشعب الأريتري بروز حركات التحرر الأريترية بشقيها السياسي والمسلح ، وكانت أولى تلك الحركات والتي انتهجت الاسلوب السياسي لمقاومة الوجود الأثيوبي هي (حركة التحرر الأريترية) والتي اعلن عنها يوم 2 تشرين الثاني (1958)، والتي اكد شعارها على اعتماد العنف الثوري اسلوباً وحيداً للتحرر والاستقلال لكنها وعلى الرغم من ذلك لجأت إلى الاسلوب السياسي مؤكدة على وحدة الصف الأريتري وإثارة القضية في المحافل الدولية واكدت في أهدافها على:

أ- استقلال أريتريا استقلالاً تاماً واقامة حياة ديمقراطية.

ب- وحدة التراب الأريتري بحدود الحالية.

ت- تحقيق اماني الشعب الأريتري القومية.

لكن هذه الحركة سقطت في جملة من الأخطاء أهمها ، الاعتماد على النهج القطري الضيق ورفع شعار (الأمة الأريترية) و(القومية الأريترية) بهدف عزل الثورة عن المساندة العربية ، ناهيك عن تولي بعض القيادات ذات التوجهات الخاطئة لزعامة الحركة والتي كانت تدير الأحداث من مقارها خارج أريتريا ، مع عدم التأكيد على مسألة العمل المسلح وحمل الأمر على المحمل الاعلامي مما دفع الشعب إلى نبذ الحركة[2].

تلى ذلك بروز حركة جديدة حملت على عاتقها تحرير أريتريا عرفت باسم (جبهة التحرير الأريترية) والتي تأسست في القاهرة ومن ابرز قياداتها (إدريس محمد آدم وابراهيم سلطان وولداب وولدماربام وغيرهم) واعتمدت الجبهة العمل المسلح مركزة على المناطق الريفية[3].

وفي الأول من أيلول (1961) اطلق حامد إدريس عواتي الرصاصة الأولى معلناً بداية

1 أحمد ، المصدر السابق ، ص205.
2 اليوزبكي وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص 225-226.
3 أحمد ، المصدر السابق ، ص 207.

الثـورة في المنطقـة الغربية ، وقد اختيرت هذه المنطقة لأسـباب أهمها وعورتها وصـلاحيتها لحـرب الانصـار والبعد عن تجمع القوات الإثيوبية ، فضـلاً عن رفضـها المبكر للاسـتعمار الأثيوبي واستعداد سكانها للمواجهة[1].

وقـد تلقـت الجبهة دعماً من عدد من البلـدان العربية وعلى وجه الخصـوص من المملكة العربية السـعودية والصومال وكان أكثر عناصر الجبهة ومقاتلوها من المسلمين الأريتريين من الذين رجحوا الإسلام على الوطنية الأريترية في حركتهم[2].

واسـتطاعت الجبهـة خلال الفـترة ذاتها من فتـح أول مكتب خارجي لها في العاصـمة الصـومالية (مقاديشـو) ، تلاه فتح مكتب آخر في دمشـق ، كما حصـلت على مساعدات مالية كانت تأتيها عن طريق الأراضـي السـودانية أما أول شـحنة أسلحة وصلتها فكانت من العراق كما أرسلت بعض الكوادر إلى الخارج للتدريب على السلاح وكذلك طورت وسائل الإعلام لإيصال صوتها وأخبار الثورة إلى مختلف أنحاء أريتريا[3].

حددت جبهة التحرير الأريترية أهداف حركتها بـ: الاستقلال الكامل لأريتريا ، ووضع سياسـة اقتصادية سـليمة ، واعتماد سياسـة تعليمية تتفق مع التراث القومي ، وتصفية النفوذ الاستعماري الصهيوني وضع سياسة الداخل والخارج[4].

أما على الصـعيد الميـداني فقد قامت جبهة التحرير بعدد من العمليـات الناجحة مع بداية نشـاطها العسـكري كان أبرزها ما عرف بحـادث (اغردات) في 12 تمـوز (1962) عندما هاجمـت مجموعة فدائية من جبهة التحرير الجنرال (أبي أبيي) في حفل اقيم بمدينة (اغردات) كان الهدف منه كسـب التأييد للإمبراطور (هيلاسلاسـي) ، واستخدم مقاتلو الجبهة القنابل اليدوية وسقط جراء العملية 22 قتيل من كبار الموظفين والضباط وفي مقدمتهم وزير العدل في حكومة أريتريا (الصورية) ، وأصيب نحو ستون آخرون بجراح كان من ضمنهم الجنرال أبي أبيي ورئيس البرلمان ونائبه . وقد ردت السلطات الأثيوبية على الحادث بشن حملة اعتقالات في منتصف تموز ، وخلال أسبوع واحد اعتقل نحو 1200 مواطن ارتيري[5].

---

1 البغا ، المصدر السابق ، ص117 .
2 الخوند ، المصدر السابق ، ص54.
3 أحمد وآخرون ، المصدر السابق ، ص281.
4 علي جريشة ، حاضر العالم الإسلامي ، ط4، دار التجمع للنشر والتوزيع ، (جدة ، 1989) ، ص174.
5 أبو بكر ، المصدر السابق ، ص546.

ونتج عن ذلك اتساع نطاق الثورة حتى شمل معظم أراضي أريتريا معتمداً اسلوب حرب العصابات (الكر والفر) على الرغم من الدعم العسكري الأمريكي والصهيوني لأثيوبيا[1] وفي المؤتمر الذي عقد في مدينة (كسلا) السودانية قررت الجبهة تقسيم أريتريا إلى خمسة مناطق عسكرية متأسين بذلك بالتجربة الجزائرية وشملت المناطق:

1 - **المنطقة العسكرية الأولى:** وتشمل المديرية الغربية وتولى قيادتها محمد ديناي.

2 - **المنطقة العسكرية الثانية:** مديرية كرن ومديرية الساحل وقائدها عمر أزاز استشهد عام 1968.

3 - **المنطقة العسكرية الثالثة:** مديرية اكلي قوزاي ومديرية سراي تحت قيادة عبد الكريم أحمد.

4 - **المنطقة العسكرية الرابعة:** مديرية البحر الأحمر ومديرية دنكاليا وترأسها محمد علي عمرو.

5 - **المنطقة العسكرية الخامسة:** مديرية حماسين والعاصمة أسمرة وتولى قيادتها ولداي كحساي[2].

وكان الهدف من التقسيم شمول جميع مناطق أريتريا للعمليات العسكرية وعين لقيادة كل منطقة قائد عسكري من ابنائها يرتبط بدوره بالقيادة الثورية، وإلى جانبه يوجد نائب للقائد ومفوض سياسي وقائد فدائيين ومسؤول هيئة تدريب وأمين مالي ومشرف صحي وتضم كل منطقة ما بين 150-200 مقاتل[3].

لكن سرعان ما تعرضت الجبهة إلى هزة بعد أن اعلن قائد المنطقة الخامسة في مديرية حماسين والمدعو ولداي -وهو نصراني- الانضمام إلى حكومة هيلاسلاسي مسلماً نفسه ومن معه من القيادات إلى السلطة الإثيوبية[4].

وكان جيش التحرير الأريتري قد بدأ ومنذ عام (1967) يدخله العديد من الشباب والشابات النصارى يحملون معهم أفكاراً وانماطاً تتسم بالديمقراطية التي تميزت بها أريتريا

1 أحمد، المصدر السابق، ص ص 207-208.
2 أبو بكر، المصدر السابق، ص554.
3 أحمد وآخرون، المصدر السابق، ص ص282.
4 جريشة، المصدر السابق، ص174.

عن غيرها لكن سرعان ما ساءت العلاقة بين هؤلاء الشباب مع رفاقهم في السلاح بلغت حد سقوط بعض القتلى وهذا ما غذى الدعاية الإثيوبية القائلة: «إن جبهة التحرير الأريترية إنما هي تجسيد للعدو التاريخي المتمثل بالإسلام الساعي إلى تقسيم أثيوبيا بمساعدة البلدان العربية»[1].

وفي المــدة الواقعة بــين 10–25 آب 1969 عقدت قيادة الجبهة مؤتمرها الذي أكدت من خلاله على وحدة إدارة جيش التحرير وتكوين القيادة الميدانية لجيش التحرير من 38 عضو، في وقت بدأت فيه المساعدات المالية العربية تأخذ طريقها نحو أريتريا[2].

وعلى الرغم من تحقيق الجبهة وخلال سـنوات قليلة لانتصارات مهمة كان نتيجتها تحرير 90% من الأراضـي الريفية في أريتريا، ولم يبقَ تحت سـيطرة الحكومة الأثيوبية سوى المدن والجزء الاكبر من السـاحل حيث يقع ميناء عصـب الحيوي، إلا أنها تعرضـت لانقسامات فكرية وسياسـية واجتماعية وطائفية نتج عنها للمرة الأولى عام (1970) قيام تنظيمين الأول عرف باسـم (المجلس الثوري لجبهة التحريـر الأريترية) بقيادة أحمد ناصر، والثاني باسـم (جبهة التحرير الأريترية– قوات التحرير الشعبية) بقيادة كل من عثمان صالح سبي واسایاس افورقي (نصراني) ولم تمضِ سـتة سـنوات حتى انقسـم التنظيم الثاني إلـى منظمتين الأولى احتفظت بنفس الاسم الأصلي للتنظيم والثانية سميت بـ (الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا) بزعامة اسایاس افورقي، وقد استطاعت الجبهة الشعبية تحقيق انتصارات على المستوى الشعبي سياسياً واقتصادياً فأنشأت معامل وعيادات تحت الأرض تجنباً للقصف ورفعت من مستوى مشاركة المرأة كما قامت بالإصلاح الزراعي وطورت التعليم الابتدائي وعممته[3].

وفي الوقـت الذي كانت الانقسـامات الداخلية تأخذ مداها كان الثـوار الأرتيريون قد نجحـوا في توجيه ضربات قاصـمة للمصـالح الأثيوبية في الخارج ففـي آذار (1969) دمرت عناصـر جبهة التحرير طائرة إثيوبية في مطار فرانكفورت بألمانيا وفي حزيران من العام نفسـه هوجمت طائرة أثيوبية في مطار كراتشـي في الباكستان، وجرى اختطاف طائرتين أثيوبيتين وإرغامهمـا على الهبوط الأولى في الخرطوم العاصـمة السـودانية والثانية في عدن في اليمن الجنوبي حينها.

أما على الصـعيد الداخلي فقد شن الثوار سلسلة عمليات عسكرية طالت المراكز الإثيوبية

1 الخوند، المصدر السابق، ص54.
2 أحمد، المصدر السابق، ص208.
3 الخوند، المصدر السابق، ص54.

في العاصمة اسمرة ومدينة كرن ، ففي 22 تشرين الثاني 1970 وقعت معركة كبيرة بين الثوار الأريتريين وقوات الفرقة الثانية الأثيوبية في اسمرة انتهت بمقتل قائد القوات الإثيوبية في أريتريا الجنرال (تشسومي ارقتو) ، تلاها قتل الثوار للجنرال (يلما آليمو) نائب قائد القوات الإثيوبية في أريتريا ، وهوجم عام 1973 مقر قيادة الفرقة الثانية في أسمرة وتمّ تهديم قسم كبير منه ونسفت غرفة العمليات وقتل بداخلها ضابط برتبة مقدم ، وادى تكرار العمليات إلى دمار شبه كامل للفرقة الثانية و هذا ما حدا بجنود الفرقة إلى التذمر ومن ثم العصيان الذي كان من نتائجه اعتقال كبار ضباط الفرقة وعلى رأسهم الجنرال (ابي هايلي ماريام) الحاكم العسكري في أريتريا يوم 26 شباط 1974 [1].

وفيما يخص تعامل الأثيوبيون مع السكان الأريتريين فقد اعتمدوا سياسة الأرض المحروقة فقد ابادت القوات الأثيوبية 174 قرية الأمر الذي دفع بالعديد من الارتيريين إلى الهجرة حرصاً على حياتهم وأعراضهم ولجأوا إلى السودان ، ومع تفاقم العمليات العسكرية ازداد عدد اللاجئين إلى الأراضي السودانية حتى بلغ بحسب احصائيات الثورة الأريترية 000 ، 700 شخص عام 1985 ناهيك عن مقتل 000 ، 200 آخرين[2].

وبعد سقوط حكم الامبراطور (هيلاسلاسي) وقيام النظام العسكري في أثيوبيا كان من المتوقع اعتماد سياسة جديدة فيما يخص قضية أريتريا وفي 20 نيسان 1976 صدر عن الحكم العسكري بيان اهم ما جاء فيه: منح أريتريا حكماً محلياً في إطار الدولة الأثيوبية بعد اجراء دراسة تشمل أرض أثيوبيا بما فيها أريتريا وتاريخها وقومياتها وأوضاعها الجغرافية وبنيتها الاقتصادية . لكن سرعان ما أثبتت أثيوبيا عدم جديتها فشنت عدة حملات تحت شعارات مختلفة أهمها (إبادة الأريتريين الانفصاليين عملاء العرب) وفي آيار 1976 شنت حملة أخرى تحت شعار (لكي نقضي على السمك يجب تجفيف البحر) يقصدون بذلك الفلاحين الأريتريين ، وجاءت الحملة الثالثة عام (1978) تحت شعار: «الحرب حتى آخر رجل لإلحاق العار بالأريتريين[3].

وفي عام (1983) قامت المملكة العربية السعودية بدور فاعل إلى جانب السودان بتوحيد صفوف الفصائل الأريترية فقد توصلت (قوات التحرير الشعبية وجبهة التحرير الأريترية

1 أحمد وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص 282-283 .
2 المصدر نفسه ، ص286 .
3 المصدر نفسه ، ص286 .

واللجنة الثورية) إلى اتفاق جدة للوحدة والاندماج[1].

وما أن جاء عام 1984 حتى إجتاحت المجاعة أراضي كل من أثيوبيا وأريتريا معاً مما حدا بالقيادات السياسية العسكرية إلى الاعلان عن وقف اطلاق النار بين الجانبين[2].

وقد أقر المجلس الوطني الأريتري عام (1985) وثائق التنظيم الموحد الجديد باسم (جبهة التحرير الأريترية) وانتخب عثمان صالح سبي رئيساً للجنة التنفيذية للجبهة وأصدر المجلس بعد تشكيله عدداً من القرارات أهمها:

1 – عقد المؤتمر الوطني الأول للتنظيم الموحد في كانون الثاني (1986).

2 – دمج الاجهزة المختلفة التي كانت تابعة للفصائل.

3 – الاهتمام بأسر الشهداء وجرحى الحرب صحياً واجتماعياً.

4 – أهمية الحوار مع الجبهة الشعبية الأريترية بزعامة (اساياس افورقي).

5 – القبول بمبدأ التفاوض مع أثيوبيا بدون شروط مسبقة للوصول إلى حلٍ سلمي.

6 – تأييد منظمة التحرير الفلسطينية.

وبذلك تنتهي سلسلة الانشقاقات التي استمرت خمسة عشر عاماً[3].

وبعد أن تجددت العمليات العسكرية بين الجانبين استطاعت الجبهة الشعبية في ربيع عام (1988) من الاستيلاء على ترسانة هائلة من الأسلحة الثقيلة في معركة (افعيت)، وفي عام (1990) استطاعت السيطرة على ميناء مصوع الذي منحها منفذا على العالم الخارجي انتقلت القوات بعدها لحصار العاصمة أسمرة في وقت دخلت فيه قوات الجبهة الشعبية لتحرير (التيغري)[4] العاصمة الإثيوبية (أديس أبابا)[5] وفي آيار (1991) هرب (منغيستو هايلي مريام) إلى زمبابوي، وقد شهدت الساحة الأريترية صراعات داخلية أفرزتها التعددية السياسية والانقسامات في بنية الحركة التحررية، وفي 24 ايار (1993) اعلن عن استقلال أريتريا على

1 المصري، المصدر السابق، ص419.
2 الداغر، المصدر السابق، ص84.
3 المصري، المصدر السابق، ص420.
4 وهي جماعات حرب عصابات من شمالي إثيوبيا وصلت إلى السلطة بقيادة ميليس.
5 الخوند، المصدر السابق، ص55.

أثر استفتاء كانت نتيجته 99.8% لصالح الاستقلال وانتخب اساياس أفورقي رئيساً للبلاد[1].

وكانت أول ثلاث دول تعترف باستقلال أريتريا هي مصر والسودان (والكيان الصهيوني)، واصبح لأريتريا جيشٌ لكنها سرعان ما قامت بغزو جزيرة حنيش اليمنية والاستيلاء عليها بعد قتال دام ثلاثة أيام كان ذلك يوم 25 كانون الأول (1995)، ومما يجدر ذكره أن اليمن كانت إحدى أبرز الدول التي احتضنت الشعب الأريتري[2].

وقد إتجهت سياسة الرئيس (اساياس أفورقي) نحو إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع (الكيان الصهيوني) وذهب يسير بالبلاد، صوب القارة الافريقية بعيداً عن العروبة والإسلام، لاعتبارات ذاتية وأخرى ذات علاقة تاريخية بكل من أثيوبيا والولايات المتحدة الأمريكية وعزز إجراءاته بفرض اللغة (التيجيرية) لغة رسمية للبلاد، كما تجاهل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين[3].

1 «دولة أريتريا» النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) على الموقع www.wikipedia.com

2 أريتريا دولة للإيجار. . ام نمط جديد من الدولة الحديثة»، النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.arabc.asmarino.com

3 الداغر، المصدر السابق، ص85.

ثالثاً ـ قضية الصومال

إن دراسة تاريخ الصومال تعد من الأمور غير السهلة لا سيما إذا علمنا أن الصومال كان سابقاً مقسماً إلى خمسة أقسام هي (الصومال الفرنسي، والصومال البريطاني، والصومال الإيطالي، والصومال الأثيوبي (الأوجادين) والصومال الكيني).

الصومال الفرنسي (الموقع والمساحة والإمكانات)

يقع الصومال الفرنسي في الجزء المواجه لخليج عدن بين الصومال البريطاني وأثيوبيا وأريتريا[4]، وتبلغ مساحته قرابة 200، 23 كم2 وتشكل الصحراء 90% من أراضيه، أما عدد سكانه فبلغ عام 2002 (000، 652) نسمة ويدين السكان بالإسلام بنسبة توصلها بعض الدراسات إلى 100% واللغة المعتمدة هي اللغة العربية إلى جانب اللغتين الفرنسية والعفرية، وتعد قبيلة عفار وقبيلة عيسى ابرز قبائلها[5].

وتبلغ نسبة الأراضي المزروعة في الصومال الفرنسي (3.000) هكتار فقط أي ما يشكل 10% من الأراضي فقط ويسكنها الرعاة الذين يعيشون على تربية المواشي.

وينتج الصومال الفرنسي (جيبوتي) الجلود وبذور الزيت والبلح فضلاً عن اللآلئ والأسماك وقليل من البن والحبوب والملح. وتعد التجارة العنصر الأساس في الاقتصاد حيث توجد فيه منطقة حرة ناهيك عن تجارة الترانزيت، أما التجارة الداخلية فتعاني من ضيق الاسواق المحلية وانعدام القدرة الشرائية باستثناء العاصمة جيبوتي[6].

وعلى الصعيد الإداري يقسم الصومال الفرنسي إلى خمس مديريات:

1 – مديرية جيبوتي وهي أصغر المديريات وأكثرها ازدحاماً بالسكان.

2 – مديرية اوبوخ.

3 – مديرية تاجورة.

4 جاسم محمد حسن العدول وآخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، ط5، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 2005)، ص468.

5 أبو خليل، المصدر السابق، ص55.

6 الهمشري، المصدر السابق، ص ص 22–23.

4 – مديرية دخيل.

5 – مديرية علي صبيح[1].

الاحتلال الفرنسي للصومال:

اتخذ اهتمام فرنسا بالصومال طابعاً تجارياً أول الأمر، فقام القنصل الفرنسي في عدن عام 1859 بشراء منطقة ساحلية تقع جنوبي خليج (تاجورة)، لكن سرعان ما استغلت السلطات الفرنسية حادث مقتل قنصلها على الشواطئ الصومالية في العام ذاته ذريعة للتدخل في الشأن الصومالي، بعد ذلك عقدت فرنسا معاهدة مع الشيخ ديني أحمد أبو بكر في 11 آذار 1862 عرفت بمعاهدة (أوبوك) تم بمقتضاها تنازل الشيخ لفرنسا عن ميناء أوبوك مقابل مبلغ (10.000) ريال يدفع نصفها عند تصديق المشايخ على المعاهدة والنصف الاخر بعد ثلاثة أشهر[2].

وفي 9 نسيان 1884 عقدت فرنسا معاهدة صداقة مع سلطان (قبة الخراب) على الطرف الاخر من خليج تاجورة، وفي 25 أيلول 1884 تمكنت فرنسا من احتلال ميناء تاجورة بعد خروج القوات المصرية منه ولم تمض ثلاث سنوات حتى أسست لها عام (1887) قاعدة جديدة عند رأس جيبوتي بسبب أهمية الأخيرة ووقوعها على البحر الأحمر. ومنذ عام (1890) أصبح ميناء جيبوتي عاصمة لمستعمرات فرنسا في الصومال[3].

اعتمدت السلطات الفرنسية حيال الصومال سياسة تقوم على القمع والاضطهاد، ولم تسمح بتأسيس أيِّ أحزاب، كما عارضت منح الصومال حكماً ذاتياً وحاربت التعليم، ومنعت اقامة أيِّ مدارس عدا تلك التي أسستها الإرساليات التنصيرية، والتي قامت بنشاط واسع النطاق بين مسلمي الصومال[4].

ومع قدوم سنة (1945) انتخب محمد حربي رئيساً لفرع حزب وحدة الشباب الصومالي في جيبوتي، وبعد عامين تأسست أول نقابة للعمال في الصومال الفرنسي وسرعان ما ازداد نشاطها حتى غدت قوة سياسية انبثق عنها حزب الاتحاد الجمهوري والذي دعا إلى وحدة

1 سيد أحمد خليفة، جيبوتي وما حولها، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، (الكويت، د.ت)، ص27.

2 جلال يحيى ومحمد نضر مهنا، مشكلة القرن الأفريقي وقضية شعب الصومال، دار المعارف، (الاسكندرية، 1981)، ص ص 53–54.

3 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص ص 468–469.

4 محمد عبد المنعم يونس، الصومال وطناً وشعباً، ط1، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1962)، ص210.

الأراضي الصومالية في ظل نظام جمهوري[1].

وفي سنة (1950) تأسس أول مجلس تشريعي في الصومال الفرنسي وكان نصف أعضائه من الصوماليين والنصف الآخر من المستوطنين، وأسفرت الانتخابات التي اجريت عن فوز جميع مرشحي حزب الاتحاد الجمهوري[2].

قامت السلطات الفرنسية سنة (1956) بإجراء استفتاء شعبي لاختيار ممثل الصومال في الجمعية الفرنسية، وفاز بالمنصب محمود حربي، وإزاء استمرار المطالبة بالاستقلال اضطر الفرنسيون إلى إصدار قانون يمنح جميع المستعمرات الفرنسية حق تشكيل حكومات محلية، وفي الوقت ذاته حل المجلس القديم ودخل كل من حزب الاتحاد الجمهوري والحزب الوطني المعركة الانتخابية، وفاز حزب الاتحاد الجمهوري بجميع مقاعد المجلس التشريعي وألف محمود حربي أول وزارة صومالية وكان جميع اعضائها من الصوماليين[3].

وفي السنة نفسها قامت انتفاضة عمالية عندما رفض العمال الصوماليين العمل مع شركة (انكودا) الصهيونية تضامناً مع شعب مصر، ونتج عن ذلك نسف العمال لشركة اللحوم الصهيونية وتعطلت البواخر في الموانئ وحدثت اشتباكات بين المتظاهرين وقوات الشرطة وسقط الكثير من القتلى والجرحى وكانت فاطمة فارح أولى شهيدات المظاهرة، وقام محمود حربي يعاونه المجلس التشريعي بطرد شركة (انكودا) من جيبوتي وإعادة العمال إلى اعمالهم[4].

وبعد تولي الجنرال ديغول (De Gaulle) (1958-1970) للحكم في فرنسا منح المستعمرات الفرنسية حرية الاختيار بين قبول دستوره الجديد وبين رفضه، فقاد محمود حربي حملة معادية للدستور، وجاءت نتائج الاستفتاء رافضة للدستور، مما حدا بالسلطات الفرنسية إلى اعتماد العنف والتزوير لنتائج الانتخابات كما قامت باستبدال حاكمها في الصومال بحاكم آخر جديد[5].

وانعكست نتائج التزوير على الشارع الجيبوتي فاندلعت مظاهرات صاخبة حدثت خلالها

1 المصدر نفسه، ص210.
2 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص470.
3 يونس، المصدر السابق، ص ص 210-211.
4 حسن محمد جوهر وآخرون، الصومال، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1965)، ص ص 105-106.
5 خليفة، المصدر السابق، ص29.

أعمال عنف واشتباكات بين المتظاهرين والقوات الفرنسية أدت إلى جرح واستشهاد المئات، وعلى أثر هذه الأحداث قدم محمود حربي استقالته للحكومة وقبلتها السلطات الفرنسية على الفور. وأقامت الأخيرة حكماً عسكرياً وأجرت انتخابات لتشكيل مجلس تشريعي وكون محمود حربي وثلاثة عشر عضواً آخرين جبهة داخلية للمعارضة في المجلس[1]. تلا ذلك تأسيس (جبهة تحرير الساحل الصومالي) في جيبوتي والتي ضمت الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والجمعيات المحلية.

وفي أوائل آذار (1963) اعتقلت السلطات الفرنسية سبعة من الزعماء الوطنيين، وفي سنة (1965) اصدرت الجبهة بياناً نددت فيه بالممارسات الوحشية التي تقوم بها السلطات الفرنسية في الصومال، كما بعثت الجبهة بنسخة من البيان إلى الأمين العام للأمم المتحدة وأشارت فيه إلى عمليات انتهاك حقوق الإنسان وخرق الفرنسيين لميثاق الأمم المتحدة، وطالبت الجبهة بتشكيل لجنة تقصي حقائق ودعت إلى احترام الحريات الديمقراطية وجلاء المستعمرين[2].

وخلال السنة ذاتها قتل محمود حربي في حادث تحطم طائرته مما آثار الشعب الصومالي، أثناء قيامه برحلة بين جنيف والقاهرة، وعلى ما يبدو أن سقوط الطائرة التي تقله والتابعة للخطوط الجوية المصرية لم يكن أمراً عفوياً لأن رحلات محمود حربي بين جنيف والقاهرة وبكين كانت تهدف إلى تعبئة الموارد العسكرية والمادية لإنشاء جيش وطني لتحرير الصومال والقيام بأعباء الاستقلال بعد جلاء المستعمر[3].

وأثناء زيارة الجنرال ديغول للصومال يوم 31 آب 1966 استقبل بالمظاهرات وطالبت لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية[4] بإجراء محادثات بين حكومة فرنسا وقيادات الحركة الوطنية في الصومال الفرنسي[5].

أصدرت فرنسا في 19 آذار 1967 القانون الأساس والذي أصبح بموجبه الساحل الصومالي ضمن إطار الجمهورية الفرنسية، مع استقلال الإقليم مالياً، فضلاً عن وجود تمثيل للصومال في كل من البرلمان الفرنسي والمجلس الاقتصادي والاجتماعي. مع تقديم فرنسا مساعدات مالية تعادل (1، 2) مليون جنيه إسترليني سنوياً، بالمقابل يتقاضى موظفو الحكومة

1 يونس، المصدر السابق، ص212.
2 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص471.
3 خليفة، المصدر السابق، ص31.
4 منظمة إقليمية تعمل في إطار القارة الأفريقية تأسست سنة 1963.
5 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص472.

من الفرنسيين في جيبوتي مرتباتهم من السلطة الصومالية.

أما شكل الحكم فقد حدده القانون الأساس بمجلسين (مجلس الحكومة) و(مجلس النواب) ويتكون الأول من رئيس يساعده ما بين 6–8 وزراء، أما مجلس النواب فيتكون من (40) عضواً بينهم أربعة فرنسيين وينتخب لمدة أربع سنوات وتولى علي عارف رئاسة الحكومة في جيبوتي[1].

وما إن جاءت سنة 1975 حتى منح الصومال استقلالاً ذاتياً مع احتفاظ فرنسا بوجود عسكري لها في الإقليم، واستقال الرئيس علي عارف من منصبه، وفي العام التالي 1976 منح الصومال الفرنسي استقلالاً باسم جيبوتي، والتي انضمت إلى جامعة الدول العربية ثم إلى منظمة الوحدة الافريقية[2].

الصومال الإيطالي

يتوسط الصومال الإيطالي المنطقة الواقعة بين أثيوبيا من جهة والصومال البريطاني ومن جهة أخرى، وتبلغ مساحته زهاء (000، 490) كم^2 [3].

التقسيم الاداري

يقسم الصومال الإيطالي إلى ست مديريات هي:

1 – **مديرية ميجورتين:** وتقع أقصى شمال البلاد وتطل على خليج عدن والمحيط الهندي، وتتسم بقلة المراعي، أما منتجاتها فهي البخور والصمغ وتعد (بندر قاسم) مركزاً لها.

2 – **مديرية مدق:** وهي إلى الجنوب من مديرية ميجورتين، وتبرز كهضبة يبلغ ارتفاعها (600م) ومعظم سكانها من قبيلة الهاوية ومركزها (جالكاعيو).

3 – **مديرية حيران:** مدينة داخلية يفصلها عن ساحل المحيط الهندي مديرية بنادر وسكانها من قبيلة الهاوية أيضاً ومركزها (بلدوين).

4 – **مديرية بنادر:** وتطل على المحيط الهندي على هيئة شريط ساحلي، وأهم مدنها

1 خليفة، المصدر السابق، ص25.
2 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص474.
3 المصدر نفسه، ص477.

العاصمة (مقديشو) وهي مقر الحكومة.

5 - **مديرية جوبا العليا:** أكبر المديريات مساحة وتكثر فيها الغابات وهي أكثر المديريات سكاناً ناهيك عن كونها مدينة داخلية لا تطل على ساحل ومركزها بيضوه.

6 - **مديرية جوبا السفلى:** وتقع أقصى الجنوب على الحدود مع كينيا وأهم موانئها (قسمايو) وأهم مدنها (مرجريتا) التي تقع على نهر جوبا[1].

الاستعمار الإيطالي للصومال

شجعت بريطانيا الحكومة الإيطالية على احتلال الجزء الصومالي الواقع على المحيط الهندي، وقد رحبت إيطاليا بهذا الأمر لزيادة رقعة مستعمراتها في شرق إفريقيا، وجاء هذا التشجيع البريطاني بهدف الحد من التوسع الفرنسي في المنطقة[2].

قامت إيطاليا بفرض حمايتها على سلطتي (اوبيا) و(ميجورتين) الصوماليتين منذ سنة 1889، وأعقب ذلك قيامها بإجراء اتصالات مع سلطان زنجبار خليفة بن سعيد (1888-1890) والذي كان يسيطر على إقليم (بنادر). وفي سنة (1892) نجحت السلطات الإيطالية بالتوصل إلى اتفاق مع حاكم (زنجبار) منحت بموجبه إيطاليا حق إدارة مدن وموانئ (براوة ومركا ومقديشو) والمناطق المحيطة بهم لمسافة عشرة أميال مع منحها حق شراء وامتلاك الأراضي وكانت مدة الاتفاق خمساً وعشرين سنة قابلة للتجديد لمدة مماثلة[3].

وبسبب ضعف سلطة حاكم زنجبار أعلن الإيطاليون سنة (1896) الحماية على الصومال، وفي عام 1905 تم توقيع اتفاقية بريطانية إيطالية اشترت بموجبها الأخيرة ساحل (بنادر) مقابل مبلغ (144) الف ليرة إيطالية، وهذا وكما يقال «أعطى من لا يملك إلى من لا يستحق».

واستأجرت إيطاليا من بريطانيا في العام نفسه الأراضي القريبة من ميناء (قسمايو)، وفي عام 1908 وحدت إيطاليا جميع الأراضي الواقعة تحت نفوذها وشكلت جهازاً إدارياً مكوناً من موظفين إيطاليين مقيمين في الصومال[4].

1 يونس، المصدر السابق، ص ص 62-64.
2 المصدر نفسه، ص49.
3 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص477.
4 المصدر نفسه، ص477.

الإجراءات الإيطالية في الصومال

1 – زيادة اعداد المستوطنين الإيطاليين فبعد أن كان عددهم سنة 1931 (1630) نسمة أصبح بعد عشر سنوات قرابة (8,000) نسمة.

2 – منع الصوماليين من ارتياد المناطق التي يرتادها الإيطاليون، كما فرضت عقوبات على الإيطاليين الذين ينجبون أولاداً من نساء أفريقيات لأن أطفال الصوماليات لا يرقون بحسب وجهة النظر الإيطالية إلى درجة الإيطالي.

3 – فرض العقوبات الجماعية على العائلة والقبيلة إذا ما ارتكب أحد أبنائها جرماً أو سرق[1].

4 – فرضوا على الصوماليين أداء التحية للإيطاليين على الطريقة النازية وأجبروهم على أداء التحية للمرأة الإيطالية، وإذا كانت تحمل جنيناً فعليهم أداء التحية مرتين.

5 – دية الصومالي في حال قتل على يد الإيطالي عمداً أن يضع في جيب القتيل مبلغ (150) شلن أي ما يعادل سبعة جنيهات ونصف ثم يمضي القاتل في طريقه تاركاً الضحية.

6 – في مواسم الأمطار يجبر الصومالي على حمل الإيطالي على صدره أو على كتفه ويعبر به الطريق من جانب إلى آخر.

7 – استئثار الإيطاليين بالمناصب المهمة كافة في الصومال.

8 – استغلال واستنزاف خيرات الصومال وثراوته السمكية والمعدنية وتصديرها إلى الخارج.

9 – إجبار الصوماليين على أعمال السخرة وشق الطرق خدمة للمصالح الإيطالية[2].

10 – الاستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة والقريبة من مصادر المياه.

11 – تحويل الصومال إلى سوق للبضائع الإيطالية المتمتعة بالحماية الجمركية[3].

12 – رفع نسبة الضرائب المفروضة على المنتجات الصومالية كالجلود والحبوب

1 يحيى ومهنا، المصدر السابق، ص ص 509–510.
2 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص478.
3 المصدر نفسه، ص479.

ومستلزمات الحياة اليومية للمواطن الصومالي[1].

الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على الصومال الإيطالي

كانت إيطاليا ابان الحرب العالمية الأولى قد وقفت إلى جانب الحلفاء ورداً على هذا الموقف قامت بريطانيا سنة 1924 بمنح الإيطاليين مساحة (33,000) ميل مربع من منطقة الجوبا نظير اشتراكها في الحرب[2].

لكن الموقف تغير في الحرب العالمية الثانية حيث اشتركت إيطاليا الفاشية إلى جانب ألمانيا النازية في الحرب ضد الحلفاء ورداً على ذلك قامت القوات البريطانية سنة 1941 باحتلال الصومال الإيطالي عن طريق ميناء (قسمايو)، وبقيت بريطانيا تحكم البلاد عسكرياً، كما عقدت السلطات البريطانية اتفاقية مع الامبراطور الأثيوبي (هيلاسلاسي) في 31 كانون الثاني 1942، تم على أثرها وضع منطقة (أوجادين) تحت الإدارة العسكرية البريطانية[3]، ثم قامت بريطانيا بموجب اتفاق آخر عقدته مع أثيوبيا في 19 كانون الأول 1944 بالتنازل عن منطقة أوجادين لصالح حكومة (هيلاسلاسي)[4].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أبرم الحلفاء سنة (1947) معاهدة صلح مع إيطاليا نصت على أن تتولى كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي -السابق- التصرف في المستعمرات الإيطالية، وبسبب عدم توصل الدول السابقة إلى اتفاق بشأن المستعمرات، تم تحويل الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة والتي أقرت بدورها بأن تقوم إيطاليا بإدارة الصومال (الإيطالي) بأسم الأمم المتحدة لمدة وصاية امدها عشرة سنوات تبدأ من 2 كانون الأول 1950 [5].

الصومال البريطاني

الموقع والسكان

يقع الصومال البريطاني بين خليج عدن وأثيوبيا وبين الصومال الإيطالي وتبلغ مساحته

1 يحيى ومهنا، المصدر السابق، ص508.
2 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص478.
3 يحيى ومهنا، المصدر السابق، ص 512.
4 يونس، المصدر السابق، ص70.
5 المصدر نفسه، ص ص71-72.

(176,000) كم² [1] ويشكل مع الصومال الإيطالي مساحة تقدر بـ (637,600) كم² وبلغ عدد سكانه سنة 2002 (9,600,000) نسمة[2].

وقد اختلط سكان المنطقة بالعرب منذ أقدم العصور وهاجرت قبائل عربية إلى الصومال والإسلام هو دين الدولة الرسمي حيث يشكل المسلمون أكثر من 99% من السكان[3].

أما أهم ما ينتجه هذا الجزء من الصومال فهي الذرة والسمسم والموز وتبلغ ثروتها الحيوانية قرابة (1 ، 5) مليون رأس من الابقار و (8 ، 6) مليوناً من الجمال و (5 ، 13) مليوناً من الأغنام و (20) مليوناً من الماعز لكن الصومال ضعيفة من ناحية المواد المنجمية أو القطاعات الصناعية الكبرى[4].

أما على الصعيد التاريخي فقد خضع الصومال لنفوذ الدولة العثمانية وتلقى سلطان الصومال الدعم العثماني ضد حاكم الحبشة. انتقلت إدارة الصومال في الفترة اللاحقة إلى مصر في عهد محمد علي وكانت مدينة (هرر) مقر إقامة الحاكم المصري في الصومال[5] وقد تدهورت أوضاع مصر الاقتصادية في عهد خلفاء محمد علي، مما دفع مصر إلى بيع اسهمها في قناة السويس إلى بريطانيا. وقد استغلت الأخيرة هذا التدهور للتدخل في الشأن المصري حتى وصل الأمر إلى احتلال مصر سنة (1882) [6] بعد ذلك أجبرت بريطانيا مصر على الخروج من السواحل الصومالية تحت الضغط البريطاني والافلاس المالي[7].

الاحتلال البريطاني للصومال

هيأت بريطانيا لاحتلال الصومال من خلال قيامها بعقد عدد من المعاهدات مع بعض زعماء القبائل الصومالية بهدف حمايتهم بين غامي 1884 و 1886 وبذلك حلت بريطانيا محل مصر[8] وأسست لها مستعمرة هناك. وقد أدى ذلك إلى احتجاج الدولة العثمانية صاحبة

1 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص474.
2 أبو خليل، المصدر السابق، ص69.
3 الهمشري وآخرون، المصدر السابق، ص ص 29-30.
4 أبو خليل، المصدر السابق، ص 69.
5 البغا، المصدر السابق، ص 109.
6 العدول وآخرون، المصدر السابق، ص474.
7 عايدة العلي سري الدين، السودان والنيل بين مطرقه الانفصال والسندان الإسرائيلي، ط1، دار الافاق الجديدة، (بيروت، 1998)، ص85.
8 المصدر نفسه، ص86.

السيادة الشرعية في الصومال ، وفي 20 تموز 1887 أعلنت بريطانيا الحماية على الصومال البريطاني ووضعت كافة إمكانات الأخير في خدمة مستعمرة عدن . وقد تولت حكومة الهند البريطانية إدارة الصومال البريطاني خلال الفترة 1884 حتى 1898 ومن ثم أنيطت ادارته بوزارة المستعمرات البريطانية[1] .

ثورة محمد عبد الله حسن

أعلن محمد عبد الله أحد زعماء الصومال الثورة على البريطانيين سنة 1899 واتخذ من جنوب شرقي الصومال قاعدة لثورته ، وقد نجحت الثورة في تحرير ميناء (إيلج) على المحيط الهندي مما يسر له تلقي الامدادات من الجزيرة العربية وقد نجح الثوار خلال عشرين عام من تحرير معظم الأراضي الصومالية وابعاد البريطانيين عن السواحل[2] وكانت معارك (افيكيلة وويل حر وعان حركله وبرطكة وبربرة واوك من أشهرها)[3] وقد اعتمد الاحتلال البريطاني على القصف اليومي بالطائرات لمناطق الثوار مع الاستعانة بكل من جنوب أفريقيا وأثيوبيا فخلال المدة من (1900–1904) كان الجيش الأثيوبي يساعد قوات الاحتلال البريطاني[4] غير أن جهودهم باءت بالفشل ومنيت بريطانيا بخسائر في الارواح والأموال ، وفي 5 آذار 1905 توصلت إيطاليا إلى عقد اتفاقية للصلح مع محمد عبد الله حسن شملت خمس مواد أهمها تنازل إيطاليا له عن السواحل الواقعة بين (كرعد وكبع) وانسحاب البريطانيين عن (نفال) وقعها عن الجانب الصومالي محمد عبد الله وعن الجانب الإيطالي كفليبري المبعوث الخاص الإيطالي[5] . هدأت الساحة لبرهة ، لكن ما لبثت أن عادت الاشتباكات مع القوات البريطانية سنة 1913 وتراجعت بريطانيا عقب مقتل الجنرال رتشارد كورنفيلد (Richard Kornfeld)[6] .

التآمر البريطاني – الأثيوبي

كان الاحتلال البريطاني وكما أشرنا سابقاً قد وقع مع أثيوبيا في سنة (1942) اتفاقية وضع بموجبها منطقة اوجادين تحت الإدارة العسكرية البريطانية ، وقد تم تجديد الاتفاقية سنة

1 العدول وآخرون ، المصدر السابق ، ص475 .
2 المصدر نفسه ، ص475 .
3 محمد فريد السيد حجاج ، صفحات من تاريخ الصومال ، دار المعارف ، (القاهرة ، د . ت) ، ص48 .
4 سري الدين ، المصدر السابق ، ص91 .
5 حجاج ، المصدر السابق ، ص ص 50–51 .
6 العدول وآخرون ، المصدر السابق ، ص 476 .

1944 وتضمنت استمرار السيطرة العسكرية البريطانية على إقليم أوجادين لمدة عشر سنوات ثـم تتخلـى الأخيرة عنـه لأثيوبيا . وهذا ما دفـع بالكثير من الأحزاب والحركات السياسـية إلى الظهور وكان حزب الرابطة الصـومالية أبرزها وقد دعا إلى اسـتقلال الصـومال ووحدة أراضيه[1] .

ومـا إن جاءت سـنة (1948) حتى اقدمت بريطانيا على التنـازل عن الإشراف عن إقليم أوجادين لأثيوبيا ، وقامت الأخيرة باستكمال السيطرة على ما تبقى من الأقليم عام (1954) وتبلغ مسـاحة الإقليم (200) ألف كم2 وهـو الآن الإقليم الخامس من جمهورية أثيوبيا وقد أخذ اسمه من عشيرة أوجادين إحدى أكبر العشائر الصومالية[2] .

واعتمدت السلطات الأثيوبية عدة وسائل للضغط على المسلمين ، وقد أشارت إلى ذلك تصريحات الامبراطور (هيلاسلاسـي) ، ففي اثنـاء زيارته إلى الولايـات المتحدة الأمريكية صرح قائلاً: "إن أهم الأهداف التي نسعى إليها توحيد الدين واللغة في بلادنا وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئاً من التقدم" وحين سئل عن المسلمين قال: "نعم توجد هناك أغلبية مسلمة (إقليم هرر) اعتنقت الإسـلام بتأثير الأجانب وقد وضـعنا لها برامج منذ اثني عشر عاماً فلا يمضي وقت طويل إلا وقد عادت إلى حضيرة دين آبائها"[3] .

استقلال الصومال

أعلنت وزارة المسـتعمرات البريطانية استعدادها لمنح الصـومال البريطاني الاستقلال قبل الأول مـن تمـوز 1960 ، وكان مندوب بريطانيا في مجلس الوصـاية أول مـن نادى باتحاد الصـومالين البريطاني والإيطالي في دولة واحدة على أمل أن تنظم الأخيرة إلى الكومنولث[4] البريطاني . واتفقت القيادات الصومالية في القسمين البريطاني والإيطالي على الاتحاد يوم 16 نيسان 1960 وتكوين جمهورية ديمقراطية . وبعد حصول الصومال البريطاني على الاستقلال يوم 26 حزيران 1960 وإعلان اسـتقلال الصـومال الإيطالي يوم 1 تموز 1960 ، أعلن عن ميلاد الصـومال الجديد كدولة تم قبولها عضـواً في الأمم المتحدة وتولي آدن عبد الله عثمان (1960–1967) رئيس حزب الوحدة ورئيس الجمعية التشريعية السـابق رئاسة الجمهورية ،

1 أحمد ، المصدر السابق ، ص ص 242–243 .
2 الخوند ، المصدر السابق ، ص57 .
3 البغا ، المصدر السابق ، ص111 .
4 الكومنولث:

وعهد للدكتور عبد الرشيد علي شير ماركي برئاسة أول وزارة في حكومة الصومال[1].

تلا إعلان الاستقلال وضع دستور للدولة الفتية واتخذت لها علماً مكون من اللون الازرق تتوسطه نجمة بيضاء خماسية تشير إلى أقاليم الصومال الخمسة، وقد نصت المادة السادسة من الدستور الصومالي على ضرورة تحقيق وحدة الأراضي الصومالية، وبدأت الصومال تحركها الدبلوماسي لهذا الغرض، وفي مؤتمر القمة التأسيسية لمنظمة الوحدة الأفريقية والمنعقد في (أديس أبابا) في الأول من آيار (1963) نص على عدم الموافقة على وحدة الأراضي الصومالية، ثم جاء قرار القمة الأول للمنظمة ذاتها في القاهرة في كانون الثاني 1964 يقضي بعدم المساس بالحدود القائمة عند إعلان إنشاء المنظمة. وهذا ما سيدفع الصومال إلى اعتماد الحل العسكري إعادة إقليم الأوجادين[2].

الصراع الصومالي – الإثيوبي

اتسمت العلاقات الصومالية الإثيوبية للفترة من (1961 وحتى 1977) بالتوتر مع حدوث المناوشات العسكرية وكانت جمهورية الصومال تحضى في تلك المدة باهتمام ومساعدة الاتحاد السوفيتي[3]، لكن الموقف السوفيتي تغير وأظهر ميله صوب الجارة أثيوبيا لأسباب كان منها على ما يبدو تراجع النفوذ الأمريكي في أثيوبيا بعد انتصار التيار الراديكالي داخل الحكم العسكري الإثيوبي[4] والذي اقدم في تموز 1977 على طرد البعثة العسكرية الأمريكية (M.A.G.K) والتي كانت تعمل على تدريب القوات المسلحة الأثيوبية[5].

وقد حاولت القيادة السوفيتية تحسين العلاقات بين حلفائها من الصوماليين والأثيوبيين، وزار الرئيس السوفيتي بودجورني (1977-1982) (Podgorny) في آذار 1977 كلاً من مقديشو وأديس أبابا ونصح البلدين بإقامة اتحاد فيدرالي يضم كلاً من أثيوبيا والصومال وعدن لكن جهوده لم تفلح[6].

1 يحيى ومهنا، المصدر السابق، ص ص 537-539.
2 «الحرب الأهلية في الصومال» النص الكامل للتقرير متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع: www.maqatel.com
3 سري الدين، المصدر السابق، ص108.
4 فتحية النبراوي ومحمد نضر مهنا، قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، ط1، دار المعارف، (الإسكندرية، 1983)، ص247.
5 الحرب الأهلية في الصومال.
6 النبراوي ومهنا، المصدر السابق، ص247.

وكان الحدث الابرز الذي دق اسفينه في نعش العلاقات الصومالية السوفيتية هو قيام جبهة تحرير الصومال الغربي يساندها الجيش الصومالي بشن هجوم مشترك يوم 12 تموز (1977) دون علم الاتحاد السوفيتي ونتج عن العملية تحرير 90% من أراضي إقليم الأوجادين ووصول القوات الصومالية مشارف مدينة هرر[1] .

وهذا ما حدا بالاتحاد السوفيتي لتقديم دعمه لأثيوبيا بالأسلحة وقيامه بمد جسر جوي لنقل القوات والمعدات إلى أثيوبيا ، ورداً على ذلك قامت السلطات الصومالية في 13 تشرين الثاني (1977) بطرد الخبراء السوفيت والغاء معاهدة الصداقة الصومالية – السوفيتية[2] .

وفي الأسبوع الأخير من كانون الثاني 1978 عقد مؤتمر حضره كل من الجنرال كولياكوف مسؤول العمليات السوفيتية في أفريقيا مع خمسة جنرالات سوفيت ، ووزير الدفاع الكوبي راؤول كاسترو ونائبه مع وفد عسكري من عشرة ضباط ، ومجموعة من كبار ضباط المانيا الشرقية ، ورئيس اركان القوات المسلحة في اليمن الجنوبي ، وجرى التخطيط لشن هجوم على الصومال من عدة محاور بهدف استعادة اقليم الاوجادين . ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الليبية امدت قوات الحلف بعدد من الدبابات إيطالية الصنع والتي استخدمت في الهجوم على مدينة (جيججيجا)[3] .

بالمقابل قامت الدول العربية بحملة دبلوماسية بهدف جذب الصومال إلى المعسكر العربي ، وقدمت لذلك المساعدات المالية والاسلحة ، كما ادان وزراء الخارجية العرب في اجتماع الجامعة العربية في القاهرة يوم 29 آذار (1978) العدوان الذي قامت به القوات السوفيتية والكوبية ضد الصومال ، ودعوا تلك القوات إلى الانسحاب الفوري ، بهدف التوصل إلى تسوية سلمية في المنطقة كما أعلنوا قرارهم بتقديم المعونات للصومال[4] .

وقد استمرت الحرب بين البلدين حتى وقوع عدة تطورات على الساحة الدولية اثرت في العلاقة بينهما ، فقد شكل انهيار الاتحاد السوفيتي سنة (1990) والإنزال الأمريكي في الصومال (1993) نقطة تحول دفعت سكان اقليم الاوجادين إلى إلغاء النشاط المسلح والتراجع عن المطالبة بالاستقلال ، واجراء انتخابات لسلطات الحكم الذاتي ، وقد حصلت

1 الحرب الأهلية في الصومال .
2 يحيى ومهنا ، المصدر السابق ، ص ص 574–575 .
3 الحرب الأهلية في الصومال .
4 سري الدين ، المصدر السابق ، ص109 .

الجبهــة الوطنية لتحرير أوجادين علــى غالبية مقاعد البرلمــان (144) مقعد كما هيمنت على مقاعد مجلس الوزراء الإقليمي وانتخب عبد الله محمد سعدي رئيساً لسلطات الحكم الذاتي وزياد بدري محمد نائباً له سنة (1993) [1].

1 الخوند، المصدر السابق، ص ص57-58.

رابعاً: قضية كشمير

دخول الإسلام إلى الهند:

لقد مر فتح الهند على يد المسلمين بمراحل طويلة ابتدأت بحملات عسكرية منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، إذ أرسل إليها المغيرة بن أبي العاص، وأرسل الخليفة عثمان بن العفان –رضي الله عنه– حكم بن جبلة العبدي ليتقصى إخبارها وأحوال أهلها، وفي عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– أرسل إليها الحارث بن مرة العبدي سنة (38هـ)، وما ان جاءت الدولة الأموية حتى أولت أقاليم الشرق اهتمامها، حيث وصل المغيرة بن شعبة سنة (44هـ) إلى مدينة بنا ولاهور وهي من مدن كابل[1] وتوالت حملات المسلمين طوال العهد الأموي حتى فتحت السند على يد محمد بن القاسم الثقفي[2] وعلى الرغم من بلوغ محمد بن القاسم حدود كشمير إلا أن التوغل الإسلامي في شبه القارة الهندية لم يبدأ حتى مجيء الغزنويين إلى الحكم في عهد محمود الغزنوني ومن قبله والده سيكتكين (388–558هـ)[3].

وقد اهتم الغزنويون اجمالاً بنشر الإسلام في الهند وأقاموا المساجد في المناطق المفتوحة، وتركوا فيها الدعاة ليعلموا أهلها أمور الدين. وتتابعت الدول الإسلامية التي حكمت الهند فتلا الغزنويون الغوريين في عهد محمد الغوري وأقبلوا على الهند (588هـ) واستمروا في حكمها حتى سنة 597هـ وتلاهم المماليك بعد أن قتل السلطان محمد الغوري سنة (602هـ)، وجاءت بعدها الدولة الخلجية سنة (1290هـ) وحكمها جلال الدين فيروز، وقد شجع الخلجيون الناس على اعتناق الإسلام بان سنوا عادة تقديم الشخص الذي أسلم حديثاً إلى السلطان حيث كان يكسوه كسوة حسنة ويعطيه قلادة وأساور من ذهب، وجاهدوا كذلك جهاداً دائباً لرفع راية الإسلام عالياً في شبه القارة الهندية. وما أن انتقل الحكم إلى الدولة التغلقية (1321–1414) م حتى أعلن أشهر سلاطينها محمد تغلق عن تجديد علاقته بالخلافة العباسية في القاهرة. وقد خلفتها الدولة اللودهية وهي من الأسر الأفغانية ومن أشهر حكامها

1 أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، البلدان فتوحها وإحكامها، ط1، المكتبة العصرية، (بيروت، 2008)، ص 384.

2 عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41–132هـ/661–750م) دراسة سياسية، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (القاهرة، 2008)، ص ص 306–309.

3 تركي عبد مجيد السلماني، الفكر والسلوك السياسي عند ابي الحسن الندوي، ط1، دار العلم، (دمشق، 2004)، ص 25.

اسكندر شاه (1488–1517) وكان عالماً فاضلاً محباً للعلم وتقلصت في عهده العادات الجاهلية وقد أنشأ مدينة آجرا الحالية، واشتهر بالعدل وتوفير الأقوات وضبط الأسعار، وكان يأمر بين الحين والآخر بإحصاء الفقراء والمعوزين ويمنح كلاً ما يكفيه من المؤن لستة أشهر، كما عمل على نشر الإسلام في ربوع البلاد وهدم بعض المعابد الهندوسية[1]، وجاء دور المغول فدخل بابر[2] العاصمة الهندية دلهي سنة (1525م) بعد ما رأه من تفكك في الامارات الإسلامية والهندوسية على حد سواء، ناهيك عن النزاعات المستمرة، وفقدان حكومة العاصمة دلهي للسيطرة على البلاد وعدم قدرتها على حفظ وحدتها[3]، وخلال حكمه شق العديد من طرق المواصلات واقام المنارات على الطرق وانشأ الحدائق والبساتين وأقام العدل والمساواة بين الرعية مسلمين وهندوس[4].

لكن الأمور تغيرت عقب مجيء جلال الدين أكبر (1556–1650م) للحكم فعلى الرغم من إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية ورعايته للفلاحين والمظلومين، وحثه لولاته على إحسان معاملة الرعية وتحسين علاقته بالهندوس. لكنه وفي الجانب الآخر اعتمد في أواخر حكمه سياسة غريبة تجاه الدين والعبادة[5]. فظهرت في عهده البدع واعتمد سياسة معادية للإسلام فألغى التاريخ الهجري واستبدله بتاريخ جلوسه على العرش وسماه التاريخ (الأكبري)، ومنع ذبح البقر وحلل الخمور وأكل لحم الضواري والخنازير والنمور ومنع أداء فريضة الحج وتشير بعض الروايات بأنه ادعى الإلوهية وأوجب السجود له[6]، وأقام بيتا للمناقشات سماه (بيت العبادة) ودعا إليه رجال الدين سنة وشيعة للمناقشات.

ثم تطور الأمر بدعوة الهندوس والنصارى للاشتراك في الجلسات كما شجع على ترجمة كتب الهند المقدسة القديمة وقام بممارسة طقوس الهندوس، ومن ثم خرج ببدعة جديدة وهي إيجاد دين جديد يجمع خلاله كل ما هو حسن في جميع الأديان للوصول إلى السلام والأمن بحسب رأيه[7].

1 المصري، المصدر السابق، ص ص 325–329.
2 بابر: تعني النمر.
3 محمد سهيل طقوش، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2007)، ص ص 141–143.
4 المصري، المصدر السابق، ص 329–330.
5 طقوش، المصدر السابق، ص ص 227–228.
6 المصري، المصدر السابق، ص ص 330–331.
7 طقوش، المصدر السابق، ص ص 252–253.

وما إن ضعفت دولة المغول في الهند حتى سيطر السيخ على مناطقها وغزا المهراجا[1] رانجيت سنغ كشمير، وبعد ان مد البريطانيون حكمهم على الهند أقروا حكم المهراجا كولاب سنك في كشمير[2].

الهند تحت الحكم البريطاني:

بدأت المحاولات البريطانية الأولى للسيطرة على الهند في الربع الأخير من القرن السادس عشر ابتداءً مع زيارة توماس ستيفن (Thomas Stephen) وهو أستاذ في جامعة أكسفورد إلى الهند سنة 1579م وخطاباته التي أرسلها إلى انجلترا والتي فتحت شهية البريطانيين للتجارة مع الهند، وجاء تحطيم الأسطول البريطاني للأسطول البرتغالي الأرمادا سنة 1588م معززاً لثقة البريطانيين بأسطولهم البحري.

وبدأ النشاط البريطاني من خلال شركة الهند الشرقية فأرسلت خلال الفترة (1600-1612م) ما لا يقل عن 12 أسطولاً وقد نجح قائد الأسطول البريطاني توماس بيت (Thomas) سنة (1612م) في عقد اتفاق تجاري مع السلطة المحلية في سورات ثم صدق على الاتفاق. الإمبراطور المغولي وجاءت الخطوة الأبرز في تعيين ممثل دبلوماسي لبريطانيا في بلاد الإمبراطور المغولي 1615م وتولى هذا المنصب رجل السياسة والقضاء البريطاني توماس روي (Thomas rowe)[3].

وبعد مدة قصيرة تولت شركة الهند الشرقية الإشراف على المالية لأقاليم البنغال فضمن البريطانيون السيطرة على أغنى الأقاليم الهندية وأصبحت الشركة اقتصادية سياسية عسكرية تضاهي في قوتها أعظم الإمبراطوريات وأوسعها[4].

وبدأ البريطانيون بدعم حكمهم من خلال إنشاء المدارس أو عن طريق الحيلة أو الغزو وأخذ الهندوس يكيفون وضعهم بشكل طبيعي ويقدمون المساعدة للبريطانيين ويحاولون كسب ودهم، على خلاف المسلمين الذين زاد كرههم للوجود البريطاني، لأن الأخير لم ينس الروح المسيحية للحروب الصليبية فقد كتب اللورد النبرو (Alnbro) الحاكم العام للهند رسالة وجهها إلى الدوق ولينغتون (Wellingtion) في 14 تشرين الأول (1842م)، يشير

1 «ما هات» تعني باللغة السنسكريتية (العظيم) و «راجا» تعني الملك فهي «الملك العظيم».
2 سيد عبد المجيد بكر، الأقليّات المسلمة في آسيا وأستراليا، دار الأصفهاني للطباعة والنشر، (جدة، 1393هـ)، ص 232.
3 أرنولد ويلسون، تاريخ الخليج، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط1، دار الحكمة، (لندن، 2001)، ص ص 100-102.
4 المصري، المصدر السابق، ص 335.

فيها إلى رغبة المسلمين في هزيمة بريطانيا في افغانستان ، واشارت الرسالة إلى أن الهندوس كانوا يسرون لتوقع انتصار بريطانيا على المسلمين . وسرعان ما وجد البريطانيون الفرصة سانحة لإبادة المسلمين سياسياً واقتصادياً في ثورة (1857م) ، والتي نتج عنها تحطم قوة المسلمين السياسية وضاعت ممتلكاتهم واحرقت محاصيلهم ودمرت منازلهم وحرموا من الخدمات الحكومية ، على خلاف الهندوس الذين تمتعوا بحماية وثقة البريطانيين[1] .

بعد ذلك بدأ البريطانيون في اعتماد سياسة جديدة بهدف شق الصف الإسلامي وإبعاد المسلمين عن عقيدة الجهاد ، فظهرت للوجود دعوات كان من أبرزها ما عرف بالقاديانية ، التي أسسها ميرزا أحمد غلام والذي أظهر نفسه أول الأمر كداعية إسلامي خلال المدة (1880) حتى (1888) ومن ثم بدأ بأخذ البيعة من اتباعه ، وادعى في ثلثهُ لكل من المسيح الموعود -عليه السلام- والامام المهدي المنتظر وما إن جاءت سنة (1900) حتى اخذ اتباعه يلقبونه بالنبي ، وفي سنة 1901 اعلنها صراحة مدعياً انه النبي والرسول ناهيك عن كونه الكرشن (احد معبودي الهندوس) [2] .

ومن الجدير بالذكر أن القاديانين ايدوا البريطانيين ضد المسلمين ويقول ميرزا أحمد غُلام في كتابه ترياق القلوب: "لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر (البريطانيين) من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض ملأ خمسين خزانة"[3] .

ومنذ مطلع القرن العشرين اشتدت مطالبة الهنود بالقومية الهندية وبلغت ذروتها بين عامي (1905و 1909) ، فبدأت فكرة انفصال المسلمين عن الهندوس والتي غذاها البريطانيون لأنها تخدم مصالحهم وبدأت تأخذ طريقها إلى كتابات بعض المفكرين المسلمين ومن أبرزهم الروائي الصحفي عبد الحليم شرار والذي رأى ان تقسيم الهند هو الحل الوحيد لمسألة المسلمين والهندوس[4] .

عقب ذلك تأسست بعض الجمعيات الإسلامية كان اهمها الرابطة الإسلامية لعموم الهند

1 شريف المجاهد ، علمانية الهند ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 1989) ، ص ص 78-79.
2 أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي ، القاديانية ودعايتها الضالة والرد عليها ، ط1 ، المكتب الإسلامي (بيروت ، عمان ، 2010) ، ص46.
3 أبو الأعلى المودوي وآخرون ، القادياني والقاديانية دراسة وتحليل وعرض علمي ، ط2 ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق ، بيروت ، 2011) ، ص 213.
4 المصري ، المصدر السابق ، ص 340.

سنة (1906م) ومقرها مدينة بومباي بزعامة محمود الحسين وكان نشاطها سرياً. تلتها جمعية الخلافة والتي تأسست سنة (1920م) برئاسة كلام محمد فتو، لكنها غيرت مسارها عقب انضمام الهندوس إليها ومن ثم انضمامها إلى حزب المؤتمر الوطني. ومنذ سنة (1936م) قفز إلى زعامة (القومية المسلمة) في الهند محمد علي جناح[1]. وجاءت سنة (1937) لتحمل معها التغيير ففي السنة ذاتها انتقل الحكم في بعض مقاطعات الهند إلى الأهالي وبرزت النوايا السيئة حيال المسلمين فتنبه أبو الأعلى المودودي لذلك[2] وأسس مع 75 رجلاً في مدينة لاهور سنة 1941 الجماعة الإسلامية وانتخب المودودي اميراً لها[3].

وفي كانون الأول 1938م فوضت جامعة كل الهنود المسلمين محمد علي جناح للبحث في إمكانية وجود بديل يحمي بشكل كامل مصالح المسلمين وبقية الأقليّات في الهند، وقد شكلت الرابطة الإسلامية لجنة سنة 1939م لدراسة المخططات المطروحة والمخططات التي سيتم طرحها لهذا الغرض، ومع بداية 1940م بدأت السياسة الإسلامية تلعب دوراً أكثر أهمية فلم يعد المسلمون يرغبون في فيدرالية هندية، ففي الوقت الذي كان فيه حزب المؤتمر الوطني (الهندي) يؤكد على مسألة حق تقرير المصير، وعلى قدر انجذاب حزب المؤتمر الوطني نحو فكرة الهند الموحدة، فإن المسلمين كانوا منجذبين صوب فكرة الاستقلال الإسلامي[4].

وفي سنة (1940م) صدر قرار لاهور الذي نص على إقامة دولة إسلامية في الهند باسم (باكستان) ودولة هندوسية باسم (الهند)، وهذا ما أدى إلى وقوع احداث عنف قتل خلالها من المسلمين النساء والأطفال والشيوخ وهتكت الاعراض وهدمت المنازل وكانت (الجمعية الوطنية العظمى) التي تزعمها (تارا سنغ) هي من حمل لواء المذابح ضد المسلمين في البنجاب الشرقية. وبلغ عدد من قتل من المسلمين في مدينة باتيالا عاصمة السيخ ما لا يقل عن 114 ألف مسلم[5].

1 ويسمى بالقائد الأعظم مؤسس جمهورية باكستان ولد سنة 1876 بمدينة كراتشي من أسرة برهمية انتقلت إلى الإسلام توفي سنة 1948م، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية(الانترنت) على الموقع www.rohama.org

2 ولد في ولاية حيدر آباد سنة 1903 ألف العديد من الكتب في دحض النظريات الغربية كالاشتراكية والرأسمالية والعلمانية اسس الجماعة الإسلامية 1941م في لاهوار وتوفي سنة 1979م. توفيق الواعي، كبرى الجماعات الإسلامية الإصلاحية في العالم المعاصر، ج2، ط1، مؤسسة شروق للنشر والتوزيع، (المنصورة، 2006)، ص ص 611–631.

3 المعري، المصدر السابق، ص ص 342–343.

4 اشتياق حسين قريشي، سيرة ميلاد أمة، ترجمة: خليل جواد، ط1، مؤسسة علا للصحافة والطباعة والتوزيع، (دمشق، 2000) ص 111.

5 المعري، المصدر السابق، ص 345.

أجريت في الهند سنة (1946) انتخابات مجلس النواب المركزي وفاز خلالها حزب الرابطة الإسلامية، وإثناء الاحتفال بهذا الانتصار جرت عدة حوادث اعتداء قام بها الهندوس ضد المسلمين. فعلى الصعيد السياسي صرح سردار والابهاي بتيل مهدداً المسلمين بحرب اهلية في حال استمروا في إصرارهم على تكوين الباكستان، وميدانياً جرت عدة عمليات اعتداء على المسلمين كان أبرزها ما عرف بأحداث كلكتا. وقد راح جراء تلك الأحداث الآف المسلمين، ففي ليلة واحدة قامت السلطات البريطانية بانتشال 450 جثة من الشوارع، وقد اثبت التحقيق الرسمي تستر رجال الشرطة على تلك الحوادث[1].

قامت السلطات البريطانية في الهند بتقسيم الهند إلى (580) إمارة وقد نص قانون استقلال الهند في 15 آب (1948) على أخذ رأي الولايات في الانضمام إلى الهند أو إلى الباكستان، فانضمت اغلب الولايات إلى الهند وانضم عدد قليل لباكستان، أما كشمير فقد بقيت ولم تنضم لأي من الدولتين[2].

قضية كشمير... والخلاف الهندي - الباكستاني

كشمير بلد إسلامي يقع في الطرف الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية، وتحيط به الصين من الشمال والشرق وباكستان من الغرب والهند من الجنوب. وتبلغ مساحة كشمير (218) الف كم2، وتضم قرابة تسعة ملايين نسمة 90% منهم مسلمون، وتتكون من ثلاث مناطق هي: جمو وكشمير ومناطق الحدود وهي بلاد جبلية جميلة المناخ تكثر فيها الغابات والانهار، وتحظى بأهمية سياسية بالنسبة لموقعها الحساس والمتاخم لكل من الهند وافغانستان والباكستان والصين وروسيا[3].

وقد اختلفت الروايات في تاريخ دخول الإسلام إلى كشمير أو (قشمير) كما كانت تسمى فتشير بعض المصادر إلى ان الإسلام دخلها في القرن الثاني للهجرة عندما فتحها القائد هشام بن عمرو التغلبي والي الخليفة أبي جعفر المنصور (136-158هـ) على بلاد السند[4].

في الوقت الذي تشير فيه مصادر أخرى، إلى أنها دخلت الإسلام في عهد يمين الدولة

1 المجاهد، المصدر السابق، ص ص 96-98.

2 كامل أبو ضاهر، «مشكلة كشمير دراسة في الجغرافية السياسية» النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Site. lugaza. Edu

3 محمد حافظ الشريدة، «قضية كشمير» النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Najah. Edu.

4 المصدر نفسه.

محمود الغزنوي (سنة 407هـ/1016م) بعد ان قام بغزو الهند وخوارزم، وعند وصوله مشارف كشمير قدم عليه واليها واعلن إسلامه وسار مع قوات يمين الدولة حتى تم لهم فتح ما حولها من الولايات والحصون، ومنها حصن هودت ومدينة قنوج وقلاع البراهمة واسي وشيروة وغيرها[1].

كشمير واستقلال الهند

تأسس في كشمير سنة (1939م) حزب المؤتمر الوطني وانضم اليه الشيخ محمد عبدالله والملقب حينها بأسد كشمير وكان هدف الحزب خدمة مصالح المسلمين، في الوقت ذاته أيد اهالي كشمير دعوة محمد علي جناح لاستقلال باكستان، ووجدت الرابطة الإسلامية لها صدى داخل كشمير، وخلال زيارة جناح لكشمير ظهر تقارب بين حزب الرابطة الإسلامية وحزب المؤتمر الإسلامي، وهذا ما اقلق زعماء حزب المؤتمر الهندي واضعف مكانة الشيخ محمد عبد الله، كما ان اختيار الأخير من قبل المهراجا كوزير له أفقده الشعبية، وهذا ما أدى به إلى القيام بحركة عام (1946) دعا خلالها المهراجا إلى ترك كشمير، مؤسساً لحركة انزحوا عن كشمير مما ادى إلى اعتقاله والحكم عليه بالسجن لمدة تسعة سنوات، لكن وبعد استقلال الهند سنة (1947) تم الافراج عنه، وعين بعدها رئيساً للجنة الطوارئ ومن ثم اتفق مع كل من المهراجا وجواهر لال نهرو[2] على مناهضة فكرة ضم كشمير لباكستان، اما بقية زعماء حزب المؤتمر الإسلامي فتمسكوا بحقوقهم ودعوا إلى الجهاد سبيلاً للاستقلال من غير مهادنة ولا مساومة، واعرب المؤتمر الإسلامي في سرينكر عاصمة كشمير عن ارتياحه وسروره باستقلال باكستان واعلن انه من المحتم انضمام كشمير إليها، كما رفع اهالي كشمير اعلام باكستان تعبيراً عن رغبتهم في الانضمام إليها[3].

إجراءات هري سنغ وتفاقم الخلاف

تواطأ الأمير هري سنغ حاكم كشمير مع الهند، وحاول تأجيل موقفه من مسألة

1 «فتح كشمير ودخول الإسلام اليها» / الموسوعة التاريخية، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Dorar. Net

2 ولد نهرو في باكستان سنة 1889م وكان والده براهمانياً من أبنا الطبقة الهندوسية العليا، تلقى تعليمه في جامعة كامبرج ومدرسة هارو والجمعية الانكليزية (البار) عام 1912، عاد إلى الهند وعمل في المحماة، اودع السجن عدة مرات بسبب نشاطه السياسي، واصبح أول رئيس وزراء للهند سنة 1947م حتى وفاته سنة 1964م. ريتشارد نيكسون، القادة، ترجمة: خضر ابراهيم، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، (دمشق، 1986)، ص ص 382-383.

3 المصري، المصدر السابق، ص ص 352-353.

الانضمام ليظهر انه يتخذ موقف الحياد بين الهند وباكستان ، لكنه سرعان ما قام بتمزيق الاعلام الباكستانية التي رفعت وامر بإغلاق الصحف الموالية لباكستان ، وعمل على تقوية الحامية العسكرية والمكونة من السيخ والهندوس في المناطق الإسلامية ، واصدر اوامره في تموز (1947م) بتسليم المسلمين لأسلحتهم للشرطة وهذا ما حدا بالمسلمين إلى اعلان الثورة في اقليم بونش احد أكبر اقاليم كشمير والمتاخمة لحدود باكستان وكوّن الثوار حكومة كشمير الحرة (ازاد كشمير) برئاسة السردار محمد ابراهيم والتي استطاعت طرد قوات الولاية ، اما المهراجا فقد رد على ذلك بطرد الالاف من المسلمين من مقاطعة جامو إلى غرب البنجاب وتعرض الكثير منهم خلال عملية التهجير إلى القتل من قبل بعض عصابات السيخ[1] .

تطور الأحداث بهذا الشكل دفع برجال القبائل الباكستانيين والافغان إلى مساندة اخوانهم في كشمير ، وزُود ثوار كشمير بالأسلحة عبر الحدود وكان الدور الابرز في هذه العملية للمحامي محمد ابراهيم خان وهو ضابط سابق في جيش المهراجا ، وعضو الجمعية التشريعية لجامو وكشمير كان قد فر إلى باكستان وهناك انشأ قصراً حدودياً يهدف إلى تزويد الثوار بالأسلحة ، كما حاول الاتصال بمحمد جناح لكن الأخير رفض لقاءه ، فضلاً عن التحاق عدد من ضباط جيش المهراجا من المسلمين بإخوانهم ثوار كشمير مع ضباط باكستانيين من اصحاب الخبرة[2] .

وتداركاً للموقف المتأزم اجتمع في لاهور يوم 19 تشرين الأول (1947) محمد علي جناح واللورد مونتباتن (Mountbatten) واعتذر جواهر لال نهرو عن الحضور ، وقدم جناح خلال اللقاء عدة مقترحات لحل الازمة في كشمير اهمها انذار القوات المتحاربة في كشمير بالكف عن القتال خلال 48 ساعة وبخلافه تدخل قوات هندية باكستانية مشتركة لوقف القتال وبانسحاب قوات الهند والقبائل الباكستانية يجري استفتاء عاجل تحت اشراف كلا الدولتين لتقرير مصير كشمير وقد وعد اللورد مونتباتن بالرد على مقترحات جناح فور عودته إلى دلهي لكنه لم يف بوعده[3] .

وامام خطورة الموقف عزم جناح على دخول الجيش الباكستاني الأراضي الكشميرية

1 عبد الحميد البطريق ومحمد مصطفى عطا ، باكستان في ماضيها وحاضرها ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1955) ، ص 105 .
2 لاستر لامب ، كشمير ميراث متنازع عليه 1846–1990 ، ترجمة: سهيل زكار ، (د.م ، د.ت) ، ص ص 190–191 .
3 الخوند ، المصدر السابق ، ص ص 98–99 .

لحماية المسلمين لكن الفيلد مارشال كلودا (Claude) نصحه بعدم الإقدام على هذه الخطوة واخبره بان دخول القوات الهندية أراضي كشمير أمر لا غبار عليه بعد إقرار حاكمها بالانضمام للهند، وفي حال اقدام باكستان على التحرك فانه سيضطر لسحب الضباط البريطانيين من القوات الهندية والباكستانية، وهذا ما دفع جناح إلى الاكتفاء بإمداد القوات الموالية لباكستان بالأسلحة. عقب ذلك قدم جناح ولياقت علي خان[1] مقترحاً لحكومة الهند بإيقاف العمليات القتالية واصدار تصريح مفاده اجراء استفتاء تحت اشراف الحكومتين لكن حكومة الهند كانت ترى أن كشمير أصبحت جزءاً من أراضي الهند ومن ثم فالأخيرة هي من تقرر الاستفتاء[2].

وفي كانون الثاني (1948م) تقدمت الهند بشكوى إلى هيئة الأمم المتحدة تشير فيها إلى ان باكستان تعمل على تشجيع رجال القبائل لإثارة الفوضى في بلادها[3].

هيئة الأمم المتحدة والصراع على كشمير

ومنذ أواخر 1948 وبداية 1949 بدأت المفاوضات بين الجانبين الهندي والباكستاني انتهت بوقف إطلاق النار ابتداءً من 1 كانون الثاني 1949، وفي 17 تموز 1949 وقع ممثلوا الهند وباكستان اتفاقاً في مدينة كراتشي تم خلاله تحديد خط اطلاق النار في ولاية جاموا وكشمير، وقاد تلك المفاوضات (جواهر لال نهرو) عن الهند و(لياقت علي خان) عن باكستان بعد وفاة محمد علي جناح في أيلول (1948) [4].

عقب ذلك اقدمت الأمم المتحدة على تشكيل لجنة (UNCIP) من ثلاثة أعضاء ثم ارتفع العدد إلى خمسة أعضاء، وطالبت اللجنة بعد وقف اطلاق النار بإجراء مفاوضات تهدف إلى انسحاب رجال القبائل الباكستانيين وانسحاب كتلة القوات الهندية مع تحقيق وجود عسكري لقوات الأمم المتحدة (40–60) جندي محترف من الدول الأعضاء بقيادة جنرال عسكري كمراقب، وقد شغل هذا المنصب أول الأمر العميد الكندي هاري انغل (Harry Angle) والذي قضى في حادث جوي وخلفه في تلك المهمة الفريق الأسترالي روبرت نيموه

1 زعيم سياسي باكستاني ولد سنة 1895 درس بجامعة اكسفورد– أصبح رئيساً لوزراء باكستان بعد الاستقلال اغتيل سنة 1951م. النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Wikipedia. Org
2 البطريق وعطا، المصدر السابق، ص 106.
3 المصري، المصدر السابق، ص 355.
4 لامب، المصدر السابق، ص 245.

(Robert Nimmo) [1].

وقد عارض الجانب الباكستاني خطة الـ (UNCIP) لأسباب اهمها:

1 – أن الاستفتاء سيكون متأثرا بالشيخ محمد عبد الله الذي سبق له ان تولى رئاسة الوزارة في 5 اذار (1948).

2 – أن الاستفتاء سيكون تحت حماية القوات الهندية.

3 – أن الهند طولبت بسحب جزء من قواتها فقط في الوقت الذي طولبت فيه القوات المتعاطفة مع باكستان بالانسحاب الكامل[2].

اما الهند فقد اعطت موافقة حذرة ومقيدة جداً لخطة الـ(UNCIP)، لكنها بالمقابل أخذت تثير بعض المسائل من ضمنها رغبتها في نزع سلاح وتسريح كل القوات الكشميرية، وتحدت سلطة باكستان في اقليمي (جيلغين وهونزا) الذين الحقا بباكستان في آب 1947م.

وبسبب عدم تحقيق لجنة الأمم المتحدة أي تقدم يذكر في تسوية النزاع اقترحت أن يقدم كل من الطرفين الحجج والادعاءات لغرض النظر فيها، وهذا ما اثار حنق الولايات المتحدة والتي كانت ترفض أي تدخل للدول الكبرى في قضية كشمير، ولذلك أرسل الرئيس الأمريكي هاري ترومان (1945-1953) (Harry Truman)، برسالتين لكل من لياقت علي خان وجواهر لال نهرو، حثهم فيها على اتباع الاسلوب الدبلوماسي لحل المشكلة[3].

وفي 14 اذار (1950) قرر مجلس الأمن تعيين الأسترالي اوين ديكسون (Owen Dixon) ممثلاً لهيئة الأمم المتحدة للإشراف على برنامج نزع السلاح كتمهيد لإجراء الاستفتاء في كشمير، بالمقابل رفضت الهند نزع السلاح لان ذلك سيبعد مظاهر الارهاب والجو العسكري الذي تحاول إخفاءه على الانتخابات بهدف تغيير سير النتائج[4].

وقد نجح اوين ديكسون في جمع كل من لياقت علي خان وجواهر لال نهرو في نيودلهي في20–24 تموز (1950) وقدم لهم ما عُرف بخطة الاستفتاء الاقليمي، أي الاستفتاء بحسب المنطقة أو القسم ومن ثم وضع كل منطقة في دولة حسب نتيجة التصويت فيها.

1 المصدر نفسه، ص 251.
2 المصدر نفسه، ص 252.
3 حسن عبد علي كاظم الطائي، سياسة الولايات المتحدة الاميريكية تجاه باكستان 1947–1960، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة دمشق 2004، ص ص 78–79.
4 البطريق وعطا، المصدر السابق، ص ص 108–109.

وكان لياقت علي خان يرى ان يكون التصويت في جامو وكشمير باستفتاء واحد، ومع مرور الوقت اثبتت مسألة الاستفتاء الاقليمي عدم جدواها[1].

وبعد عام من فشل التوصل إلى نتيجة وافق مجلس الأمن على مشروع قرار أمريكي بريطاني يتضمن تعيين مندوب جديد للأمم المتحدة هو الدكتور جراهام (Graham) بهدف حل النزاع وعقد هدنة، لكن وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الأخير لم يفلح في ايجاد حل يرضي الطرفين[2].

أما ما يخص كشمير المحتلة فقد أصدرت الجمعية التأسيسية في الهند قرارها بان تعد جزءاً من الهند ورعاياها كالهنود سواءً بسواء، وقد منحت الجمعية التشريعية في كشمير المحتلة سلطة فرض القوانين لحماية مصالح المقيمين الدائمين والالتحاق بالخدمة في الحكومة وفرض قيود على حرية الرأي والخطابة وتشكيل الجمعيات وغيرها[3].

وما إن جاءت سنة (1956) حتى اعلن نهرو الغاء اتفاقية الاستفتاء واعلن نيابة عن اهالي كشمير انضمامها إلى الهند على أساس سياسة الامر الواقع التي تتغلب على النظريات والحقوق. وفي اجتماع مجلس الأمن سنة (1957) وجه كريشان مينون رسالة اشار فيها إلى ما يمكن ان يتعرض له المسلمون من اعتداء على يد الهندوسيين في حال ضم كشمير لباكستان، وهذا بالتالي تلويح بالتهديد أمام أكبر هيئة دولية في العالم[4].

وعلى الصعيد الدولي فقد ايدت الصين حق باكستان في اقليم كشمير وكان الدافع وراء ذلك هو الحرب الصينية–الهندية (1959) وما تلاها من احداث ودخول الأخيرة في حلف مع الاتحاد السوفيتي عدو الصين، فضلاً عن وجود امتداد ديني بين مسلمي كشمير والمسلمين الإيغور الذين يشكلون الغالبية في اقليم تركستان الشرقية الواقعة تحت السيطرة الصينية[5].

أما الموقف السوفيتي فقد مرّ بمرحلتين الأولى كان واقفاً فيها إلى جانب الهند حيث عد كشمير جزءاً من أراضي الهند، وجاء هذا الموقف بسبب المصالح المشتركة على الصعيدين

1 لامب، المصدر السابق، ص ص 254–256.
2 البطريق وعطا، المصدر السابق، ص 109.
3 المصدر نفسه، ص 112.
4 المصري، المصدر السابق، ص 355.
5 الداغر، المصدر السابق، ص 188.

السياسي والفكري (السياسة الاشتراكية في كلا البلدين)، وجاءت المرحلة الثانية ليغير الاتحاد السوفيتي موقفه الأحادي الجانب عقب زيارة الرئيس الباكستاني محمد ايوب خان (1958–1969) لموسكو سنة 1965 بعدها دعت موسكو لضرورة حل القضية عن طريق هيئة الأمم المتحدة[1].

ولتعزيز سلطتها في كشمير أقدمت الهند على القيام بعدد من الاجراءات التعسفية التي طالت أولاً زعماء جبهة الاستفتاء، وامدت الحاكم الهندي بالدعم وانزلت العلم الكشميري ورفعت العلم الهندي، وقد صرح الوزير الهندي ناندا سنة (1965) قائلاً: "لقد ضمت كشمير نهائياً وبلا رجعة إلى هندوستان واصبحت جزءاً منها". تلا ذلك حملة اعتقالات رد الشعب الكشميري عليها بالمظاهرات التي سقط من جرائها العديد من ابناء كشمير قتلى، كما فرضت رقابة شديدة على الصحف وسرعان ما تحولت المظاهرات إلى ثورة واعلنت قيادتها بطلان جميع الاتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند مع حكومة كشمير (العميلة) واعلنت الحرب على الهند لتحرير كشمير وطالبت كشمير كل الشعوب المحبة للسلام بمد يد العون والمساعدة للثورة. وقد ردت الهند على ذلك بشن حرب ابادة في كشمير تلاها هجوم هندي مباغت على باكستان في محاولة لعزل كشمير[2].

وقد أدى تطور الأحداث إلى تدخل جديد للأمم المتحدة لكنه لم يختلف عن سابقيه، حيث دعا كلا الطرفين إلى حل سلمي للازمة ولم يفضِ إلى شيء يذكر، وبقيت سيطرة كلٍّ من الهند وباكستان على ما يملكه كل طرف من أراضٍ كما كان الحال منذ (1959م)[3].

وفي سنة (1966م) وقع الجانبان اتفاق (طشقند) وبقيت كشمير المحتلة تعاني من حكم الهند لها، مع حصولها على بعض الامتيازات الخاصة في الدستور الهندي، اما كشمير الحرة والتي تصل مساحتها إلى 40% من مساحة كشمير الكلية، وعاصمتها مظفر اباد فقد أصبح لها جيش وحكومة محلية وترتبط مع باكستان بأربع وزارات هي (الدفاع، الخارجية، المالية، والمواصلات)، وفي سنة (1967م) انتخب الشيخ سردار عبد القيوم رئيساً للحركة الإسلامية في كشمير، ومن ثم فاز في أول انتخابات كشميرية حرة سنة (1970م) واصبح أول رئيس كشميري[4].

1 المصدر نفسه، ص 188.
2 المصري، المصدر السابق، ص 356.
3 بكر، المصدر السابق، ص ص 229–230.
4 المصري، المصدر السابق، ص 357.

وعلى الصعيد الاقتصادي عمدت الهند إلى ربط الجزء الاكبر من كشمير (المحتلة) بها عن طريق تزايد النشاط الاقتصادي الهندي هناك بهدف ربط الاقتصاد الهندي بكشمير أولاً ومن ثم كسب ولاء السكان ثانياً، وهذا ما أدى إلى تفاقم المشكلة أكثر فاكثر[1].

وفي محاولة لحل الازمة دون وسيط توصل الطرفان الهندي والباكستاني سنة 1972م إلى اتفاقية (سيملا) والتي نصت على ان كشمير مسألة حدودية ينبغي حلها عبر المفاوضات الثنائية. وسلبت الاتفاقية حق الشعب الكشميري في الاستفتاء الذي منحتهم اياه هيئة الأمم المتحدة سنة (1948م)[2].

تجدد النزاع الهندي- الباكستاني 1988 - 2001

تعد سنة (1988) بداية جديدة للنزاع الهندي- الباكستاني حول كشمير ففي تلك السنة قامت (جبهة تحرير جاموا وكشمير)[3] بأول حملة تفجير لها، وطالبت الجبهة بالاستقلال الكامل لكشمير تنفيذا لقرار الأمم المتحدة (1948)، والخاص بتقرير المصير، جاء ذلك في وقت بدأت فيه الهند بالتخلي عن حليفها القديم (الاتحاد السوفيتي) والذي شارف على الانهيار والتوجه صوب حليف جديد دخل بقوة في المنطقة وهو الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لاقى هذا الامر استحسان الولايات المتحدة الأمريكية التي رات في الحكومة الهندية ذات التوجه العلماني والمعتمدة سياسة الاقتصاد المفتوح خير حليف لها، على خلاف جارتها باكستان ذات التوجه الإسلامي[4].

وفي 1990 قامت مظاهرة في مدينة(سريناغار) عاصمة كشمير (الهندية) فرد الجيش الهندي بإطلاق النار على المتظاهرين وقتل عددا منهم، وهذا ما حول الأمر إلى انتفاضة ضد الحكم الهندي في الولاية واتهمت الهند جارتها باكستان بانها من يقف وراء تدريب وتسليح الثوار الكشميريين على أراضيها كما قامت الهند في شباط من العام نفسه بتعليق عمل البرلمان الكشميري المحلي ووضعت الولاية تحت الحكم الفيدرالي. واغتيل في أيار 1990 مفتي كشمير مولوي محمد فاروق برصاص مسلحين مجهولين، وخلال عملية التشييع قتل ما لا

---

1 «مشكلة كشمير» النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية(الانترنت) على الموقع www.geografhy.com

2 الخوند، المصدر السابق، ص 99.

3 جبهة انفصالية ذات رؤية مستقلة تنادي باستقلال كشمير عن كل من الهند وباكستان يترأسها ياسين مالك تأسست سنة 1965 على يد مقبول بهات الذي أعدمته السلطات الهندية شنقا، «جبهة تحرير جامو وكشمير»، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.assakina.com

4 الخوند، المصدر السابق، ص 100.

يقل عن خمسين كشميريا برصاص الجيش الهندي[1].

وقامت القوات الهندية بإطلاق نيران اسلحتها على جموع المصلين عند خروجهم من احد مساجد (راجورى)، والاعتداء على المسجد الجامع في قرية (كهوتا) على الحدود بين كشمير الحرة وكشمير المحتلة، وقتل خلال هذا الاعتداء الاجرامي عشرات المصلين، إلى جانب مئات الجرحى، كما عمدت إلى الاعتداء على ائمة المساجد واغتصاب النساء وقتلهن والتمثيل بجثثهن بعد عملية القتل، وكانت حصيلة عمليات الاعتداء على المسلمين في كشمير وخلال سنة 1990 وحدها (22) الف قتيل و(30) الف جريح و(4800) سجين، وبالمقابل لم يتجاوز عدد الجرحى من الجانب الهندي العشرين وخمسة قتلى فقط[2].

وقد ادى تصاعد العمليات ضد المسلمين في كشمير أواخر عام (1990) إلى قيام منظمة المؤتمر الإسلامي[3] في مؤتمرها المنعقد في الفترة من 9–11 كانون الأول 1991 في مدينة داكار بجمهورية السنغال إلى ادانة الانتهاكات الصارخة بحقوق الإنسان، كما اعربت المنظمة عن قلقها الشديد بما يجري على الساحة الكشميرية داعية لحل المشكلة بالطرق السلمية ومذكرة بحق شعب كشمير في تقرير مصيره وطالب أعضاء المؤتمر دولة الهند بالسماح للمنظمات الدولية والخيرية بزيارة جامو وكشمير. وقرر المؤتمر ارسال بعثة مساعٍ حميدة برئاسة رئيس المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية العرب بهدف تخفيف حدة التوتر وتحقيق تسوية سلمية[4].

شهدت الفترة من نيسان 1991 وحتى كانون الثاني 1992 سلسلة من المباحثات الهندية–الباكستانية وجاء نتيجتها:

1 – منع التدريبات العسكرية والمناورات على الحدود بين البلدين.

2 – حضر انتاج وتطوير الاسلحة الكيمياوية من قبل الدولتين.

3 – وقف الانتهاك الجوي لكلا البلدين.

لكن ما اجج الموقف من جديد قيام الهندوس بتدمير المسجد البابري في منطقة ايوديا

1 المصدر نفسه، ص 100.

2 الداغر، المصدر السابق، ص 192.

3 تأسست في الرباط في 25 أيلول 1969 عقب حادث حريق الأقصى في 21آب 1969، وقد ضمت عند تأسيسها 25 دولة وهي تضم الآن 57 دولة. للمزيد من التفاصيل ينظر: «منظمة المؤتمر الإسلامي» النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع: www.wikipedia.org.

4 منظمة المؤتمر الإسلامي، داكار/ السنغال، قرار رقم 6/10–س(ق.أ).

الهندية بهدف اقامة معبد هندوسي مكانه فحدث هياج عام صاحبته مطالبة بقطع العلاقات مع الهند[1]، وطلبت الحكومة الباكستانية من الهند في تشرين الثاني 1992 تخفيض اعداد القنصلية الهندية في كراتشي من (20) شخصٍ إلى (16) شخصاً ونصحت مواطنيها بعدم السفر إلى الهند وهذا ما عزز التوتر بينهما[2].

وقد جرت عدة محاولات لرأب الصدع خلال المدة 1993–1994 والتوصل إلى اتفاق بين البلدين لكن ذلك لم يفضِ إلى نتيجة تذكر[3].

اما اعنف تلك الصدامات فكانت عندما اعلن (5000) شرطي كشميري تمردهم ضد السلطات الهندية لانتهاكها حقوق الإنسان ومجازرها ضد الاهالي العزّل، والاعتقالات العشوائية، وقتل جراء الحادث المئات من رجال شرطة كشمير لعدم تنفيذهم اوامر السلطات الهندية بإقامة معسكرات التعذيب للمواطنين الكشميريين من المسلمين[4].

وقد انعكس ما يجري على الساحة الكشميرية على قرار مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد في الدار البيضاء العاصمة المغربية يوم 15 كانون الأول (1994)، فقد اصدر المجتمعون بياناً خاصاً بشأن جامو وكشمير اعربوا خلاله عن قلقهم إزاء ما يجري على الساحة الكشميرية مؤكدين التزامهم بالخط السلمي لحل النزاع، مستندين في ذلك إلى قرار الأمم المتحدة كما اعربوا عن اسفهم لعدم استجابة الهند لقرارهم السابق والقاضي بإرسال لجنة مساعي حميدة أو لجنة تقصي حقائق إلى كشمير، وناشد المؤتمر مؤسسات منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات الإسلامية الأخرى مثل صندوق التعاون الإسلامي والخيّرين في العالم الإسلامي لجمع التبرعات اللازمة لمساعدة كشمير، وطالب المؤتمر الدول الأعضاء بتوحيد جهودها للقيام بعمل مشترك في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجنة حقوق الإنسان، والمحافل الدولية بهدف الدفاع وحماية حقوق المواطن الكشميري وتشكيل لجنة اتصال من دول المؤتمر بعضوية (المملكة العربية السعودية وتركيا وباكستان والأمين العام للمؤتمر الإسلامي) للاتصال بالأمم المتحدة[5].

1 فخرية علي امين حاتم، التطورات السياسية في الهند 1984– 1995 دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، 2005، ص 114.
2 المصدر نفسه، ص 115.
3 الخوند، المصدر السابق، ص 100.
4 الداغر، المصدر السابق، ص 193.
5 منظمة المؤتمر الإسلامي، الدار البيضاء/ المغرب، بشأن نزاع جامو وكشمير، قرار رقم 7/8– س(ق. أ).

لم تتوقف اعتداءات الهندوس عند حدود الاستيلاء على المسجد البابري ، فقد قاموا هذه المرة بإحراق مسجد ومزار شرار شريف والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، وهذا ما جدد الخلاف بين الثوار الكشميريين والشرطة الهندية ، كما قاموا بتدمير ما يزيد عن الف وخمسمائة منزل[1] .

وفي تلك الفترة برز عدد من التنظيمات الإسلامية المسلحة في كشمير ، وقد سلط الاعلام الضوء عليها عقب قيام احداها بإعدام الرهينة النرويجي المختطف هانز اوسترو(Hans Ostro) ، اما ابرز تلك التنظيمات فهي :(حركة الانصار) ، (حزب المجاهدين) ، (جماعة الاشكار- طيبة) ، (المجاهدون المسلمون) ، (جماعة العمر) ، (الفصيل العسكري لحزب قوامي) ، (البرق) ، (الجناح العسكري لحزب رابطة الشعب والاخوان المسلمون) و (جماعة مير وياسين مالك) و(جماعة القران)و (حزب الله المجاهدين)[2] .

ولتعزيز موقفها قامت الادارة الهندية بإجراء انتخابات في ولايتي جامو وكشمير ايام 30/16/7 من أيلول 1996 والتي اسفرت عن فوز حزب المؤتمر الوطني اقدم احزاب كشمير السياسية ، واصبح فاروق عبد الله رئيساً لمجلس وزراء الولاية ومن الجدير بالذكر ان هذا الحزب يؤيد ابقاء كشمير ضمن الاتحاد الهندي على ان تمنح مزيداً من الحكم الذاتي ، وعلى الصعيد الخارجي نظمت بريطانيا مؤتمراً دولياً في أيلول (1996) حضره الساسة في كل من كشمير الهند وكشمير باكستان وزعماء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بحضور وفد هندي ، وعلى الرغم من رفض أعضاء المؤتمر للانتخابات لحل مشكلة كشمير الا انهم اشاروا إلى ان وجود حكومة منتخبة هو بطبيعة الحال أفضل من الحكم العسكري[3] .

وفي أيلول 1997 أثيرت قضية كشمير في مؤتمر عدم الانحياز[4] من قبل رئيس جنوب افريقيا نلسون مانديلا (Nelson Mandela) (1994-1999) ، إذ أكد ان كشمير أصبحت تمثل قلقاً بالغاً لجميع دول عدم الانحياز ، داعياً الدول الأعضاء للعمل على حلها ، وفي 6 حزيران 1998 اصدر مجلس الأمن قراره ذي الرقم 1172 والذي أقر فيه بان كشمير

1 منظمة المؤتمر الإسلامي ، تدمير مجمع شرار شريف الإسلامي ، قرار رقم 8/23- ث(ق . أ) .
2 الخوند ، المصدر السابق ، ص 101 .
3 المصدر نفسه ، ص 101 .
4 منظمة عدم الانحياز تأسست في باندونغ سنة 1955 من 29 دولة اسيوية وافريقية واستبعدت منه دول أوروبا ، كان الهدف منه تحرير البلدان الاسيوية والافريقية وقضايا التعاون الثقافي وحقوق الإنسان وتقرير المصير . حليم سعيد أبو عز الدين ، «مؤتمر باندونغ التجمع الأول للدول الاسيوية والافريقية 1955» مجلة تاريخ العرب والعالم ، (بيروت ، 1979) ، العدد 11 ، ص ص 3-13 .

أصبحت تشكل مصدراً للتوتر ومن ثم يستدعي حلها حلاً عاجلاً[1].

وفي أيار/تموز 1999 عاد الصدام بين الدولتين بشان كشمير من جديد لكنه امتاز عن ما سبقه بترجيح كفة الولايات المتحدة للموقف الهندي، بالمقابل طالبت باكستان بسحب قواتها المتسللة إلى كشمير، وحظيت الهند بتأييد مجموعة الدول الثمانية في مؤتمرها المنعقد في مدينة كولونيا بألمانيا يوم 20 حزيران 1999، وادان المؤتمر عبور القوات الباكستانية لخط المراقبة، ودُعيت الدولتان لوقف القتال الفوري[2].

وبعد وقوع احداث الحادي عشر من أيلول 2001، عملت الحكومة الهندية التي يتزعمها حزب بهاراتيا جاناتا (هندوسي قومي) على ادخال احداث كشمير والعمليات العسكرية فيها في إطار ما عرف بـ (الحرب على الارهاب)[3]، وأعلنت أنها على استعداد كامل للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد (الإرهاب) وانها تتعرض لخطر الجماعات الإسلامية (المتطرفة) بحسب زعمها في إقليم كشمير، إذ تقوم هذه الجماعات بخطف واغتيال أفراد الجيش الهندي الذين يحافظون على الأمن داخل كشمير[4].

1 الداغر، المصدر السابق، ص ص 194-195.
2 الخوند، المصدر السابق، ص ص 102-103.
3 المصدر نفسه، ص 103.
4 الداغر، المصدر السابق، ص 200.

خامساً - البوسنة والهرسك

الموقع والمساحة والسكان

تقع البوسنة والهرسك في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان ، تحدها جمهورية كرواتيا من الشمال والغرب ، وجمهوريتا صربيا والجبل الأسود من الجنوب والشرق .

وتبلغ مساحتها نحو 51.921 كم2 ، أما سكانها فهم قرابة 5 ملايين نسمة منهم 43.7% مسلمون و31.3% صرب و 17.3 كروات . ويعود اسم البوسنة إلى المناطق الوسطى والشرقية والغربية وهي تشكل الجزء الأكبر من البلاد ، أما الهرسك فتعود تسميتها إلى المنطقة التي يشكلها حوض نهر النيرتفا جنوب العاصمة سراييفو في منطقة يابلانيتسا[1] .

تدل المكتشفات الاثرية أن البوسنة كانت تقطنها قبائل بانوية في الشمال واليرية في الوسط والجنوب وهم من اقدم سكان البلقان ، وقد دخلت المؤثرات اليونانية إلى المنطقة منذ فترة مبكرة بما في ذلك انتشار الحروف اليونانية ، فضلاً عن المعتقدات . عقب ذلك تغلغلت في البوسنة قبائل القوط والجرمان والاوار وأخيراً السلاف وكانت الأخيرة أكبر الموجات الاستيطانية في أوروبا ، وبهذه الهجرة أصبح السلاف منذ الحقبة التي تلت القرن السابع الميلادي العنصر الغالب[2] .

وما إن جاءت سنة 960م حتى استقلت البوسنة عن الدولة السلافية الأولى ، وتوسعت حدودها في عهد حاكمها البان[3] كولين (1180-1245) (Kulin) وبدأت تنافس جاراتها كرواتيا وصربيا ، كما ازدهرت من جديد في عهد ستيبان كوترومانيتش (S. Kotromanic) (1322-1353) ، أما تفرتكو كوترومانيتش (1353–1377) فقد كان أول حاكم للبوسنة يحمل لقب ملك وفي عهده بلغت البوسنة ذروة توسعها السياسي[4] .

وقد كانت بداية انتشار الإسلام في المنطقة على يد القادمين البوشناق من منطقة الفولغا

1 سامي الفريضي ، الرئيس علي عزت بيجوفيتش المفكر المجاهد ، ط1 ، دار القلم ، (دمشق ، 2012) ، ص25 .
2 محمد الارناؤوط ، الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سراييفو ، ط1 ، دار البشير ، (عمان ، 1993) ، ص115 .
3 وتعني الحامي أو الراعي .
4 أحمد عبد الكريم نجيب ، البوسنة والهرسك دراسة عامة ، ط1 ، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق ، 2003) ، ص ص 52–53 .

وهم يحملون معهم عقيدة الإسلام حيث اعتنقها بعضهم[1]. ومع نهاية القرن الرابع عشر بدأت الاضطرابات تغزو البوسنة مما جعلها هدفاً للدولتين المتصارعتين في المنطقة المجر والدول العثمانية وهذا ما اضطر ملكها ستيبان دابيشا (S. Dabisa) إلى الخضوع لسلطة الملك المجري جيغموندوم (Sigismandom) واعلان التبعية له.

اما بالنسبة للهرسك فإن الأمير هرفوية. ف. هرفاتينتش (H.V. Harvatinic) والذي كان من اقوى امراء البوسنة، قام مع بعض انصاره سنة 1404 بخلع الملك اوستايا (Ostaia) الموالي للمجر وتنصيب الملك تفرتكو الثاني (1404–1409) مما دفع المجر إلى ارسال جيشها إلى البوسنة واخضاع الأمير هرفويه ومن ثم اعتنق المذهب الكاثوليكي[2].

البوسنة والهرسك تحت السلطة العثمانية

فرضت الدولة العثمانية سيطرتها على بلاد البلغار منذ عهد السلطان العثماني بايزيد الأول (1389–1402) وأعلن الملك البلغاري سيسمان (Sesman) إسلامه مما دفع ملك المجر إلى الاستنجاد بالبابا والفرنسيين، فأعلن البابا الحرب الصليبية ضد الدولة العثمانية وانضمت اليه بافاريا والنمسا وحكام المانيا وبلغ عدد مقاتلي الحملة (60) الف، أما العثمانيون فبلغت قواتهم (200) الف مقاتل، وانتهت الحملة بانتصار العثمانيين بعد أن خسروا (60) الف مقاتل[3].

وبعد وفاة السلطان بايزيد تجزأت الدولة إلى عدة امارات صغيرة، واستقل أمراء البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعاً للراية العثمانية سوى قليل من البلدان، ومما زاد في خطورة الموقف عدم اتفاق اولاد بايزيد في من يخلف اباه وكان كل منهم يدعي الاحقية لنفسه[4].

وبعد تولي السلطان محمد الأول للحكم (1402–1421)، شعر هرفويه بالخطر من جانب ملك المجر وهذا ما دفعه إلى الالتجاء بالدولة العثمانية، التي ساندته بدورها وتوغل جيشها داخل الأراضي البوسنية سنة 1414، وهكذا قَبِل ملك البوسنة اوستايا بدفع الجزية السنوية للدولة العثمانية. وهكذا تكون البوسنة ومنذ ذلك التاريخ قد دخلت في طور التبعية

1 الفريضي، المصدر السابق، ص25.
2 الارناؤوط، المصدر السابق، ص159.
3 شكيب ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار ابن كثير ودار التربية، (دمشق، بيروت، 2001)، ص ص65–66.
4 محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط10، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2006)، ص147.

وكان الصراع الداخلي بين الامراء الاقطاعين يستدعي تدخل الدولة العثمانية بين الحين والآخر[1].

وما إن تولى السلطان مراد الثاني الحكم (1421–1451) حتى بدأ بتوجيه الضربات الموجعة لحركات التمرد في البلقان بهدف تدعيم الحكم العثماني هناك، وقد استطاع الجيش العثماني انزال هزيمة بالجيش المجري سنة 1438 وتم اسر 70 الف جندي مجري، ثم تقدم السلطان لفتح بلغراد عاصمة الصرب لكنه اخفق في ذلك. وسرعان ما تكون حلف صليبي بهدف طرد العثمانيين من أوروبا عموماً وتحصل على موافقة البابا وضم البابوية والمجر وبولندا وصربيا والافلاق وجنوة والبندقية والامبراطورية البيزنطينية ودوقية برجنيا ناهيك عن كتائب المانية وتشيكية، وسلمت القيادة للقائد المجري يوحنا هنيادي (Yahana Hinidi)[2] الذي استطاع سنة1442 الحاق الهزيمة بالعثمانيين في عدة معارك، مما اضطر السلطان العثماني إلى عقد صلح مع المجر مدته عشر سنوات وصارت بموجبه بلاد الصرب تابعة للمجر[3].

أما بالنسبة للبوسنة فقد قوي موقفها بعد تولي ستيبان توماس (S. Tomas) (1443-1461) عرشها، فعمد إلى تقوية صلاته مع ملك المجر وخاض ضد الدولة العثمانية عدة معارك، وحاول الحصول على دعم البابا لكنه فشل في ذلك[4].

وما كان من ملك المجر الا أن نقض عقده مع الدولة العثمانية وهاجم بلاد البلغار وبدعم من الكردينال سيزاريني (Cesarean) مبعوث البابا، فقادت الدولة العثمانية حملة ضدهم قتل خلالها الكردينال سيزاريني، وبهذا النصر تم للعثمانيين استرجاع مدينة وارنة[5] في 10 تشرين الثاني 1444 [6].

كذلك استطاع العثمانيون فتح جيب فرهبوسنة وفيه حصن هوديجد بهدف الضغط على

1 الارناؤوط، المصدر السابق، ص162.
2 علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط3، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، بيروت، 2008)، ص83.
3 ارسلان، المصدر السابق، ص78.
4 الارناؤوط، المصدر السابق، ص162.
5 مدينة عثمانية في بلغاريا في ولاية سلسترة على البحر الأسود وعدد سكانها قرابة (20.000) نسمة. س. موستراس، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2002)، ص485.
6 المحامي، المصدر السابق، ص158.

صربيا ، وأقاموا فيه ادارة عثمانية دائمة منذ سنة 1451 وهكذا أصبح للعثمانيين وجود دائم في البوسنة ، وبعد فتح القسطنطينية 1453 ، على يد السلطان محمد الفاتح (1451–1481) وهزيمة الدولة البيزنطينية العتيدة ، تفرغ العثمانيون للضغط على صربيا ، وبالتالي الضغط على البوسنة ، وساعدهم في ذلك انشغال المجر بمشاكلها الداخلية . وبعد سقوط صربيا في يد العثمانيين 1459 ، أصبح خضوع البوسنة مسألة وقت فقط ، وقد حاول ملك البوسنة الأخير ستيبان توماسيفتش (S. Tomasevic) (1461-1463) الحصول على دعم مجري وأفلح في ذلك وامتنع عن أداء الجزية للدولة العثمانية[1] .

رداً على ذلك قاد السلطان محمد الفاتح في ربيع 1463 حملة قصد بها البوسنة وحاصر قلعة لوفجة أكبر قلاع البوسنة وأقواها وقد استسلمت له بعد ثلاثة أيام ، تلتها قلعة بايتزا التي استسلمت عقب مقاومة طفيفة ، وفر منها الملك توماسيفتش صوب قلعة كلوج على نهر سانا وارسل السلطان محمد القائد محمود باشا لملاحقته وبعد حصار الأخير للقلعة ، طلب منه ملك البوسنة الصلح مقابل تأمينه على حياته وقد وافق محمود باشا على ذلك ، على الرغم من استياء السلطان من تصرف محمود باشا وتتابعت بعد ذلك سائر القلاع بالاستسلام أمام القوات العثمانية وقبل منتصف شهر حزيران 1463 كانت البوسنة كلها قد صارت ولاية عثمانية[2] .

اتجه السلطان بعد ذلك لفتح الهرسك لأهميتها ومناعة حصونها وموقعها الاستراتيجي المطل على بحر الأدرياتيك[3] ، وعهد بفتحها إلى وزيره محمود باشا وخلال الزحف عليها فر حاكمها إلى احدى الجزر ثم خاطب السلطان محمد الفاتح مستسلماً طالباً العفو عنه والسماح له بالعودة إلى الهرسك ، وقد وافق السلطان محمد على تقسيم الهرسك إلى قسمين عثماني وآخر يحكم من قبل الأمير الهرسكي[4] .

وسرعان ما انتشر الإسلام في ربوع البوسنة والهرسك في وقت قصير فتحسنت أوضاع البلاد وشيدت المساجد والمدارس والكتاتيب والاسواق والخانات والمرافق العامة ، وقد بلغ عدد المساجد في العاصمة البوسنية سراييفو لوحدها 170 مسجداً و180 مكتباً لتعلم القرآن الكريم[5] .

1 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص163 .
2 عبد المنعم الهاشمي ، الخلافة العثمانية ، ط1 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 2004) ، ص 185–186 .
3 أو ما يسمى ببحر البنادقة وهو احد فروع البحر المتوسط ويفصل شبه الجزيرة الإيطالية عن شبه جزيرة البلقان .
4 الهاشمي ، المصدر السابق ، ص ص 186–188 .
5 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص175 .

رافق تدهور الوضع العثماني أواخر القرن السابع عشر تنامياً في قوة الخصم النمساوي ومنذ سنة 1682 بدأت حرب طويلة بين الفريقين وكان يشترك بها في بعض الاحيان كل من بولندا وروسيا والبندقية. وقد تلقت القوات العثمانية هزيمة امام النمسا سنة 1683 وفي سنة 1688 سقطت مدن سمندرية وقلومباز وبلغراد في ايديهم وفي العام التالي سقطت مدينتي نيش وودين الصربيتان، وهاجم الثوار الصرب والكروات قرية كليم وسط البوسنة ودمروا أكثر من 250 منزلاً واحرقوا 400 مسلم قبل أن يستطيع مصطفى كوبرلي الألباني الإمساك بزمام الأمور واستعادة نيش وودين وسمندرية وبلغراد و يخضع ثائري الصرب الذين فر منهم حوالي 40.000 استقروا في كرواتيا.

بعد ذلك بدأت سلسلة الاتفاقيات، ففي سنة 1699 عقد صلح (فارلوفجة) والذي تنازلت بموجبه الدولة العثمانية عن مساحات شاسعة من أملاكها في أوروبا لصالح النمسا وروسيا[1].

أما روسيا والتي خاضت ضد الدولة العثمانية عدة حروب فقد وجه قيصرها بطرس الاكبر (Peter the Great) (1689-1725) نداءً إلى نصارى البلقان للثورة على الدولة العثمانية، وقد وجدت نداءاته صدىً في منطقة الجبل الأسود المجاور للبوسنة، وفي سنة 1711 نظم حاكم الجبل الأسود دانيلو شتيتفيتش (Danilo Scepcevic) (1697-1735) ما سمي بعملية التفتيش عن المشتركين وجرى حصار الاسر المسلمة من السلاف في بيوتهم ووضعوا أما مهم خيارين فوريين: إما الارتداد عن الإسلام أو الموت [2].

وقد جددت روسيا دعمها للاضطرابات في أراضي البلقان العثمانية سنة 1771، واجرى قائد الاسطول الروسي الذي وصل إلى البحر المتوسط الكسيس اورلوف (Alexis Orlov) اتصالاته بالعناصر السلافية الارثوذكسية، وبدأت في اذار 1771 ثورة ضد الحكم العثماني جرى خلالها قتل عدة آلاف من مسلمي البلقان وهوجمت الحاميات العثمانية، لكنها عادت وسيطرت على الموقف من جديد[3].

ومن جديد وصل الأمر بين البلدين إلى الحرب في أيلول 1787 وانضمت النمسا في

1 مروان درويش، البوسنة والهرسك تاريخ ومشاهد، ط1، دار سبيل الرشاد، (بيروت، 1996)، ص ص 27-28.
2 الارناؤوط، المصدر السابق، ص ص178-179.
3 درويش، البوسنة والهرسك، ص29.

عهـد حاكمها جوزيف الثاني (1765-1790) (Joseph II) إلى الجانب الروسـي ، وحاولت النمسـا خلال الحرب الاسـتيلاء على بلغراد والتقدم نحو صربيا لكنها منيت بالفشـل وكان لقيـام الثورة الفرنسـية 1789 دور مهـم في أن تواجه أوروبا واقعاً جديداً ارغم النمسـا على التخلي عن كل الأراضـي التي اسـتولت عليها رسمياً بعد وفاة جوزيف الثاني وتولي ليوبولد الثـاني (1790-1792) (Leopold II) بموجب معاهدة (زشتوي) مع الدولة العثمانية في 22 آب (1791) [1].

أما روسـيا فقد اسـتمرت في قتالها للعثمانيين وارتكب الروس اعمال القتل حتى تم عقد صلح بين البلدين في 9 كانون الثاني (1792) بعد توسط كل من بريطانيا وبروسيا وهولندا[2].

لكـن وفي الوقـت ذاته واجهت الدولة العثمانية خطراً جديـداً تمثل في التمرد الذي قادته صربيا سـنة 1806 وقام الصرب بمذابح وحشـية ضـد المسـلمين ويعزى قيام الحركة القومية الصربيـة إلى هـذه الحادثة وكان علـى رأس التمـرد راعٍ للخنازير يدعى جـورج بتروفيتش (George petrovic) طلب الأخير المساعدة النمساوية ومن ثم الروسية ، وهذا ما دفع والي البوسنة أبو بكر باشا بتسوية المسألة بناءً على اوامر الدولة العثمانية فألقي القبض على المتمردين وتم إعدامهم فهدأت الأمور هناك[3].

أما زعيم التمرد (بتروفيتش) فقد تم قتله وارسـال رأسـه إلى اسـطنبول من قبل (ميلوش ارسـوفيتش) كدليل على الولاء وعقد الأخير اتفاقاً مع الدول العثمانية سـنة (1829) منحت بموجبها صربيا حكماً ذاتياً وعين ميلوش اميراً عليها[4].

ومنذ أواخر القرن التاسـع عشر بدأت صربيا تركز على قضية القومية الصربية التي عدت البوسنة المهد الاصلي للشعب الصربي ، ولا شك أن اهتمام الصرب المتواصل بالاستيلاء على البوسنة كان احد الأسباب التي دفعت الارثوذكس هناك للانتفاض على الحكم العثماني[5] ، إلى جانب ما يورده بعض المؤرخين من تدهور في الأوضـاع الاقتصـادية والبؤس الذي اثار سخط الفلاحين ، وامتد لهيب الانتفاضة إلى مناطق بلغاريا وصربيا والجبل الأسود[6].

1 المحامي ، المصدر السابق ، ص ص 362–363.
2 درويش ، البوسنة والهرسك ، ص30.
3 محمـد حرب ، البوسـنة والهرسـك من الفتح إلى الكارثة ، ط2 ، المركز المصري للدراسـات العثمانيـة وبحوث العالم التركي والبلقان ، (القاهرة ، 1994) ، ص50.
4 درويش ، البوسنة والهرسك ، ص ص 30–31.
5 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص181.
6 هـ. أ. ل. فشر ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789–1950 ، ترجمة: أحمد نجيب هاشـم ووديع الضـبع ، ط9 ، دار

مع عدم إغفال الدور الذي لعبته روسيا في تأسيس جمعيات سلافية تحت النصارى التابعين للدولة العثمانية في مناطق البلقان على التمرد ، ناهيك عن امداد روسيا للمتمردين بالمال والسلاح ، أما النمسا فقد التقى امبراطورها وفداً من نصارى البوسنة والهرسك وقطع لهم وعداً بالمساعدة والعون في حال تمردوا على الدولة العثمانية[1] .

وقد قتل خلال الأحداث عدد كبير من المسلمين وهذا ما جعل الرد العثماني يكون قوياً[2] ، لاسيما بعد أن اعلنت صربيا والجبل الأسود الحرب ضد الدولة العثمانية على أثر رفض الأخيرة لمطلبهم بالتدخل في شؤون البوسنة[3] ، وسحقت القوات العثمانية جيشي صربيا و الجبل الأسود وقتل اثناء الحملة 12.000 بلغاري[4] .

وبدأت الاصوات الدولية تتعالى لتضخيم ما قامت به القوات العثمانية خلال عملياتها العسكرية لسحق التمرد غاضين الطرف عن ما ارتكبه البلغاريون من مجازر بحق المسلمين ، كما عمل بعض الساسة ولا سيما البريطاني دوغلاس (Doglas) زعيم حزب الاحرار على إثارة بلده ضد الدولة العثمانية[5] .

وجاء التدخل العسكري الروسي الذي غير ميزان القوى لصالح صربيا والجبل الأسود ، وادى إلى قيام الصرب بعملية تطهير عرقي رحلوا خلالها مئات الالاف من مسلمي البلقان ، ناهيك عن العنف الذي تعرض له المسلمون ، وأخيراً فرضت روسيا على الدولة العثمانية معاهدة (سان ستيفانو) في آذار 1878 [6] .

وكان أخطر ما جاء فيها الاعتراف باستقلال صربيا والجبل الأسود ، وأن توضع البوسنة والهرسك تحت الحماية النمساوية ادارياً ومنح بلغاريا استقلالاً ذاتياً على أن تكون لها حكومة نصرانية وجيش مع تقليص مساحتها وان تكون تابعاً اسمياً للدولة العثمانية[7] .

صاحب تسارع الأحداث الخارجية تطوراً في الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية ، فقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب سنة (1908) خلعت بموجبه السلطان عبد الحميد الثاني

المعارف ، (القاهرة ، 1993) ، ص369 .
1 حرب ، المصدر السابق ، ص52 .
2 درويش ، البوسنة والهرسك ، ص32 .
3 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص370 .
4 فشر ، المصدر السابق ، ص370 .
5 المحامي ، المصدر السابق ، ص606 .
6 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص182 .
7 اكرم عبد علي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ط1 ، دار الفكر ناشرون وموزعون ، (عمان ، 2010) ، ص175 .

(1876–1908)، وقد استغلت النمسا انشغال العثمانيين داخلياً فأعلنت ضمها لولايتي البوسنة والهرسك، في الوقت ذاته اعلنت بلغاريا استقلالها الكامل عن الدولة العثمانية، وقد أثار ضم البوسنة إلى النمسا ثائرة الصربيين الذين كانون يعدون البوسنة جزء من الأراضي التي يجب أن تؤول اليهم، وقد استمر توتر الأوضاع مهدداً بقيام حرب لا سيما بعد أن وقفت روسيا إلى جانب صربيا، في وقت اعلن فيه الامبراطور الالماني وليم الثاني (William II) (1888-1918) وقوفه إلى جانب النمسا[1].

وخلال سنة 1912 تشكلت عصبة البلقان والتي ضمت كلاً من بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود، وخاضت دول العصبة حرباً ضد الدولة العثمانية استطاعت من خلالها إجلاء العثمانيين عن معظم أراضيهم شرقي أوروبا[2]. لكن اختلاف الحلفاء حول اقتسام الأراضي أضعفهم وأدى إلى صدام بلغاري صربي انتهى بانتصار صربي، مما اشعر النمسا بالخطر لا سيما بعد مطالبة صربيا باستعادة البوسنة والهرسك واثارة القومية السلافية داخل الامبراطورية النمساوية مما هدّدها بالتفكك[3].

البوسنة والهرسك في الإطار اليوغسلافي

قامت الحرب العالمية الأولى وضمت كلاً من بريطانيا وروسيا وفرنسا والصرب ضد الدولة العثمانية والنمسا والمجر والمانيا وبلغاريا.

وانتهت بهزيمة النمسا وحلفائها وأجبرت فينا على فك الارتباط مع المجر، كما خسرت النمسا بموجب معاهدة سان جرمان 10 أيلول 1919 البوسنة والهرسك لصالح صربيا كما ضم اليها الشاطئ الدلماشي. كذلك تم ضم الاجزاء الشمالية والوسطى من مقدونيا إلى صربيا بموجب معاهدة (نوبي) التي عقدها الحلفاء مع بلغاريا في 27 تشرين الثاني 1919، وفي 4 حزيران (1920) وقع الحلفاء معاهدة (تريانونن) مع المجر ونصت على ضم كرواتيا إلى صربيا. كذلك ألحق اقليم كوسوفو في البانيا بصربيا مع أن جميع سكانه مسلمون ولا ينتمون إلى الشعوب السلافية ونتج عن كل ما سبق قيام المملكة (الصربية– الكرواتية السلافية)[4].

1 اسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوروبا المعاصر، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، (الرياض، 2003)، ص182.
2 أ. ج. ب –تايلور، الصراع على السيادة في أوروبا، ترجمة: كاظم هاشم النعمة ويوئيل يوسف عزيز، جامعة الموصل، (الموصل، د. ت)، ص553.
3 ياغي، المصدر السابق، ص ص 183–184.
4 درويش، البوسنة والهرسك، ص38.

وقدمت الأيام الأولى للدولة الجديدة للمسلمين حملة دموية بدل المساواة التي وعدوا بها ، وبلغت الحملة حداً دفع بوزير الداخلية س . بريبليتشفيتش (S. Pribicevic) إلى تقديم تقرير رسمي يشير فيه إلى أن استمرار ملاحقة المسلمين ستؤدي إلى نتائج وخيمة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وقد وقفت الحكومة موقف المتفرج مما يجري من احداث متعذرة بعدم امتلاكها لقوات كافية لحفظ النظام ، وقد قتل منذ قيام الدولة وحتى 28 أيلول 1920 أكثر من ألف مسلم بوسني[1] .

ومن أمثلة ما جرى حينها قتل أكثر من 600 مسلم جلهم من النساء والاطفال في قريتي (شاهوفيتش وبافينو بوليه) وهجرة من بقي حياً فراراً من الموت بعد حادث اغتيال بوشكو بوشكوفيتش (Bos'ko Boskovic) المحافظ السابق في 7 تشرين الثاني (1924) واتهام الحكومة المسلمين بقتله[2] .

وامتلأت الصحف حينها بعبارات (الأتراك إلى آسيا) و(هاجروا إلى آسيا) وقد نشرت جريدة ساموأوبرافا (Samouprava) في 1 تموز 1925 ما نصه: "إن اعتناق المسلمين في البوسنة للإسلام هو لطخة عار على الجبين الصربي" . وأمام هذا الوضع المتردي قام عدد من زعماء المسلمين بتأسيس "منظمة المسلمين اليوغسلاف" كحزب سياسي يدخل إلى البرلمان للتخفيف من وطأة الضغط على المسلمين[3] .

وسرعان ما عاد الصراع الصربي –الكرواتي يطفو على السطح عندما حاول الصرب فرض القانون الصربي وإظهار كلمة (الصرب) في المملكة المشتركة بهدف احتواء الشركاء وقد برز ذلك في دستور سنة 1921 ، ناهيك عن كون الكروات والسلوفاك أكثر أموالاً واحسن اقتصاداً من الصرب وبالتالي تؤول ضرائب أموالهم إلى جيوب الصرب مع استئثار الأخيرين بالمناصب العليا في الدولة وقيادات الجيش وفي سنة (1928) قام شاب صربي باطلاق النار على عدد من النواب الكروات في جلسة برلمانية وقتل خلال الحادث زعيم حزب الفلاحين الكروات راديتش (Radic) ، فضلاً عن كون الصرب ارثوذكس والكروات كاثوليك . ونتج عن هذه الأحداث قيام الملك الصربي بطرس الأول (1903-1918) (Peter I) باستبدال اسم المملكة الصربية– الكرواتية السلافية بالمملكة اليوغسلافية[4] .

1 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص193 .
2 حرب ، المصدر السابق ، ص96 .
3 الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص194–195 .
4 درويش ، البوسنة والهرسك ، ص ص 38–39 .

وفي عام 1934 قُتل الملك الكسندر (Alexader) في مرسيليا على يد احد أعضاء الحزب القومي الكرواتي، مما اوقع المملكة اليوغسلافية في حرب اهلية[1].

وقبيل الحرب العالمية الثانية عقدت يوغسلافيا معاهدة مع تركيا لتهجير المسلمين اليوغسلاف اليها مقابل تعويضات مالية بيد أن هذه المعاهدة لم تنفذ نظراً لإصرار المسلمين على عدم ترك أراضيهم، وكانت الحكومة اليوغسلافية قد وضعت خطة لتهجير 40.000 عائلة مسلمة من يوغسلافيا سنة 1939 لكن ذلك لم يتم بسبب قيام الحرب العالمية الثانية[2].

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتلقي بضلالها على الواقع اليوغسلافي المتأزم فأيد الالمان الكروات في حربهم الأهلية في حين خاض الصرب الحرب ضد الوجود الالماني وقد تزعم المقاومة جوزيف بروز تيتو (1953-1980) (Tito) وكان تسليم الصرب قيادة المقاومة لشخص كرواتي رداً على كرواتيا[3].

وقد استطاعت ثورة التحرير بقيادة تيتو وبدعم سوفيتي من طرد القوات الالمانية من كرواتيا واعادة الاستقلال ليوغسلافيا لكن بثمن باهض فقد دمرت اغلب المدن اليوغسلافية ولقي 1 من 9 اشخاص حتفه. وفي 29 تشرين الثاني (1945) اعلن قيام "جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الفيدرالية" وتسلم الشيوعيون الحكم بزعامة تيتو[4].

وضمت الجمهورية الجديدة (كرواتيا وصربيا وسلوفينيا والجبل الأسود ومقدونيا والبوسنة والهرسك مع حكم ذاتي لإقليمي كوسوفو وفويفودين)[5].

أما ما يخص المسلمين فقد تعرضوا في الحرب العالمية الثانية إلى عمليات ابادة مذابح مروعة، فقد قامت القوات الصربية بقتل آلاف المسلمين بحجة الدفاع عن المملكة، وفي المدة (1941–1945) قتل ما يقارب86 الف مسلم، أي ما يعادل 8.1 % من عدد المسلمين حينها[6].

وكان دستور الجمهورية الجديدة قد نص على محافظة يوغسلافيا على حرية المعتقد، لكن الواقع كان مغايراً لذلك، فقد أغلقت المحاكم الشرعية سنة 1946، وفي عام 1950

1 المصدر نفسه، ص40.
2 حرب، المصدر السابق، ص96.
3 درويش، البوسنة والهرسك، ص40.
4 الخوند، المصدر السابق، ص 224.
5 درويش، البوسنة والهرسك، ص41.
6 الارناؤوط، المصدر السابق، ص201.

أُغلقت آخر الكتاتيب التي تدرس القرآن الكريم ، وتم حل كل الجمعيات الإسلامية الثقافية كجمعيات (جايرت – نارودنا – اوزدانيتسا– بريورود)[1] ولم يتم الابقاء الاعلى الجمعية الدينية الإسلامية الرسمية ومدرستين إسلاميتين تخضعان لرقابة مشددة ، وتم اغلاق المطبعة الإسلامية في سراييفو وتولت الدولة ادارة الهيئة المشرفة على الاوقاف[2] .

وأعاد الحزب الشيوعي اليوغسلافي العمل بخطة التهجير لإبعاد المسلمين والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم ومصادرتها لحساب الدولة ، وترك المسلمون كل ما لديهم لانقاذ أرواحهم وأعراضهم ودينهم مهاجرين إلى تركيا ، وبلغ عدد العائلات المهاجرة من النظام اليوغسلافي –من الأتراك فقط– إلى تركيا في الفترة (1952–1967) (46.238) عائلة تضم (175.392) نسمة[3] .

وفي كانون الثاني 1974 صدر الدستور الجديد الذي نص على قيام جمهورية البوسنة والهرسك كجزء من دولة يوغسلافيا فانزاح بذلك هم كبير جثم على صدور المسلمين لمدة طويلة وظهر الكثيرون ممن كانوا يخفون إسلامهم وأكبر دليل على ذلك أن نسبة المسلمين في البوسنة كانت 25% سنة (1961) وبعد أن خفت حدة الاضطهاد عام 1971 أصبحت النسبة 39% ثم ارتفعت سنة 1988 لتصل إلى 56% [4] .

كان تيتو شيوعياً متعصباً وقد اعتمد في حكمه على مجموعة مخلصة له من الشرطة السرية (اوزنا) للقضاء على معارضيه ، كما حاول القيام بخلق توازنات بشرية تساهم في استقرار نظامه فشجع الهجرات الصربية إلى البوسنة والهرسك واقليم كوسوفو وحولت المساجد . الكنائس في عهده إلى متاحف آثار وهدم الكثير منها ومنع تدريس الدين في المدارس واخضع رجال الدين إلى مضايقات كثيرة واصبحت الأديان في عهده أثراً بعد عين[5] .

ومنذ أواخر عهد تيتو بدأت الصحافة الصربية تختلق وجود خطر على الشعب الصربي ممثل في تحالف (كاثوليكي– إسلامي) وأصبح (خطر الإسلام) على يوغسلافيا من القضايا

1 نجيب ، المصدر السابق ، ص86 .
2 الفريضي ، المصدر السابق ، ص30 .
3 محمد حرب ، الإسلام في آسيا الوسطى والبلقان ، ط2 ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت ، 1995) ، ص ص 217–218 .
4 الفريضي ، المصدر السابق ، ص30 .
5 درويش ، البوسنة والهرسك ، ص41 .

المفضلة لدى الصحافة الصربية؛ فقد وجدت في سياسة تيتو وتعزيز علاقاته بالدول العربية والإسلامية قضية تثيرها ضده، واصبحت سياسته بحسب الصحف الصربية مسؤولة عن إنعاش الإسلام في يوغسلافيا[1].

وكان اعتراف الحكومة اليوغسلافية في قرار اصدرته سنة 1973 بأن المسلمين قومية خاصة حدثاً بارزاً، ويشير بعض المؤرخين إلى أنه أكبر حدث في تاريخ الإسلام في أوروبا في القرن العشرين لانه بمثابة قيام ولاية إسلامية (البوسنة والهرسك) وسط أوروبا[2].

ومن وجهة النظر الصربية أصبح افتتاح كلية الشريعة الإسلامية في سراييفو 1977 يمثل مصدر "الخطر الإسلامي"، واشارت الصحف الصربية إلى ازدياد نسبة الولادات لدى المسلمين مما سيجعلهم وخلال ربع قرن فقط ما نسبته 75% من سكان يوغسلافيا، وكان الشارع الصربي معبأ ضد المسلمين منتظراً المنقذ وقد تصدى للموقف حينها سلوبودان ميلوسيفتش (S. Milosevic) زعيم الحزب الشيوعي وقائد انقلاب 1987 [3].

وفي تشرين الثاني 1989 أفرجت السلطات اليوغسلافية عن علي عزت بيجوفتش (Ali Izet Begovic) (1990-1996)، وأسس في ايار 1990 حزب العمل الديمقطراي، بيد أن انشقاقاً حدث في قيادة الحزب بين علي عزت بيجوفتش وعادل ذو الفقار الذي انفصل عن الحزب ليؤسس (المنظمة الإسلامية البوسنوية) في أيلول 1990 [4] وفي أول انتخابات أُجريت في كانون الأول 1990 فاز حزب العمل الديمقراطي بـ86 مقعداً من اصل 240 مقعداً في البرلمان البوسني – الهرسكي[5].

طعنت صربيا في نتائج الانتخابات وكذلك في شرعية الرئيس الجديد علي عزت بيجوفتش، وادعت أن حزبه قام على أساس ديني إسلامي وهذا مخالف للقانون، وكانت نوايا الصرب قد ظهرت وبشكل مبكر قبل الانتخابات بسنتين على لسان الزعيم الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في الاحتفال بذكرى موقعة (سهل كوسوفو) قبل 600 سنة من ذلك التاريخ قائلاً: "على كل صربي أن لا ينسى المجزرة التاريخية التي أنزلها أبناء الأتراك المسلمين هنا على ارض كوسوفا، فعلينا أن نحشد جميع قواتنا لنثأر لأجدادنا من أعداء تاريخنا،

1 الارناؤوط، المصدر السابق، ص212.
2 حرب، البوسنة والهرسك، ص97.
3 الارناؤوط، المصدر السابق، ص ص 212-213.
4 نجيب، المصدر السابق، ص 91.
5 حرب، البوسنة والهرسك، ص ص 99-100.

وعلينا أن نطرد المسلمين من أرضنا وأن نلحق بهم العار الذي ألحقوه بنا في الماضي"[1].

اعلن الكروات في صيف 1991 الانفصال عن الحكومة الفيدرالية التي يسيطر عليها الصرب فعلياً، فثارت الاقلية الصربية داخل كرواتيا وطلبت تدخل الجيش الاتحادي فكانت بداية الحرب الاهلية ثم حذت جمهوريات أخرى حذو كرواتيا[2].

ثم انفصل صرب البوسنة عن البوسنة والهرسك وقد علق الرئيس البوسني بيجوفتش على ذلك قائلاً: «لن نسمح بتمزيق البلاد بعد أن قرر صرب البوسنة والهرسك اعلان استقلالهم»، وأذاع في راديو زغرب انه ضد انفصال الصرب عن البلاد[3].

وقد حدثت اشتباكات ومواجهات مسلحة في كانون الأول 1991 بين مؤيدي الاستقلال من المسلمين ومؤيدي الانضمام إلى كرواتيا من الكروات والصرب المتمسكين بالجمهورية اليوغسلافية الاشتراكية[4].

تزامن ذلك مع انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين واصبحت يوغسلافيا السابقة ست جمهوريات واقليمين وهي: (صربيا وعاصمتها بلغراد، وكرواتيا وعاصمتها زغرب، وسلوفينيا وعاصمتها لوبيانا، والبوسنة والهرسك وعاصمتها سراييفو، ومقدونيا وعاصمتها اسكوبيا، والجبل الأسود وعاصمته تيتوغراد)، أما الإقليمان فهما: كوسوفو وعاصمته بريشتينا، وفويفودين وعاصمته نوفياد) ثم قامت صربيا بضم كوسوفو والجبل الأسود إلى أراضيها على الرغم من أن اقليم كوسوفو ذو غالبية إسلامية 93%[5].

وفي آذار 1992 أعلنت البوسنة والهرسك استقلالها بناء على استفتاء شعبي بنسبة 99.43% اعلنه الرئيس البوسني علي عزت بيجوفتش، وكان اعلان الاستقلال خطوة ضرورية لضمان امن المسلمين في البوسنة وانشاء كيان سياسي يدفع عنهم ارهاصات الحرب القادمة، وهي خطوة ذكية لوضع المجتمع الدولي والأوروبي خاصة أمام التزاماته الإنسانية تجاه مسلمي البوسنة والهرسك[6].

بدأت صربيا تنقل أعداداً كبيرة من الجيش اليوغسلافي إلى البوسنة لإجبارها على إلغاء

1 الداغر، المصدر السابق، ص327.
2 الفريضي، المصدر السابق، ص ص 31-32.
3 حرب، البوسنة والهرسك، ص101.
4 الخوند، المصدر السابق، ص225.
5 درويش، البوسنة والهرسك، ص42.
6 الفريضي، المصدر السابق، ص32.

قرار الاستقلال وعندما رفض البوسنيون التراجع بدأ الصرب هجوماً واسعاً على البوسنة بتاريخ 27 آذار 1992 [1].

البوسنة وحرب الإبادة الصربية

قبل الحديث عن الاعتداء الصربي على الأراضي البوسنية يجب الوقوف عند الدافع الاقتصادي والجيوستراتيجي للحرب. فعلى الرغم من أن الدافع الديني كان الأهم والأبرز، وقد تجلّى ذلك من خلال أحاديث وتصريحات الزعامات الصربية المتطرفة لكن في الخفاء كان العامل الاقتصادي احد محركات السياسية الصربية نحو الحرب، فالصندوق المالي لجمهورية يوغسلافيا الاشتراكية كان يدعمه مقدار مساهمة كل جمهورية على حدة، وكانت البوسنة والهرسك وكرواتيا من أكبر المسهمين في دعم الصندوق حيث تطلان على 90% من الساحل الأدرياتيكي وهو المنفذ الوحيد لصربيا وهو نقطة تجارية نشطة[2] فضلاً عن جماله مما جعله محطة جذب فقد بلغ عدد السياح الاجانب عام 1975 ما يقارب (6) ملايين سائح اسهموا بما نسبته 70% من دخل الصندوق من العملات الصعبة، فضلاً عن الثروة السمكية وكون البوسنة المصدر الأساس للحديد الخام. وأن إنتاج البوسنة للكهرباء وصل إلى 65% من الانتاج الكلي للجمهورية اليوغسلافية[3] ومن ثم فإن خسارة صربيا للبوسنة يفقدها أكبر ممول لصندوق الاتحاد ناهيك عن خسارة المنفذ البحري الوحيد لصربيا، ويحولها إلى دولة مغلقة ذات ثقل سكاني كبير، أما البوسنة والتي كان دعمها للصندوق يصل إلى 35% فكانت نسبة ما تحصل عليه 13% فقط من نفقاته[4].

وبعد اعلان الحرب قامت القوات الصربية بحرب ابادة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً معتمدة سياسة القتل والاغتصاب والهجير والتدمير تجاه مسلمي البوسنة، إذ بلغت جملة النساء المسلمات اللواتي أُغتصبن في السنة الأولى للحرب (50) الف فتاة، وقد جاء في وثائق الجمعية الاغاثية الالمانية ما نصه: "ان امرأة في الاربعين من عمرها كانت معتقلة في معسكر ترنوبولوجي الصربي تقول "لا أدري كم مرة أخذوني من النوم ليغتصبوني جميعاً" وكانت

1 نجيب، المصدر السابق، ص ص 93-94.
2 الارقم الزعبي، قضية البوسنة والهرسك دراسة تاريخية وإنسانية، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1993)، ص ص 40-41.
3 عبد الرحمن حميدة، جغرافية اوربة الشرقية والاتحاد السوفيتي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، 1984)، ص ص 39-43.
4 الزعبي، المصدر السابق، ص41.

هذه العمليات تتم بصورة جماعية .

ونقلت صحيفة بريطانية عن أحد الجنود الصرب قوله: "إن العالم الإسلامي لا يبالي بما يجري هنا في البلقان ، فدعنا نتخلص منهم إلى الابد" قاصداً بذلك المسلمين . وكان من سياسة الصرب رسم الصليب على جثث القتلى المسلمين ومن ثم نقلها في شاحنات إلى مصانع الاعلاف ، واضافة بعض المواد الكيميائية اليها وطحنها لتصبح غذاء للحيوانات .

ونقلت شبكة (C.N.N) الاخبارية الأمريكية عبر نشرتها لقطات تظهر وزير الاعلام الصربي وهو يلعب كرة القدم بجماجم المسلمين بطريقة استفزازية أمام مراسلي التلفزة العالمية[1] .

وعمدت القوات الصربية إلى بقر بطون النساء الحوامل من المسلمات والتمثيل بالأجنة وتقطيع الاثداء ، وذبح الشباب وتقطيع الأعضاء التناسلية ، واجبار قسم منهم على اعتناق الارثوذكسية[2] .

ومع قدوم كانون الأول 1992 كانت القوات الصربية والمليشيات البالغة (200) الف مقاتل بزعامة رادوفان كراجيتش (Radovan Karadzic) مع أكثر من (100) الف جندي من الجيش اليوغسلافي الاتحادي قد سيطرت على أكثر من 70% من أراضي البوسنة . أما الكروات فقد اقاموا في البوسنة دولة مستقلة استقلالاً ذاتياً عاصمتها (موستار) ولم يبق للمسلمين سوى (10) آلاف كم2 ، وقد بلغت خسائر المسلمين منذ اندلاع الحرب حتى أواخر 1992 قرابة الـ (50) الف قتيل و(50) الف جريح و(850) الـف لاجئ ، وهدم (612) مسجداً من اصل (2000) مسجد[3] .

ومن أمثلة جرائم الصرب قيام قواتهم بإحراق مائة مسلم وهم أحياء في منطقة (جراسيكا) وجاء في تصريح للزعيم الصربي رادوفان قائلاً: "إن جنود الصرب يدخلون بيوت المسلمين أمرين الرجال بخلع ملابسهم ويقتلون المختن منهم ويعتدون على اعراض النساء" .

أما في منطقة (براتوناج) فقد قامت القوات الصربية بقتل (2500) مسلم بعد أن عصبت عيونهم وقطعت أيديهم وأرجلهم وأعضائهم التناسلية ثم حرقت جثثهم وفي مدينة موستار

1 الداغر ، المصدر السابق ، ص327 .
2 المصدر نفسه ، ص328 .
3 الخوند ، المصدر السابق ، ص226 .

قتل الصرب 350 مسلماً دفنوا في مقبرة جماعية[1].

وعلى الصعيد العمراني فقد كانت التدمير انتقائياً وليس عشوائياً فقد تم تدمير كل ما يتعلق بمقومات الحكم والادارة والهوية والتاريخ، وكانت دار الكتب أول ما تم تدميره وهي تحوي على عشرات الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية، تلاه مبنى البرلمان والبلدية والبرق والبريد والهاتف والمتاحف والعمارات السكنية والتجارية، فلم يكن الأمر مجرد ابادة شعب بل هو محو هوية وإزالة كيان، ومن ثم كان الدمار للمآذن والمساجد بصورة خاصة ولم تسلم حتى القبور من الدمار، وكان عدد المقابر التي حفرت في سراييفو وحدها خلال ألف يوم من حصارها (13) ألف مقبرة منها (1500) مقبرة للأطفال[2].

وكان الساسة الصرب يتبجحون للإعلام بجرائمهم ففي تصريح لسيمون دليكا (Simon Delica) قائد الشرطة الصربي يقول: "إن امام بلاده مهمة تاريخية هي حماية أوروبا من الإسلام"، وقال فوشتيك في معرض حديثه لمجلة (دير شبيجل) الالمانية يقول: "لقد قتلت بيدي مئات المسلمين، وقمت شخصياً بإطلاق الرصاص على الاسرى المسلمين للقضاء عليهم" وعندما واجهته المجلة بالمعاهدات الدولية التي تحرم قتل الاسرى قال إنه لم يجد سيارات تقلهم فوجد أن قتلهم أرخص"[3].

أما التفوق العسكري الصربي فتقف وراءه عدة أسباب اهمها:

1 – الاستفادة من الزخم العسكري والاداري لدى العناصر الصربية، وكما أشرنا سابقاً فإن صربيا لا تتمتع بميزات اقتصادية وتجارية كبيرة لذلك لجأ الصرب نحو الاعمال الاستهلاكية واحتراف المهن العسكرية فهم يشكلون 80% من تعداد الجيش اليوغسلافي وهذا ما يفسر قوة الصرب العسكرية على حساب تواضع القوة العسكرية للبوسنة والهرسك[4].

2 – استيلاء الصرب على كل الاسلحة والعتاد الحربي الذي كان لدى الاتحاد اليوغسلافي السابق[5].

3 – وضعت القوات الصربية يدها على ميزانية الخزينة الفيدرالية بعد أن أعلنت كرواتيا

1 حرب، البوسنة والهرسك، ص ص 128-129.
2 أحمد منصور، تحت وابل النيران في سراييفو، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1995)، ص 39.
3 حامد عوض الله، التين والزيتون والبوسنة والهرسك، ط1، رسالات إعلاء كلمة الله، (الشرقية، 1993)، ص ص 100-101.
4 الزعبي، المصدر السابق، ص41.
5 الداغر، المصدر السابق، ص328.

والبوسنة والهرسك الاستقلال وقد بلغت نسبة ما استولت عليه من الأموال (20) مليار دينار[1].

4 – يغلب على القيادة الصربية الطابع الطائفي ورغبتها في القضاء على الاخر وتذكير جنودها باستمرار بهزائمها أمام العثمانيين، والتأكيد على مسألة الثأر لتلك الهزائم كما رأينا في تصريح سلوبودان ميلوسوفيتش السابق.

5 – استخدام حرب الاعلام واتهام المسلمين بما يسيء للإسلام، مثل: (المتعصبون، الخمينيون، الارهابيون وغيرهما)[2].

6 – وجود أعداد كبيرة من الصرب والكروات وسكان الجبل الأسود ضمن الأراضي البوسنية سبب في سقوط المناطق التي يسكنونها بيد الصربيين أو الكروات دون قتال وشكل البعض منهم مليشيات لمساندة القوات الصربية لتطهير المناطق والقرى من البوسنيين[3]. ناهيك عن الموقف الدولي المتخاذل والمماطل تجاه ما يجرى للمسلمين من حرب ابادة مهد الطريق للصرب للاستيلاء على معظم أراضي جمهورية البوسنة، كما سيأتي ذكرها لاحقاً.

الموقف الدولي ومحاولات حل الازمة

الموقف العربي والإسلامي

نددت الدول الإسلامية والعربية بالاعتداء الصربي على البوسنة والهرسك سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي لاسيما بعد توجه الرئيس البوسني علي عزت بيجوفتش لطلب المساعدة والمساندة من الدول الإسلامية وتحركت الدول الإسلامية في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المنعقد في بالي باندوسيا للفترة من 16–17 حزيران 1992 فأصدرت قراراً بالاحترام الكامل لأراضي البوسنة والهرسك والانسحاب الفوري لكافة القوات الأجنبية من أراضيها، وفي مؤتمر وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامي والمنعقد في اسطنبول بتركيا في 17 حزيران 1993، ندّدت في قراراتها بالاعتداء الصربي وطالبت بفرض حظر اقتصادي وتجاري ونفطي على صربيا والجبل الأسود، ودعا الأعضاء هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لاتخاذ اجراءات أخرى إذا لم تحقق العقوبات أهدافها[4].

1 الزعبي، المصدر السابق، ص41.
2 الداغر، المصدر السابق، ص328.
3 الزعبي، المصدر السابق، ص63.
4 صبري فالح الحمدي، قضايا تأريخية عربية ودولية، ط1، شركة دار الحوراء للتجارة والطباعة والنشر، (بغداد، 2006)، ص 165.

وأكدت دول المؤتمر الإسلامي في مؤتمر القمة السابع والمنعقد في الدار البيضاء للفترة 13–15 كانون الأول 1994 على سيادة واستقلال أراضي جمهورية البوسنة والهرسك، وأعلن المؤتمر عن استيائه وادانته للهجمات الصربية على أراضي البوسنة، وأشار القرار إلى قلق الدول الأعضاء من ضعف الدور الذي تقوم به قيادة قوات الأمم المتحدة وعدم اتخاذها لأي تدابير فعالة لردع الهجمات الصربية والكرواتية على منطقة بيهاتش البوسنية الآمنة[1].

الموقف الأوروبي

إن الموقف الأوروبي تجاه حرب الإبادة الصربية يمكن أن يفهم في أربعة اتجاهات هي:

1 – اتجاه يدعو إلى تقسيم يوغسلافيا وقد تزعم هذا الاتجاه كل من المانيا والنمسا وبدعم إيطالي وكانت المانيا أول دولة تعترف باستقلال كرواتيا احياء للرغبة الالمانية القديمة بالتوسط في شرق أوروبا، كما تعاطفت المانيا مع البوسنة والهرسك داعيةً لاستخدام القوة ضد الصرب نظراً لعدائها السابق معهم.

2 – موقف يخشى التقسيم وهو موقف اليونان لأنه سيؤثر على الأقليّات الموجودة على ارضها، فاستقلال مقدونيا يحرك الجزء المقدوني في اليونان لذلك لعبت دوراً أساسياً في منع الدول الأوروبية من استخدام أي إجراء عسكري ضد صربيا.

3 – موقف غير مبال ظاهرياً ومؤيد للصرب من الداخل وهو الموقف البريطاني وكان يدعم صربيا للحد من النفوذ الالماني وكان الوسطاء من الساسة البريطانيين يلجؤون إلى تهديد وتحذير الطرف البوسني والضغط عليه لصالح الصرب، وقد عارضت بريطانيا دائماً فكرة التدخل العسكري ضد صربيا بحجة حماية أفراد قوات الأمم المتحدة في البوسنة[2].

4 – أما الموقف الروسي هو أكثر المواقف وضوحاً وفاعلية في دعمه للصرب وفي خرقه لقرارات الحظر المفروضة على الصرب، حتى أن صحيفة بولتيكا اليوغسلافية قالت: "إن هناك ضغوطاً روسية قوية على أمريكا وفرنسا لوقف التدخل العسكري لدرجة أن ميتران عدل عن موقفه بعد الضغط الروسي وندد بمثيري الحروب الذين يطالبون فرنسا بالتدخل العسكري في البوسنة، كما أكد أحد الساسة الروس أن يوغسلافيا خط أحمر بالنسبة للروس وأن يلتسن (1991-1999) (Yeltsin) على استعداد لخلق اضطرابات في العلاقات

1 منظمة المؤتمر الإسلامي، الدار البيضاء/المغرب، بشأن البوسنة والهرسك، قرار 7/6 – س (ق. أ).
2 نزار سمك، البوسنة والميراث الدامي، ط2، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، (القاهرة، 1997)، ص ص 81–82.

الروسية –الأمريكية إذا طالبت الأخيرة بتدخل عسكري ضد الصرب[1].

موقف هيئة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي

أصدرت هيئة الأمم المتحدة عدة قرارات كانت غالبيتها غير فعالة بل كان لبعضها تأثير سلبي على الوضع البوسني، فمع بداية عام 1993 هددت دول الاتحاد الأوروبي بفرض الحصار الاقتصادي على صربيا في حال رفضها لخطة السلام وقد قبل الكروات في البوسنة باتفاق السلام في حين رفض الصرب تلك المبادرة.

وفي 8 نيسان 1993 أصدرت محكمة العدل الدولية في لاهاي حكماً يدين صربيا بارتكاب جرائم ابادة ضد شعب البوسنة. وفي الفترة 10–14 آيار 1993 وصلت قوات الأمم المتحدة إلى مدينة جيبا شرقي البوسنة فوجدتها قد احرقت من قبل الصرب[2].

أما ما يخص المقاطعة – الحصار الاقتصادي – فقد كان غير مجد؛ لقيام اوكرانيا بتزويد صربيا بالنفط، ناهيك عن تزويد روسيا والكيان الصهيوني لصربيا بالأسلحة ضاربين بعرض الحائط قرار الأمم المتحدة الخاص بمنع بيع الاسلحة للأطراف المتحاربة في يوغسلافيا، وبما أن الاسلحة كانت تصل إلى الصرب فإن المسلمين وحدهم كانوا يدفعون ثمن تلك القرارات فقد كانت كرواتيا تصادر أي اسلحة متوجهة صوب البوسنة على الرغم من قلتها[3].

أما بالنسبة للتدخل العسكري فقد هدد كاراجيتش بضربات نووية في حال قرر الغرب التدخل العسكري في البوسنة بالمقابل وجهت الولايات المتحدة الأمريكية تحذيراً شديد اللهجة لصرب البوسنة بهدف منعهم من خنق سراييفو[4] وعلى صعيد متصل فقد نجحت المباحثات الصربية – الكرواتية في التوصل إلى اتفاق لوقف اطلاق النار واتفق الطرفان على خطة لتقسيم البوسنة والهرسك على أن يترك 15% للمسلمين، أما الصرب الذين يشكلون 31% من السكان فيأخذون ما نسبته 70% من أراضي البوسنة والهرسك وهذا ما ادى إلى حدوث مصادمات بين المسلمين والكروات[5].

الوساطة الأمريكية وعقد اتفاقية دايتون

عقب اندلاع الأزمة البوسنية عبر الرئيس الأمريكي جورج بوش (George Bush)

1 المصدر نفسه، ص ص 83–84.
2 الخوند، المصدر السابق، ص226.
3 الزعبي، المصدر السابق، ص ص64–65.
4 الخوند، المصدر السابق، ص226.
5 حرب، البوسنة والهرسك، ص ص 118–119.

(1989-1993) عن استيائه لتطورات المواجهة العسكرية، وكتب إلى الزعيم الصربي ميلوسوفيتش قائلاً: "في حال وقوع صراع يسببه عمل صربي فإن الولايات المتحدة ستكون مستعدة لاستخدام القوة العسكرية ضد الصربيين" لكن الأحداث التالية تشير إلى عدم جديته في اعتماد الحل العسكري[1].

إن النشاط الدبلوماسي الأمريكي كان واضحاً وقد نجحت محاولات الولايات المتحدة في عقد اجتماع ضم وزراء خارجية البوسنة والهرسك وكرواتيا وصربيا في جنيف يوم 8 أيلول 1995، وفي تشرين الثاني من السنة ذاتها بدأت محادثات السلام بين الاطراف الثلاثة في قاعدة رايت باترسون التابعة لسلاح الجو الأمريكي قرب دايتون في ولاية اوهايو الأمريكية، وفي 21 تشرين الثاني 1995 اعلن الرئيس الأمريكي بيل كلنتون (Bill Clinton) (1993-2001) توصل كل من الرؤساء علي عزت بيجوفتش (البوسني) وتوجمان (الكرواتي) وميلوسوفتش (الصربي) إلى اتفاق سلام، ابرز ما جاء فيه:

1 – بقاء البوسنة دولة واحدة داخل حدودها الحالية وتتكون من قسمين: الأول – اتحاد فيدرالي بوسني– كرواتي، والثاني – جمهورية صرب البوسنة.

2 – تبقى العاصمة سراييفو موحدة وتقوم فيها حكومة مركزية فعالة تشمل برلماناً وطنياً ورئاسة الدولة ومحكمة دستورية وتتولى الحكومة السياسية الخارجية وشؤون الجنسية والهجرة والمسؤوليات المهمة الأخرى.

3 – يكون انتخاب رئاسة الدولة والبرلمان عن طريق انتخابات حرة ديمقراطية وبإشراف دولي.

4 – تشرف قوة دولية على الفصل بين القوات[2].

وفي نيسان 1996 عقد في بروكسل مؤتمر للدول المانحة بهدف اعادة اعمار البوسنة كما حض المؤتمر الإسلامي المنعقد في طهران الدول الإسلامية والمجتمع الدولي لاتخاذ التدابير اللازمة لإعادة إعمار البوسنة وطالب أيضاً بصون وحماية سيادة البوسنة والهرسك وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي في اطار حدودها المعترف بها[3].

1 الحمدي، المصدر السابق، ص ص 161–162.
2 الخوند، المصدر السابق، ص227.
3 منظمة المؤتمر الإسلامي، طهران، بشأن المساعدة الاقتصادية لمسلمي البوسنة والهرسك، قرار رقم 11/-8 أق (ت. أ).

سادساً: الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي

يتكون الاتحاد السوفيتي من أكثر من 100 قومية ويتكلمون 89 لغة رسمية، فالقسم الأوروبي يتغلب فيه العنصر السلافي والاوكراني والروس البيض، أما مرتفعات القفقاس فهي ذات تنوع إسلامي نصراني مع فلاحين من اصول فارسية رعاة اغنام من اصول تترية، أما في اوزبكستان وقيرغزستان فتختلط اقوام الطاجيك والاوزبك والكازاخ[1].

الإسلام والاتحاد السوفيتي:

لم تؤمن روسيا منذ تأسيسها بدين أو عقيدة وظلت على وثنيتها حتى نهاية القرن العاشر الميلادي عندما تولى العرش الامبراطور فلاديمير الأول (Vladdimir I) (978-1015) ورأى انه حان الوقت لاختيار دين لروسيا وترك عبادة الاصنام وبدأ يتعرف على الاديان، فرفض اليهودية لأن شعبها مشتت بعد خروجه من القدس، ورفض الإسلام لأنه دين يحرم الخمر والعلاقات النسائية، ورفض المسيحية الكاثوليكية لأنه سيخضع لسلطة الكنسية، ولأنها خالية من الخشوع بحسب رأيه، فقرر اعتناق الارثوذكسية منذ سنة (988م)[2].

وصل الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر والقوقاز سنة 22هـ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– ثم انتشر في عهد الدولة الأموية على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي وسرعان ما انتشر في بخارى وما وراء النهر والقوقاز[3]، ويقدر عدد المسلمين في الجمهوريات الإسلامية التابعة للاتحاد السوفيتي حتى عام 1970 بـ(77) مليون نسمة، في حين تزعم روسيا انهم (44) مليوناً فقط وهم يمثلون ربع السكان في الاتحاد. والجمهوريات الإسلامية هي:

1 – أذربيجان

2 – أوزبكستان

1 المصدر نفسه، ص251.
2 الداغر، المصدر السابق، ص ص 211-212.
3 الخوند، المصدر السباق، ص301.

3 – تركستان

4 – كازاخستان

5 – قيرغيزستان .

6 – طاجيكستان .

7 – جمهورية القرم الإسلامية التي الغيت على يد الروس سنة 1922 وضمت إلى أوكرانيا وفضلاً عن ذلك يضم الاتحاد السوفيتي مسلمين ينتشرون في تتاريا وباشكريا وموردوف وماري جوفاش وارمينيا وجورجيا واوكرانيا وموسكو[1] .

روسيا وخانات القرم من التبعية إلى الاحتلال

كانت روسيا إمارة تابعة للنفوذ السياسي للملكة التترية في قازان وقد استطاع أمير موسكو فاسيلي (Vasily) (1425-1462) أن يوحد المدن السلافية المهمة موسكو وكييف وياروسلان تحت سلطته ، لكنه برغم ذلك بقي تابعاً لنفوذ التتر . وقد خلفه في الحكم ابنه ايفان الثالث (Ivan III) (1462-1505) وقد طور الأخير امكانات موسكو العسكرية فقويت شوكته وامتنع عن أداء الجزية ، وعندما حاول ملك قازان أحمد شاه اخضاعه فشل وسقطت هيبة الخانات المسلمة الواحدة تلو الأخرى[2] .

وبعد تولي القيصر ايفان الرابع (الرهيب) Ivan IV (1530-1584) للحكم ، أخذ يتوسع في البلاد وفي سنة 1552 استولى على قازان العاصمة التترية وارتكب فيها اعمال القتل الوحشية التي أضفت عليه لقب (الرهيب) فقد أمر بقتل كل ذكر ما عدا الاطفال ، وفي سنة 1556 استولى على استراخان الواقعة شمال بحر قزوين في دلتا نهر الفولغا ، وفي سنة 1581 استولى أحد القوازق[3] على منطقة سيبريا وكان هذا الشخص محكوماً عليه بالموت من قبل ايفان الرابع ، فقدم سيبريا هدية للأخير بهدف كسب رضاه ونيل عفوه وبذلك امتدت مساحة روسيا شمال بحر قزوين[4] .

1 زكي الشيخ حسين عثمان كتانة ، وسقطت الشيوعية صورة عن الفشل الشيوعي في العالم ، ط1 ، المكتب الإسلامي ودار عماد ، (بيروت ، عمان ، 1990) ، ص112 .

2 وليد ابراهيم العنجري ، الدعوة الإسلامية في شمال القوقاز في المدة من عام 1412 هـ حتى 1420هـ ، مؤسسة الرسالة والدار العامرة ، (دمشق ، 2009) ، ص60 .

3 تعني كلمة القوزاق في بعض اللغات التركية القديمة (الخارجون عن القانون) .

4 احسان حقي ، افغانستان نشأتها وكفاحها ، ط1 ، دار الفكر ، (دمشق ، بيروت ، 2004) ، ص ص 192–193 .

وهاجم الروس سنة1584 خانات القرم لكن المساعدة العثمانية لعبت دوراً في افشال الهجوم وانتكاسة الجيش الروسي وفي العام ذاته توفي ايفان الرهيب، وفي الفترة 1585–1605 تركزت هجمات الروس للسيطرة على القوقاز وهوجمت داغستان وكباردين، لكن جهاد القوقازيين والشراكة والعثمانيين حال دون سقوطها، لكن ذلك لم يمنع الروس من اقامة قلاع ومستوطنات ونقل القوزاق الموالي لهم إلى المناطق التي سيطروا عليها[1].

وما إن جاءت سنة 1695 حتى حاول القيصر بطرس الأكبر الوصول إلى مياه البحر الأسود الذي كان حينها تابعاً للدولة العثمانية واشترك القيصر بنفسه في الهجمات على حصن آزوف التركي المطل على البحر الأسود عند مصب نهر الدون، واستطاع سنة 1696 احتلال ميناء آزوف وبذلك أصبح للروس منفذ على البحر الأسود[2].

وقد حاول بعد ذلك في سنة 1711 احتلال القرم إلا أنه هزم هزيمة كبيرة، ثم حاول التقدم صوب مدينة دربند الداغستانية ومدينة أذربيجان إلا أنه أجبر على التراجع والانكفاء بعد أن صد هجومه السلطان الصفوي.

وقد لاقى المسلمون في سيبريا والفولغا وقازان خلال الفترة 1738–1755 صنوف العذاب والقمع ففي قازان وحدها تم تدمير (418) مسجداً من أصل (536) وتنوعت أساليب التهجير والقمع وفرض التنصير القسري، فقد كان القانون القيصري يحرم اعتناق أي دين غير المسيحية الارثوذكسية، وفي سنة 1783 دخلت الجيوش الروسية القرم وبسقوطها انهارت آخر معاقل المقاومة التترية المسلمة واعلنت كاترين الثانية (1762-1796) (Catherine II). ضم القرم إلى الامبراطورية الروسية[3].

جهاد المسلمين القوقاز في العهد القيصري

يقسم شمال القوقاز إلى ثلاث مناطق الشرقية منها داغستان، والوسط (الشيشان) وفي الغرب تركستان[4] وقد بدأت حركة الجهاد الإسلامي في شمال القوقاز بقيادة الشيخ منصور الشيشاني أحد مشايخ الطرق الصوفيّة والذي تمكن في الفترة (1785–1791) من توحيد

1 العنجري، المصدر السابق، ص ص 61–62.
2 ميلاد . أ. المقرحي، تاريخ اوبا الحديث 1453–1848، ط1، منشورات جامعة قار يونس، (بنغازي، 1996)، ص239.
3 العنجري، المصدر السابق، ص62.
4 كتانة، المصدر السابق، ص118.

حركة المقاومة ضد الروس حتى استاءت منه السلطة الروسية والقي القبض عليه وتم سجنه وتوفي داخل السجن عام 1793 [1].

بعد ذلك بدأت ثورة في داغستان قادها الامام مولاي محمد بعد أن أكد في خطبة القاها سنة 1824 على أهمية جهاد الروس وترك ملذات الدنيا وسرعان ما انتشرت دعواه في أنحاء داغستان والشيشان واسس حركة (المريدون). وبدأت تطلق شعاراتها المعادية للروس ومنها: "الجنة تحت ظلال السيوف، جميع الروس لا يدينون بدين. من شروط الإسلام كره الروس. كل ما هو عائد للروس فهو محرم على المسلمين. لا يقبل الدين قطعياً ذهاب المريض للعلاج عند الاطباء الروس. كل شخص لا يحارب الكفرة مصيره إلى جهنم وغير ذلك". وبعد مدة قصيرة بايعته جميع الشعوب الشركسية ما عدا (خان الاوار) وعاصمتهم (خونزاخ) فشن مولاي محمد حملة عليهم لكنه لم ينجح في هزيمتهم، وفي عام 1830 ارسل الروس جيشاً كبيراً إلى داغستان للقضاء على حركة المريدين لكن المجاهدين ضفروا بهم وشنوا عليهم في الغابات عمليات خاطفة الحقت بهم الهزيمة وحاول عام 1831 السيطرة على مدينة (باراثول) الروسية وكاد ينجح في اقتحامها لولا وصول النجدات الروسية، وهاجم قلعة (ونسبانايا) في سهول داغستان الشمالية وحاصرها لفترة ثم انسحب واشتبك مع الروس في معارك في غابات داغستان والحق بهم هزائم كبيرة، وتمكن عام 1831 من فتح مدينة (قبزليار) على نهر الترك واستولى على كميات كبيرة من الغنائم واسر (200) روسي، لكن الروس شنوا سنة 1832 حملة على مدينة (غيمري) بهدف القضاء على حركة المريدين وتدمير المدينة بالكامل وخلال العمليات اصيب مولاي محمد بجراح استشهد على أثرها[2].

وجاءت المرحلة الثالثة على يد الشيخ شامل الذي استطاع توحيد قوميات المنطقة تحت راية الإسلام، وقد استجابت لدعوته شعوب الداغستان والاوار والقوموق والدارغين والشيشان في شمال شرق القوقاز، فضلاً عن الشركس في الشمال الغربي.

ومنيت القوات الروسية على يده بخسائر فادحة مما اضطر القيصر الروسي إلى إخلاء الشيشان ومواقع عديدة في داغستان بعد أن حررها المجاهدون وأقاموا حكم الشريعة فيها، وفي سنة 1845 حشدت القوات الروسية (30) ألف مقاتل لشن هجوم على منطقة دارغو

1 الداغر، المصدر السابق، ص217.

2 محمود عبد الرحمن، تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2010)، ص ص 60-64.

لكن الروس هزموا هناك بعد أن فقدوا (4) آلاف قتيل كما غنم المجاهدون معظم معداتهم.

ومـا إن انتهـت حرب القـرم مع الدولة العثمانيـة 1856 حتى وجه الروس ثقل قواتهم لمواجهة الشيخ شامل[1].

وخلال سـنة 1858 اسـتطاع الروس احتلال الشيشـان وشرقي داغسـتان وبعد عام من ذلك التاريخ سـلم الشيخ شامل نفسه للمعسـكر الروسي ورحب به القيصر الاسكندر الثاني (Alexander II) (1855-1881) وأسـكنه في قصر بأطراف العاصـمة موسكو، ثم ذهب إلى الحج وسكن المدينة المنورة حتى توفي هناك سنة 1871 بعد جهاد دام ثلاثين سنة[2].

وبعد القضـاء على حركة الشـيخ شـامل وجه الروس قواتهم نحو الشراكسـة وتم لهم الاسـتيلاء على شـمال غرب القوقاز وطرد (600) الف مسلم شركسـي من بلادهم استقر أغلبهم في تركيا وبلاد الشام[3].

أما فيما يخص المناطق الإسـلامية في آسـيا الوسـطى فقد انتهجت السـلطة الروسية بعد احتلالها من 1890 إلى 1917 مجموعة من السياسات تضمنت:

1 – انتـزاع الأراضـي من اصـحابها واعطائها لاكثر من مليون ونصـف مـن المعدمين الروس.

2 – اسـتيلاء البنوك الروسـية على ماتبقى من أراضي الفلاحين في تركستان بسبب عدم قدرتهم على سداد ما اقترضوه من البنوك.

3 – نشر الثقافة الروسية للقضاء على الوجود الإسلامي.

4 – إغلاق المدارس الوطنية وفتح المدارس الروسية وفرض التدريس باللغة الروسية.

5 – إصدار الصحف التي تشيد بحكم الروس ومنها صحيفة "ولايت تركستان".

6 – التبشير بالديانة المسيحية الأرثوذكسية على نطاق واسع[4].

1 العنجري، المصدر السابق، ص ص 64–65.
2 كتانة، المصدر السابق، ص ص 118–119.
3 العنجري، المصدر السابق، ص 65.
4 «اسيا الوسطى والقوقاز تحت الاستعمار الروسي» النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Islamstory.com

الجمهوريات الإسلامية في العهد الشيوعي

قبل الحديث عن وضع الجمهوريات الإسلامية في العهد الشيوعي يجب أن نعرج إلى اهمية تلك الجمهوريات وما تلعبه من دور اقتصادي في حياة روسيا والاتحاد السوفيتي والتي لولاها لأصبح الاتحاد السوفيتي أحد دول العالم الثالث.

فالمناطق الإسلامية تعد الأغنى في المواد الطبيعية والخامات فهي تنتج أكثر من 50% من نفط الاتحاد السوفيتي، وما نسبته 95% من قطن السوفيت و90% من اليورانيوم و75% من النحاس و100% من الزئبق و86% من الرصاص و90% من القصدير و90% من معدن الكروم و78% الصوف و96% من الحرير وأكثر من 37% من خام الحديد و27% من فحم السوفيت، فضلاً عن كميات ضخمة من الحبوب والبنجر والثروة الحيوانية ([1]).

ويكفي أن نعلم أن في تركستان وحدها 25 منجماً للذهب و16 للفضة و36 للحديد و32 للرصاص و24 للبترول و70 للفحم و13 للكبريت و63 للصوديوم ومن هنا جاءت مطامع الروس للاستيلاء على المناطق الإسلامية واستنزاف خيراتها[2].

وفي سنة 1917 قامت الثورة في روسيا ضد الحكم القيصري قادها البلاشفة الشيوعيين بزعامة لينين (1917-1924) (Lenin) وجرى تشكيل مجلس السوفيت الاعلى والذي يشكل البلاشفة غالبية اعضائه بـ 390 عضواً، وكان أول القرارات التي أصدرها المجلس هو الانسحاب من الحرب العالمية الأولى. أما بالنسبة للقيصر واسرته فقد جرى وضعهم تحت الاقامة الجبرية والحراسة المشددة ثم جرى اعدام القيصر وزوجته وابنه الكس (Alex) وبناته الثلاثة وطبيب العائلة وثلاثة من الخدم يوم 16 تموز 1918 [3].

وما أن استقر الأمر للبلاشفة حتى وجه لينين بياناً إلى المسلمين بهدف كسبهم جاء فيه: "ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة .. إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم. وإن عاداتكم وتقاليدكم حرة لا يمكن المساس بها. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات ولكم الحق في ذلك. واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية

1 «المسلمين بالاتحاد السوفيتي سابقاً»، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولة (الانترنت) على الموقع www.al-Islam.com

2 كتانة، المصدر السابق، ص112.

3 عصام عبد الفتاح، راسبوتين بين القداسة والدناسة، ط1، دار الكتاب العربي، (دمشق، القاهرة، 2008)، ص ص 105-106.

مصـــونة بقوة الثورة" ولمزيد من التضـــليل قام بتسليم مصحف سيدنا عثمان –رضي الله عنه– والذي كان بحوزة القياصرة إلى المسلمين وقام بتسليم عدد كبير من الوثائق الإسلامية الهامة التي كان القياصرة قد استولوا عليها إلى مسلمي القرم والقوقاز وتركستان[1].

لكن تصريحات لينين لم تكن أكثر من ســحابة صــيف سرعان ما زالت لتسفر عن الوجه القبيح للشــيوعية، فأمر قواته بالزحف صــوب البلدان الإســلامية في القوقاز والبلقان واسيا الوســطى وأخذت دبابات وطائرات الاتحاد السوفيتي تقصف المدن الإسلامية. وقام الروس بحملات قتل جماعية وتصــفيات لقادة المســلمين ورجال الدين[2]، وطلب رجال المخابرات من علماء الدين التوقيع على بيانات تنشر في الصحف يطعن فيها الموقعون بالإسلام ويصفونه بانه خديعة للشــعب، ويقرون خلــع جلابيبهم والتحول إلى الإلحاد، وبمــا أن غالبية العلماء رفضــوا ذلك فقــد جرى نفيهم إلى ســيبريا فخلت المســاجد والمدارس الدينيــة من القائمين عليها[3].

ناهيك عن التهجير الإجباري للمسلمين إلى براري سيبريا وأواسط آسيا والمناطق النائية، واقامــة جمهوريات مختلطة من غير مراعاة للتجانــس الديني أو القومي أو اللغوي، كما هو الحال في جمهورية بشكيريا والتي يشكل البشكيريون 25% فقط من سكانها[4].

وقد تم هدم المؤسســات الإسلامية ومصادرة جميع الأراضــي المملوكة للأوقاف والتي كانت تشــمل 50% من مساحة القرم والقوقاز واسيا الوسطى فضلاً عن الطواحين والخانات والاسواق والحمامات والفنادق.

يضــاف إلى ذلك تدمير والغاء المحاكم الشرعية والمدارس والمعاهد الإســلامية ومهاجمة القوانين الإسلامية واعتماد سياسة الترويس، وإحلال التوثيق المدني للزواج بدل التوثيق الديني ومنع المســلمين من إقامة الشرائع الإســلامية ومنها الحج يُمنع مســلمو الاتحاد الســوفيتي من الالتقاء بإخوانهم المســلمين من البلدان الأخرى، أما الزكاة فقد منعت بحجة الخوف من أن تكون هذه الأموال قوة مالية بيد علماء الدين، كما هاجموا الصيام بزعم انه معطل للإنتاج، وأُغلقت معظم المساجد وأُبقي على بعضها لغرض الدعاية أمام الزوار، وتم تحويل بعضها إلى

1 العنجري، المصدر السابق، ص 72-73.
2 كتانة، المصدر السابق، ص115.
3 العنجري، المصدر السابق، ص73.
4 كتانة، المصدر السابق، ص115.

نواد ودور سينما وكان عدد المساجد قبل الحقبة الشيوعية 26279 مسجداً أصبحت 1312 ثم انحسر عددها إلى 250 مسجداً فقط[1].

الحرب الشيوعية على الصعيد الفكري

أعلنت الشيوعية حربها على الإسلام بلا هوادة فهذا رأس الشيوعية لينين يقول: «الله هو مجموعة من الافكار اعدتها القبيلة، الأمة، الإنسانية، افكار توقظ وتنظم المشاعر الاجتماعية بهدف ربط الفرد بالمجتمع وترويض الفردية الحيوانية»، لذلك حاول الحزب الشيوعي اقناع الناس بعدم وجود قوة الهية تسيطر على توجهاتهم وليس هناك ما يسمى بالبعث أو النشور أو الخلود، والديانات ليست سوى اراء دنيوية خرافية تعبر عن أوضاع اقتصادية واجتماعية غير سليمة، وانها ستختفي عند رفع مستوى الأوضاع الاقتصادية وتربية الوعي الاجتماعي لدى الشعوب والافراد[2].

وكذلك قامت بتكوين منظمات شبابية روسية بهدف التطبيع الماركسي مثل (ابناء اكتوبر) والتي تضم الاطفال في سن العاشرة، ومنظمة (الرواد) والتي تقبل أعضاءها في سن (10–15) سنة، ومنظمة (الكومسومول) والتي تختص بالتعلم الثانوي والعالي، ناهيك عن نشر أعضاء من الحزب الشيوعي يتراوح عددهم (7–8) مليون شخص لديهم القدرة على الاقناع الشفوي بهدف بث العقيدة الماركسية وازدراء الإسلام. إضافةً إلى ذلك العمل على نشر الاسس الالحادية عن طريق الكتب والمطبوعات والتلفزة والاذاعة والنوادي والميادين الرياضية وطباعة ملايين النسخ لألاف الكتب[3] لبث الفكر الماركسي وتشويه الإسلام[4].

والقيام بفرض السيطرة الكاملة على التعليم ووضع ممثل للحزب الشيوعي في كل وحدة تعليمية، وجعل البرامج موحدة في جميع روسيا وترجمة الكتب إلى اللغات المحلية حسب كل جمهورية.

أما التعليم الاهلي فغير مسموح به البتة، وجعلت الماركسية اللينينية أساس العلوم والمعارف وهي في نظرهم «علم العلوم»، مع عرض العلوم بطريقة الحادية، وفي سنة (1968) قام قسم الإلحاد في معهد (جريتن) للتربية بإجراء استفتاء حول أي العلوم أكثر عوناً في تكوين

1 المصدر نفسه، ص116.
2 العنجري، المصدر السابق، ص71.
3 بلغ عدد الكتب التي صدرت سنة 1980 والمناوئة للدين 200 الف كتاب.
4 كتانة، المصدر السابق، ص117.

الإلحاد لدى الدارسين ، مع تدريس مادة السلوك وتقاس بمدى تشرب الفرد لقيم الحزب الشيوعي ومن يفشل في السلوك يعيد العام الدراسي كله[1] .

وكذلك عُقدت الندوات والمحاضرات التي تبث الفكر الشيوعي ففي داغستان وحدها القيت سنة (1959) (4020) محاضرة ، وفي سنة (1960) القيت (5432) محاضرة ، وفي السنة التالية القيت (6335) محاضرة عن الالحاد ومحاربة الإسلام ، وادخلت سنة (1964) مادة إلزامية إلى الجامعات والمعاهد بعنوان «أسس الإلحاد العلمي» في دول شمال القوقاز وعموم دول الاتحاد السوفيتي[2] .

كما حاول الروس دفع المسلمين للتفريط بدينهم عن طريق تغيير الابجدية العربية بالحرف اللاتيني ثم تغيير الحرف اللاتيني بالابجدية (الكيبريلية) والتي هي عبارة عن مجموعة من الحروف الفرعية المعتمدة في بعض الدول السلافية الشرقية والجنوبية مثل لغات روسيا البيضاء وبلغاريا ومقدونيا وصربيا واوكرانيا[3] ، وفرض اللغة الروسية كلغة ثانية في البلدان الإسلامية ثم تحولت بعد ذلك إلى اللغة الأولى ، واعتمدت في الدراسة الابتدائية والثانوية والجامعية[4] .

وهذا ما اثار سكان القوقاز فاعلنوا الاضراب العام مطالبين باحترام لغتهم ومنع الروس من اجبارهم على التعاطي مع لغة وكتابة غريبتين عنهم ، فقام الشيوعيون بالقضاء على (200) مثقف قوقازي ، واعتقلوا الفنانين الذي تأثرت اعمالهم بالفلكلور الوطني والتاريخ البطولي[5] .

القتل والتجويع الشيوعي لمسلمي القوقاز

إن جرائم الشيوعيين السوفيت أكبر من أن تضمها صفحات أو أن يضمها كتاب بين دفتيه ، ففي سنة (1921) اباد الروس (100) الف مسلم جوعاً وارغموا (50) الف على الهجرة[6] ، وفي تركستان قتل الروس سنة (1934) (100) الف مسلم ونفوا (300) الف

1 المصدر نفسه ، ص117 .
2 العنجري ، المصدر السابق ، ص ص 76-77 .
3 بيتر هاينة ، الإسلام ، ترجمة: اسامة الشحماني ، ط1 ، مؤسسة شرق غرب وديوان المسار ، (الامارات العربية المتحدة ، 2012) ، ص370 .
4 كتانة ، المصدر السابق ، ص117 .
5 عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص90 .
6 كتانة ، المصدر السابق ، ص118 .

وتوفي (3) ملايين جوعاً وكان عدد مسلمي تركستان (5) ملايين اضحوا بعد مدة قصيرة نصف مليون[1].

أما كازاخستان فقد اعتمد السوفيت سياسة جديدة معها بهدف الحد من زيادة اعداد المسلمين، فأنشئت مراكز في عموم كازاخستان للدعاية لما اسمته بـ«تنظيم الاسرة»، وقررت قطع المعونات عن الاسر التي لا تلتزم بقرار تحديد النسل، بالمقابل فإن روسيا كانت تشجع الولادات لدى غير المسلمين، وكانت تمنح لقب «بطلة الاتحاد السوفيتي» لكل أم تنجب عشرة ابناء فأكثر». وكانت تمنح معونات للأسر الكبيرة[2].

السياسة السوفيتة تجاه المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية

مع قيام الحرب العالمية الثانية تبدلت السياسة السوفيتية تجاه المسلمين في الاتحاد السوفيتي والجمهوريات الإسلامية بهدف استمالتهم لدعم النظام البلشفي، فسمح من جديد بفتح عدد من المساجد وتوقفت عمليات الاعدام والتعذيب التي كانت تطال دعاة المسلمين[3].

وأُنشئت أربعة أقاليم إدارية للمسلمين يترأس كل واحد منها مجلس ديني اعلى وهي:

1 – اقليم اداري للمسلمين السنة في جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية ويكون مقره مدينة (اوفا) والتي تتميز بتنوعها الديني؛ فهي تضم المسلمين والنصارى واليهود، فضلاً عن احتوائها على عدد من الجامعات والمراكز العلمية والبحثية.

2 – إقليم اداري للمسلمين السنة في آسيا الوسطى وكازاخستان ويكون مقر مجلسه في مدينة (طشقند).

3 – إقليم إداري في شمال القوقاز وداغستان للمسلمين السنة مقره في مدينة (برياستك).

4 – إقليم إداري للمسلمين السنة والشيعة في جنوب القوقاز ويكون مقر مجلسه في مدينة (باكو) في اذربيجان[4].

وما إن شارفت الحرب على وضع أوزارها حتى عادت السياسة السوفيتية إلى سابق عهدها، ففي 23 شباط (1944) وجه النظام الشيوعي ضربة لجمهورية الشيشان والأنغوش

1 المصدر نفسه، ص120.
2 المصدر نفسه، ص124.
3 العنجري، المصدر السابق، ص74.
4 هاينة، المصدر السابق، ص37.

حيث طوقت القطعات العسكرية السوفيتية المدن والقرى وتم نقل السكان بواسطة الشاحنات إلى سيبريا وكازاخستان من دون انذار مسبق وشمل التهجير مليون مسلم من نساء واطفال وشيوخ وتم تفريغ (6060) ميل مربع من السكان، وقد قضى الالاف نحبهم خلال عملية التهجير، وتم حل جمهورية الشيشان والانغوش وتقسيم ارضها بين اوستينا الشمالية وداغستان[1].

ونفي شعب القرم أيضاً وجمهورية يتش الإسلامية إلى مجاهل سيبريا سنة (1946) واحلوا الروس محلهم، واعيد العمل بسياسة هدم المساجد وتحويلها إلى نوادٍ وغيرها، وقد هدم في تركستان وحدها 6682 مسجداً[2].

لكن هذه الاجراءات لم تفت في عضد المسلمين فقد نشرت مجلة «العلم والدين» الروسية في عددها الصادر في 1 كانون الثاني(1964) ما نصه: «رغم مرور خمسين عاماً على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، وبرغم الضربات العنيفة التي واجهتها اضخم قوة اشتراكية في العالم الإسلامي، فإن الرفاق الذي يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي صرحوا: اننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية - آسيا الوسطى والقوقاز- وكأن مبادئ لينين لم تشربها دماء المسلمين برغم القوى اليقظة التي تحارب الدين، فإن الإسلام ما يزال يتفجر بالقوة بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام، ويجاهرون بتعاليمه، مع أن قادة الحزب ومفكري المذاهب لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام. والذي اشارت اليه «دائرة المعارف السوفيتية» ووصفته على حقيقته بأنه اخطر الاديان المرجعية . . . »[3].

لكن السنة ذاتها (1964) كانت تحمل الكثير ففيها سقط خروتشوف (Khrushev) (1953-1964) ودخلت العلاقة بين الحكومة السوفيتية والمسلمين مرحلة جديدة، إذ خف الهجوم العنيف على الدين الإسلامي ثم بوشر بفتح المساجد ابتداءً من سنة (1978) [4].

وقد تسارع ذلك بعد اعتماد الرئيس الروسي غورباتشوف (Gorbachev) (1988-1991) لسياسة إعادة البناء (البيروستريكا) التي سمح من خلالها باداء الشعائر

1 عبد الرحمن، المصدر السابق، ص94.
2 كتانة، المصدر السابق، ص118.
3 «استقلال جمهوريات وسط آسيا وبلا القوقاز» النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Islamstory.com
4 العنجري، المصدر السابق، ص78.

الدينيـة واعيد بناء المسـاجد والمدارس الإسـلامية ، وترجم القرآن الكريم إلى اللغة الروسـية وعشرات اللهجات السائدة في آسيا الوسطى والقوقاز وسيبيريا[1].

وما إن بدأت المشـكلات السياسية في الاتحاد السوفيتي تطفو على السطح منذرة بانهياره حتى بدأ اسـتقلال الجمهوريات الإسلامية ففي 23 آب (1990) اعلن عن استقلال تركستان وانتخب صـقر مراد نيازوف رئيسـاً للجمهورية ، وبعد ثلاثة ايام في 26 أب (1990) أعلنت كازاخسـتان اسـتقلالها وانتخب في 1 كانون الأول (1991) نور سـلطان نزارباييف رئيساً للجمهورية ، أما طاجيكسـتان فقد قامت فيها أول حركة معارضـة للاتحاد السوفيتي عرفت باسـم "راستوخيز" في شباط (1989) وفي 11 شباط عمت التظاهرات العاصمة "دوشنبة" وفي 25 آب (1991) اعلن عن استقلال طاجيكستان . وفي 31 من الشهر نفسه بادر إسلام كريمـوف زعيـم الحزب الشـيوعي الاوزبكي إلى اعلان اسـتقلال اوزبكسـتان عن الاتحاد السوفيتي وفي 29 كانون الأول (1991) انتخب كريموف رئيساً للجمهورية ، واعلن عسكر اكاييف يوم 31 آب (1991) اسـتقلال قيرغيزستان ، لكنه انتهج سياسة سمحت للمنصرين بالدخول إلى بلاده . ومن ثم تحول بعض المسـلمين في قيرغيزستان إلى نصارى أو إلى الديانة البوذية وقد صرح كريموف سـنة (1993) قائلاً: "إذا سـاعدتنا اليابان فنحن مستعدون لفتح أبوابنا أمام الديانة الشنتوية"[2].

1 الداغر ، المصدر السابق ، ص222.
2 الخوند ، المصدر السابق ، ص ص 306-317.

الفصل الخامس

المشكلات التي تعاني منها الأقلّيّات الإسلامية

5

الفصل الخامس

المشكلات التي تعاني منها الأقليّات الإسلامية

أولاً: النواحي السياسية

يعد الإسلام أحد أكثر أديان العالم انتشاراً ، فله تواجد في قارات العالم أجمع ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنه لا يخلو بلد في العالم من المسلمين ، لكن نسبة المسلمين تختلف من بلد إلى آخر حتى على مستوى القارة الواحدة ففي الجزء الشرقي من أوروبا (ألبانيا ومقدونيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك والشيشان) تصل نسبة المسلمين إلى 90% ، في حين نجد جاليات إسلامية أقل بكثير في بلدان أخرى .

والدارج خطأ أن يتعامل بعض الباحثين مع مصطلحي الأقلية والجالية على أنهما مدلولان مترادفان . فالجالية: مجموعة أو جموع من الناس تنتمي إلى أصل معين هاجرت من وطنها لأسباب علمية أو اقتصادية أو سياسية . أما الأقلية: فهي مجموعة أو جموع من الجاليات الإسلامية المتعددة تقيم بين أغلبية غير مسلمة ، ويدخل ضمن هذا التعريف أي مجموعة بشرية من بلد غير مسلم اعتنقت الإسلام وثبتت عليه[1] .

وتعد مسألة عدم الاعتراف الرسمي بالإسلام من المشاكل الرئيسة التي تواجه المسلمين في أوروبا وأمريكا وغيرهما لما تحدثه من تجاوزات تجاه المسلمين ، فغياب الاعتراف يفقد المسلمين حقوقا تتصل بمسألة التمثيل السياسي وحقوقا تتصل بهويتهم الإسلامية مثل حقهم في تعلم اللغة العربية والتربية الإسلامية في المدارس الحكومية الرسمية[2] .

1 محمد فؤاد البرازي ، «المسلمون في أوروبا واقعهم ومشكلاتهم» ، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.muslimunion.org .

2 المصدر نفسه .

إن مسألة التمثيل السياسي وعدم تولي المسلمين للمناصب العليا تعد من المشكلات التي تضعف تأثير المسلمين سياسيا على صعيد دول الاغتراب، وكذلك فقدان حقوقهم في قانون أحوال شخصية خاص بالمسلمين[1].

ففي هولندا على سبيل المثال وبالرغم من صدور قانون يسمح لحملة الجنسية الهولندية بالمشاركة في الانتخابات العامة منذ سنة 1990، ووصول (75) مسلم سنة 1998 إلى المجالس البلدية، وحصول المسلمين على (8) مقاعد نيابية في البرلمان الهولندي في السنة ذاتها، لكنها كانت ولفترة قريبة ترفض تسلم أي شخصية مسلمة لحقيبة وزارية أو تعيين مسلم سفيرا لهولندا في إحدى الدول[2].

لكن الأمر تغير مع قدوم سنة 2007 حيث شهد هذا العام دخول الحكومة وزيران مسلمان عن حزب العمل هما أحمد ابو طالب وزير الشؤون وأصبح فيما بعد عمدة مدينة روتردام ونباهت البيرق التركية الأصل وزيرة للعدل[3].

أما في تركستان الشرقية والمحتلة من قبل الصين الشيوعية منذ سنة 1949، والتي يشكل المسلمون فيها الغالبية السكانية وعلى الرغم من ادعاء السلطات الصينية أن الاقليم الذي اطلقت عليه (شينجيانج) مستقل استقلالا ذاتيا، إلا أن الحقيقة هي أن الشعب التركي المسلم هناك لا يتمتع باي استقلال، كما أن 90% من المراكز الحساسة في تركستان الشرقية يشغلها الصينيون[4].

وعلى الرغم مما يشكله هذا من اعتداء على الحقوق السياسية لمسلمي تركستان، لكن الصورة في بعض البلدان تكون أكثر قتامةً ففي بورما وضعت الحكومة عوائق عدة امام مشاركة المسلمين في الحياة السياسية ابرزها اصدراها سنة 1983 لقانون يمنع منح الجنسية البورمية الا لمن يثبت أن اسرته عاشت في مينمار قبل سنة 1844، أي قبل اندلاع الحرب البريطانية البورمية الأولى، وهذا ما أدى إلى حرمان المسلمين من الوثائق التي تثبت حق المواطنة وما يترتب عليه من حقوق سياسية[5].

1 المصدر نفسه.
2 الخوند، المصدر السابق، ص ص 180-181.
3 هيلة حمد المكيمي، «الأقليّات المسلمة في هولندا و مشاكل الاندماج»، صحيفة الاهرام الالكترونية، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.digital_ahram.org
4 اسماعيل أمين نواهضة، «الإسلام والآخر في العلاقات الدولية __ أوضاع المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية» النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.nawahdah.com
5 عكرمة سعيد صبري واحلام عبد التواب، «مجتمع الأقليّات المسلمة» النص الكامل للبحث متاح على شبكة المعلومات الدولية

أما الهند والتي بلغ عدد المسلمين فيها سنة 2009 (156) مليون نسمة، أي ما نسبته 14% من سكانها فلا تتعدى نسبة التمثيل السياسي فيها للمسلمين 1% [1]. وهذا ما جعل المسلمين في تلك الدول يفتقرون إلى الزعامة السياسية التي تستطيع أن تطبق برامجها، ويحصل المسلمون من خلالها على حقوقهم.

لكن وعلى الرغم من ذلك هناك بعض الدول الأوروبية التي اعترفت بالإسلام كبلجيكا وإسبانيا والنمسا والمجر، وهذا ما أدى إلى منح المسلمين حقوقا لم تكن ممنوحة لهم من قبل إلا أن الظروف الدولية ابقتهم بعيدين عن دائرة الضوء أو التأثير[2].

وقد نتجت المشكلة السابقة من عوامل عدة لعل أهمها هو عدم وجود إحصاءات دقيقة للأقليّات الإسلامية لأسباب عديدة منها:

1 – عدم اهتمام كثير من الدول بإحصاء الأقليّات الدينية زاعمة أن مثل هذا الإحصاء قد يؤدي إلى مشكلات طائفية، والحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن عدداً من الدول تخشى أن يدرك المسلمون أعدادهم الحقيقية والأثر الذي يمكن أن يؤدي اليه ذلك. وعليه تلجا عدد من الدول لاسيما الشيوعية إلى تقدير أعداد المسلمين باقل مما هو واقعي[3]. وخير مثال على ذلك ما أعلنه الاتحاد السوفيتي من أن عدد المسلمين فيه قرابة الـ(44) مليوناً في حين تشير بعض الإحصاءات إلى أن عددهم منذ سنة 1970 قد وصل إلى (77) مليون مسلم وهم يشكلون ربع سكان الاتحاد السوفيتي السابق[4].

2 – يلجأ كثير من المسلمين في عدد من الدول التي يكثر فيها اضطهاد الأقليّات – ولاسيما المسلمة– إلى إخفاء عقائدهم وشعائرهم الدينية والتظاهر باعتناق المعتقدات التي تساير الاتجاه العام للدولة حتى يكونوا بمنأى عن ذلك الاضطهاد.

3 – يعيش معظم المسلمين في أقطار نامية لا تجري فيها إحصائيات حيوية لا سيما بأعداد المواليد والوفيات والزواج والطلاق وعدد أفراد الأقليّات الدينية المختلفة.

4 – تباين التعدادات التي تجريها الأقطار التي تضم المسلمين من حيث مواعيدها ودقتها

(الانترنت) على الموقع: www.almdina.com

1 المصدر نفسه، ص ص 31–32

2 البرازي، المصدر السابق.

3 صبري وعبد التواب، المصدر السابق، ص5.

4 كتانة، المصدر السابق، ص112.

وشمولية معلوماتها، وكل هذه الأمور لا تعطينا التقديرات الصحيحة لأعداد المسلمين، كما أن هناك أقطاراً في أفريقيا لم تعرف التعداد السكاني وكل ما هو موجود من أرقام عن أعداد المسلمين ليست سوى تقديرات أجرتها الحملات التنصيرية وفق ما يخدم أغراضها.

5 – الاختلاف حول تحديد مفهوم الدولة الإسلامية هل هي التي يزيد عدد المسلمين فيما عن النصف، أم هي التي تزيد فيها نسبة المسلمين على نسب بقية الديانات الأخرى وإن لم تتجاوز النصف[1].

6 – وقد تؤدي الهجرة الناتجة عن الحروب والصراعات القبلية لا سيما في أفريقيا سبباً في تغير الأعداد من مكان لأخر كما هو الحال في نيجيريا ورواندا وبورندي والكونغو وسيراليون[2].

أما المشكلة الثانية فهي اضطهاد الجماعات العنصرية والمتطرفة مثل الاحزاب كحزب النازيين الجدد في ألمانيا والأحرار في النمسا والتعصب القومي في دول البلقان، والتي تأخذ اشكال عنف متعددة، كالاعتداء المباشر على الأفراد والممتلكات، والإيعاز لأعضاء البرلمانات الأوروبية بتغيير القوانين المتعلقة بالأجانب والهجرة[3].

ومن امثلة ذلك عمليات العنف التي طالت المسلمين في البوسنة والهرسك على يد القوات الصربية والمليشيات بزعامة رادوفان كاراجيتش من قتل وتهجير وتدمير والأمر ذاته حدث مع مسلمي كشمير على يد الهندوس كما مر سابقاً[4].

أما في بعض الدول الغربية فالأمر يتحول إلى اتهامات وتصريحات، ففي فرنسا نرى العداء واضحاً للمسلمين من قبل (الجبهة الوطنية للدين –Lepon) والتي تحمل المسلمين مسؤولية الانقسامات والأزمات والتوترات وحالات القلق والتي بحسب رأيهم "لم يعرفها المجتمع الفرنسي قبل حلول الإسلام على فرنسا"، كما اتهمت (Lepon) المسلمين بفرنسا بأنهم: "يأكلون خبز الفرنسيين" وتطالب بطردهم من فرنسا حفاظاً على الكيان العام للدولة من التفسخ كما تزعم[5].

1 صبري وعبد التواب، المصدر السابق ص ص 5–6.
2 المصدر نفسه، ص15.
3 المصدر نفسه، ص20.
4 الداغر، المصدر السابق، ص327.
5 مجدي الداغر، «مشكلات وتحديات الأقليّات الإسلامية في فرنسا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001»، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.annabaa.org

وجاءت أحداث 11 أيلول 2001 لتفاقم الأزمة فخلال الأسابيع الأولى التي أعقبت التفجيرات سجل في هولندا وحدها (90) حادث اعتداء على المهاجرين المسلمين وتحول المزاج الشعبي الهولندي إلى عدائي تجاه المهاجرين ومؤسساتهم ومساجدهم ولعبت الصحافة الهولندية دوراً بارزاً في التحشيد النفسي ضد المسلمين[1].

تزامن ذلك مع ضعف الدور الذي تقوم به الدول العربية والإسلامية التي كانت تتغاضى عن ما يحدث للمسلمين من أبناء الأقليّات وتلتزم مواقف مخجلة كالصمت والحياد والتواطؤ احياناً، باستثناء بعض الدول التي كانت تقدم واجب النصرة والدعم والمساعدة[2].

ومن هنا يتولد العامل الثالث الذي لعب دوراً في إضعاف الدور السياسي للأقليّات الإسلامية إلا وهو غياب وسائل الإعلام الإسلامية الفعالة وضعف الضغط العربي، فالأعلام أصبح سلاحاً رئيسياً يستخدمه الغرب في تغيير القناعات وقلب الحقائق وتحشيد الطاقات وترسيخ الاباطيل التي شوهت صورة المسلمين، ويعد الاعلام الصهيوني الاقوى والاكثر فاعلية وتأثيراً في الرأي العام الأوروبي والأمريكي، حتى باتت نتيجة الانتخابات محسومة -غالباً- قبل بدايتها لمن يؤيده الإعلام الصهيوني ويقف إلى صفه[3]. ناهيك عن عدم وجود لوبي إسلامي وعربي قوي يدافع أمام الحكومات الأوروبية عن حقوق تلك الأقليّات ويطالب بسرعة تنفيذ مطالبها[4].

أما ما يخص المنظمات الإسلامية فهي منتشرة في بلدان العالم وتحاول جاهدة الدفاع عن قضايا المسلمين ففي فرنسا وحدها يوجد ما يربو على (2000) جمعية مختلفة الجذور، منها اتحاد المنظمات الإسلامية والذي يضم تحت جناحه (300) جمعية ابرزها الشبان المسلمون ومسجد باريس المشرف على 70 مسجداً، والفيدرالية المسلمة لمسلمي فرنسا ويشكل المغاربة أساسه مع تلقيه دعماً من ملك المغرب، وجماعة التبليغ والدعوة، ولجنة تنسيق المسلمين الأتراك في فرنسا وهي تابعة لإدارة المساجد في وزارة الشؤون الدينية التركية وتسيطر على (150) مسجداً، والاتحاد الفرنسي للجمعيات الإسلامية في افريقيا وجزر القمر وجزر الانتيل[5].

1 الخوند، المصدر السابق، ص ص 181-182.
2 «معانات وهموم الأقليّات المسلمة في العالم»، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.muslm.net
3 البرازي، المصدر السابق.
4 صبري وعبد التواب، المصدر السابق، ص21.
5 الخوند، المصدر السابق، ص 206.

لكن الذي يضعف عمل هذه الجمعيات وغيرها هو غياب التنسيق والتعاون المشترك وانكفاء كل جنسية على نفسها إلى حدٍ كبير[1].

أما الخطر الأخر فيتمثل بعملية تذويب الهوية المسلمة وهذا موجود في بعض دول الاغتراب سواء بشكل مقصود – أو غير مقصود[2] والهدف من إذابة الهوية الإسلامية هو إنتاج إسلام له طبيعة تناسب المجتمع والدولة التي يعيش فيها[3] فترى الحكومة الهولندية أن معالجة الفجوة بين الهولنديين والمسلمين المقيمين في هولندا تأتي عن طريق تشكيل ما يسمى بـ "الإسلام الهولندي" القائم على أسس التسامح والقبول بالآخر بحيث ينخرط المسلمون في المجتمع الهولندي بعيداً عن التأثيرات الخارجية وفي هذا الإطار تبنت هولندا سياسة متشددة إزاء الهجرة واستجلاب شريك الحياة (الزوج أو الزوجة) من البلد الأم ، كما أقرت سنة 2008 قانوناً يمنع دخول الآئمة من الدول العربية ، بحيث يتولى هذه المناصب أئمة تم تدريبهم وتعليمهم في هولندا ليكونوا قادرين على فهم طبيعة المجتمع الهولندي ، جاء ذلك نتيجة عدة حوادث كان أهمها اغتيال المخرج الهولندي اليساري فان جوخ (Van Gogh) الذي عرف بانتقاده للأديان ، على يد الشاب المغربي محمد بوييري في تشرين الثاني 2004 ، وفي سنة 2006 قتل شاب هولندي وزير البيئة اعتراضاً على سياساته ، وقد فسر بعض الهولنديين الحادث على أنه تأثر بحادث فان جوخ[4].

ومن أمثلة إجراءات تذويب الهوية الإسلامية إقرار مجلس الشيوخ الفرنسي لقانون حظر ارتداء النقاب للنساء في الأماكن العامة ، وتبعتها في ذلك هولندا مؤخراً ، لكن وعلى الرغم من ذلك نجد صلابة وتماسكاً ملحوظاً لأبناء الأقليّات الإسلامية هناك ، أما الخطورة فتكمن المرحلة اللاحقة على الأجيال القادمة والتي ستنشأ في ظل "إسلام علماني ممسوخ"[5].

وفي أوروبا الشرقية تظهر لنا صورة أخرى لمحو الهوية الإسلامية باستخدام قوة القانون للقضاء على الأسماء العربية ، لاعتقادها أن الشخص الذي يحمل هذا الاسم يبقي على ارتباطه بالإسلام والمحافظة على الحد الادنى من الانتماء الثقافي للإسلام وتعمد لتغيير هذه الأسماء وتعرض من يخالف للعقوبة ، في حين فرضت دول أخرى على المسلمين وضع

1 صبري وعبد التواب ، المصدر السابق ، ص21.
2 معانات وهموم الأقليّات المسلمة.
3 صبري وعبد التواب ، المصدر السابق ، ص23.
4 المكيمي ، المصدر السابق.
5 عبد التواب ، ص ص 23-24.

مقاطع إضـافية على أسمائهم العربية لتشـويهها فعلى سبيل المثال يتحول احمد إلى أحمدوف وعلي إلى عليبف[1].

وقد يؤدي الضـغط والاضطهاد السياسي وعدم الاعتراف بالأقليّات الإسلامية إلى لجوء بعضها إلى خيارات ثلاثة:

1 – الهجرة ومغادرة البلد.

2 – إضعاف الانتماء للإسلام حتى تتقبلهم الاكثرية.

3 – اللجوء إلى بعض الجماعات التي تنتهج العمل المسـلح ضد الدول التي تعدها خارجة على الإسلام، وبذلك تكون خسارة الأقلية الإسلامية كبيرة ولا تعوض[2].

ثانياً: النواحي الدينية

تعد الحملات التنصـيرية أحد أبرز المشـكلات الدينية التي تعاني منها الأقليّات الإسلامية لا سـيما في أفريقيـا، حيث يعمل المنصرون بـكل جهدهم وإمكاناتهم الماديـة والتقنية على دعوة المسـلمين هناك للتنصر في محاولة لمسخ الهوية الإسلامية معتمدين في ذلك على الغزو الإعلامي والفكري من خلال توزيع الكُتب والمنشورات وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية والاغاثية خصوصاً في أوقات الكوارث والزلازل والأوبئة[3] وكانت حملات المنصرين تقف وراءها جهود دولية فيقول جوزيف ماريو (Joseph mario) الذي عمل ضمن بعثة الصليب الأحمر الهولندي في منطقة اللاجئين الصـوماليين: "ان حكومتي تسـعى لبذل كل ما لديها من قض وقضيض لتنشيط الحملات التنصيرية في المنطقة"[4]، وفي فرنسا توجد احدى ابرز المؤسسات التنصيرية في العالم وتدعى بجمعية "كوفردي نتردام دي سالارات" وقد ظهرت مع ظهور الجمعيات الإسـلامية في فرنسـا وتم الاعلان عنها سنة 1957، بهدف تنصير أبناء المسـلمين في المدارس ودور الحضانة عبر تقديم المسـاعدات الإنسانية باسم "يسوع المسيح" ويرصـد الفاتيكان والحكومة الفرنسـية مبالغ طائلة لهذه الجمعية نظراً للهدف الذي تقوم به.

1 معانات وهموم الأقليّات المسلمة.
2 «دراسـة وحلول موجزة لمشكلات الأقليّات الإسـلامية في شرق أوروبا»، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.osaimy.com
3 معاناة وهموم الأقليّات.
4 فيصـل المحارب، «الأقليّات المسـلمة في العالم ومشكلاتها»، النص متاح على شـبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) على الموقع www.ejtemay.com

والدور الذي لعبته سابقاً في تنصير أعداد من أبناء المسلمين أثناء حرب البوسنة والهرسك وكوسوفا[1].

أما الجانب الآخر فيكمن في تشجيع الحركات والتيارات الهدامة التي تعمل على تشويه الإسلام في الغرب كالبهائية والقاديانية والصهيونية، مع توفير كافة الامكانات التي يحتاجون اليها والدعم المادي اللازم لايجاد التنازع والشقاق بين الحركات والفرق والتيارات في الشرق والغرب معاً، وقد مر بنا سابقاً كيف قامت بريطانيا بتأييد ودعم القاديانية بهدف شق الصف الإسلامي في الهند[2].

وتبرز مشكلة الحجاب على السطح في بعض الدول الأوروبية لا سيما فرنسا، وقد تعاملت وزارة التربية الفرنسية بطريقة غير طبيعية مع هذه الظاهرة حيث قام وزير التربية الفرنسي فرانسوا بايرو (Francois Bayrou) بفصل عشرات الطالبات المحجبات من المدارس[3]، كما قام ارنست شينيير مدير مدرسة كراي للطالبات بمنع الطالبات المحجبات من دخول القاعات الدراسية بحجة أن زيهم يخالف التوجهات العلمانية للحكومة الفرنسية، وهذا ما دفع الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران (Francois mitterrand) (1981-1995) إلى التدخل، وقد أكدت زوجة الأخير على حرية ارتداء الحجاب بالنسبة للطالبات المسلمات لأن ذلك يتفق مع عقيدتهن[4].

ويعود السبب وراء هذه الإجراءات إلىتزايد انتشار الزي الإسلامي ففي واحدة من مدارس فرنسا بلغ عدد المحجبات (2500) طالبة من مجموع (9) آلاف من المعتقدات والمذاهب الأخرى، وانتقل ذلك إلى الأسواق والشوارع والحدائق العامة والنوادي وأصبح ظاهرة واضحة للعيان في فرنسا[5].

وتكرر هذا الأمر في بريطانيا حيث قامت الشرطة البريطانية بمنع دخول الطالبات المحجبات إلى المدارس والجامعات بذريعة: "إنهن عميلات للجماعات الإسلامية المتطرفة"، كما قامت مديرة إحدى المدارس في مدينة مانشستر بطرد طالبتين باكستانيتين لإصرارهما على الحضور

1 الداغر، مشكلات وتحديات.
2 الداغر، مشكلات وتحديات.
3 جميل عبد الهادي عجم، المولودون المسلمون في بلاد الاغتراب بين الاندماج والمحافظة على الهوية، واقع وآمال خلال خمسة عقود 1949–2005، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2012)، ص ص 59–60.
4 مجدي الداغر، «الحياة الاجتماعية للأقليّات المسلمة في المجتمعات الغربية»، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.almsloob.net.
5 الداغر، مشكلات وتحديات.

بالزي الإسلامي، وقد أدى تفاعل الأحداث إلى قيام تظاهرات في لندن ونتيجة للضغط الإسلامي جرت الموافقة على عودة الطالبتين إلى مقاعد الدراسة بعد أن تم فصلهما[1].

أما إطلاق اللحية بالنسبة للرجال فقد كانت قبل أحداث 11 أيلول 2001 أمراً عادياً في الشارع الفرنسي، لكنها تحولت عقب الأحداث إلى ظاهرة ضيقت الخناق على المسلمين وتم القاء القبض على كل شخص ملتحٍ واخضاعه للتحقيق لمعرفة صلته بتنظيم القاعدة، بل تعرض بعضهم للاعتداء من جانب بعض العناصر المتعصبة، وقد نتج عن عمليات الضغط وحرمان المسلمين من حقوقهم قيام المنظمات الإسلامية بتنظيم التظاهرات التي شارك فيها ما يربو على (200) ألف مسلم طالبوا الإدارة الفرنسية بتخفيف اجراءاتها وحملات الاضطهاد، وكان لهذه الجهود نتيجة إيجابية، فقد خففت الشرطة الفرنسية من إجراءاها ضد المسلمين[2].

إن ثقافة أي مسلم تعتمد على المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومفتاح هذه العلوم هو اللغة العربية، والجهل باللغة العربية مشكلة يترتب عليها جهل حقيقي في فهم الإسلام، والاختلاف بين لغة الأقلية ولغة القرآن يتسبب في فجوة كبيرة في الهوية الثقافية لهذ الأقليّات، بل قد ينتج عنه نمط خاص من التفكير خلال البحث عن المصادر الثقافية للفكر الإسلامي الأمر الذي يتسبب في خطر أكبر يهدد هذه الفئات من المسلمين في عقيدتهم نفسها، وحتى الأقليّات التي تنحدر من اصول عربية أو مشرقية تفهم اللغة العربية فإنها تفقد علاقتها باللغة العربية بعد مرور الزمن وخاصة بالنسبة للجيل الثاني والثالث، مما يتسبب في الذوبان في نمط التفكير الذي تخلقه اللغة الأجنبية الجديدة[3].

ومع قيام رجال الدين من النصارى وغيرهم والمستشرقين في الغرب بالافتراء على الإسلام ورسوله الكريم محمد ﷺ من خلال كتاباتهم المليئة بالأباطيل والمغالطات والتعصب سمموا أفكار الناس عن الإسلام، ففي كتاب اصدره وليم جيفورد (William Gifford) قال: "متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه"[4].

1 الداغر، الحياة الاجتماعية.
2 الداغر، مشكلات وتحديات.
3 محمد علي التسخيري، «الأقليّات المسلمة في الغرب»، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.Iranarab.com
4 محمد إبراهيم الجيوشي، «موقف المجتمعات الغربية من المسلمين، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على

ومن أمثلة ما تضـمنته الكتب الفرنسـية من عبارات تؤدي إلى تنامي ظاهرة الحقد والكره للعرب ما جاء في أحد الكتب المدرسـية من عبارة تقول: "منع المسـلمون في القرن الحادي عشر الحجاج المسـيحيين من الوصـول إلى القدس وقتلوهم، لذلك نظمت حملات صليبية لتخليص قبر المسيح -عليه السلام- [1].

لكـن على الرغم من ذلك نرى من بعضـ الكتاب الغربيين موقفاً مغايراً من خلال كتاب يشـيدون بالإسلام وبرسـوله الكريم ومنهم الكاتب الروسـي ليو تولستوي (Leo Tolstay) الذي سجل رأيه في شخصية الرسول الكريم ﷺ فقال: "لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال الصـالحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلـة، ويكفيه فخراً أنه هدى امة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السلام وتكف عن سفك الدماء. وتقديم الضحايا"[2].

كمـا يعاني ابناء الأقليّات الإسـلامية في أوروبا من غياب التعلم الديني، ففي فرنسـا لا يسـمح للمسـلمين بإقامة مدارس على اسـس دينية مع انتشـار المدارس النصرانية واليهودية والبوذيـة الا بصـعوبة بالغة، وتحرم هذه المدارس من عقود التعليم مـع وزارة التعلم ومعادلة شـهاداتها[3]، أمـا بلغاريا ورومانيا فلا يوجد فيها تعليم ديني اصـلاً كمـا يمنع تداول الكتب الدينية حتى (القرآن الكريم) فتعلم المسلمين لأمور دينهم من الأمور المحرمة، ويضاعف تلك المشـكلة أن تعلم الأبناء يقتصر على ما تقوم به الأسرة في الوقت الذي تعاني فيه الأسرة ذاتها من قلة في المعلومات والمعارف الدينية[4].

وقد حاولت بعض الأقليّات وعلى وجه الخصـوص في بريطانيا وفرنسـا التغلب على هذه المشكلة بإقامة مدارس اهلية تكمل هذا النقص إلا أنها لا تزال تعاني من مشاكل أهمها:

1 - كثافة الجهد المطلوب للتوفيق بين المنهاج الحكومي المزدحم وبين التعلم الديني.

2 - انتشـار الجاليات الإسـلامية في أقاليم متباعدة وما يتبع ذلك من مشاكل المواصلات والسـكن والرقابـة الأبوية ومع ذلك فقد نجحـت الجهود المبذولة في إقامة مدارس إسـلامية

الموقع www.elazhar.com

1 عجم، المصدر السابق، ص60.

2 الجيوشي، المصدر السابق.

3 عجم، المصدر السابق، ص ص 59-60.

4 «التعلم أو التعليم في الأقليّات الإسلامية» النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.Islammemo.com

أصبحت منتشرة في كل مكان[1].

وينبغي على كل باحث عدم اغفال الدور الإيجابي الذي تقوم به المانيا والخاص بأطلاق حرية التعليم والذي جعلت بموجبه التعلم الديني جزء من منهجية الدولة، والتعلم الديني في المانيا يعطى بشكل ينسجم مع معتقدات كل طائفة دينية كما انه لا يرغم الاساتذة على تعلم الدرس الديني إذ هم لم يرغبوا في ذلك، وقد بذلت عدة محاولات لتعليم المسلمين التربية الإسلامية وبخاصة الطلبة ذوي الاصول التركية، كما سمح في بعض المقاطعات الالمانية بتعلم اللغة التركية بالتعاون مع الحكومة التركية، وانسجاماً مع هذه الفقرة فأن اصحاب كل ديانة يعدون المنهج الديني تحت اشراف الدولة[2].

ناهيك عن تدريس أبناء الأقليّات الإسلامية التعاليم النصرانية في الدول التي ترفض الاعتراف بالأقلية المسلمة[3].

لذلك أصبح لزاماً على الدول الإسلامية أن تقوم بدور فعال في بث الثقافة الإسلامية وإيصالها إلى هذه الأقليّات عبر وسائل الإعلام على شكل كتب أو مجلات أو اشرطة سمعية وبصرية لا سيما المخصصة منها لمخاطبة الأقليّات الإسلامية في الغرب، فضلاً عن انشاء مشاريع في دول الغرب تقوم بمهمة الانتاج والترجمة كحد أدنى وصولاً إلى إنشاء إذاعات ومحطات تلفازية ووكالات أنباء خاصة لبث الأخبار الإسلامية، فضلاً عن الاهتمام بالكوادر من أبناء الأقليّات هناك تحت إشراف أساتذة ومرجعيات في الجانب الشرعي نظراً لخطورة المهمة[4].

ثالثاً: النواحي الاجتماعية

إن المشكلات التي تعاني منها الأقلية الإسلامية في العالم شرقاً وغرباً لا يمكن أن تحصرها صفحات لذا سنحاول التعريج على أبرزها لا سيما وأن بعضها ذو صفة اجتماعية دينية كما هو الحال مع الحجاب والتعلم الذاتي الذي ورد سابقاً أو اجتماعي سياسي كالاضطهاد والاعتداء وغيرها.

يعد الزواج وآلياته وما يترتب عليه من أبرز وأهم وأخطر المشاكل الاجتماعية التي تهدد

1 المصدر نفسه.
2 عجم، المصدر السابق، ص ص 66-67.
3 التعلم في الأقليّات.
4 معانات وهموم الأقليّات.

الإسلام في الدول غير الإسلامية ، وقد خطط الغرب لذلك بهدف اندماج ثم ذوبان المسلمين في المجتمعات الغربية وفق أساليب مدروسة . فقد سنت بعض الدول القوانين التي تسمح وتحض على التزاوج بين الأقلية المسلمة والأغلبية غير المسلمة[1] وهذ بحد ذاته مشكلة فالمسلم في الغرب يتزوج من فتاة غريبة دون أن يتحقق من كونها كتابية ، أو وثنية أو بوذية أو هندوسية وغيرها[2] .

والزواج بالكتابية لا يحل المشكلة بل قد يعقدها فهي تمثل فكرة المجتمع المنحل في سلوكياته وقيميه واخلاقه ، كما أنها لا تسمح للمسلم بأخذ زمام إدارة المنزل ولا أن تكون له القوامة كما سيأتي لاحقاً لان ذلك لا يناسب طبيعية عيشها ، وتكون أسر الكتابيات اللواتي يتزوجن من المسلمين إما فقيرة أو أن تكون من بلدة نائبة ، أو أرملة أو مطلقة أو كبيرة في السن ، وتنتهي غالبية علاقات من تزوجوا من المسلمين بأمثال تلك السيدات أما بالانفصال أو بالهروب بالأولاد إلى إحدى ديار المسلمين ، أو تقوم الأم بخطف أولادها بعيداً عن الزوج[3] .

وينشأ الأطفال في مثل هذه الأسر في تناقض في العملية التربوية فيؤثر ذلك على عقليتهم المنهجية المستقلة ويؤثر سلباً في استقرارهم العاطفي والنفسي فالطفل إما أن يعتنق فكر ابيه وعقيدته أو فكر أمه وعقيدتها أو أن ينشأ مضطرب الفكر ، وحين يبقى الأطفال مع أمهم الكتابية لمدة اطول يتشربون أفكار أمهاتهم[4] .

ناهيك عن إقرار الزواج المدني والابتعاد عن الزواج الإسلامي ، ففي روسيا صدر المرسوم الخاص بتعديل قانون الأحوال الشخصية لسنة 1917 والقاضي بإحلال التوثيق المدني للزواج بدل التوثيق الديني وإغلاق كافة المحاكم الشرعية وتحويلها إلى نوادٍ للرقص واحتساء الخمور ، ويرى الغرب في الزواج الإسلامي إعطاء الحقوق للرجل مقابل بخس حق المرأة ، وهذا المنهج العلماني الذي تقوم به معظم الدول الأوروبية ، والتي تمنح المرأة الحرية الكاملة في خلع زوجها أن هي أرادت ذلك وتمكينها من تطليقه متى شاءت ، فضلاً عن ذلك منع تعدد الزوجات[5] .

---

1 نواهظة ، المصدر السابق .
2 عجم ، المصدر السابق ، ص125 .
3 المصدر نفسه ، ص129 .
4 المصدر نفسه ، ص131 .
5 الداغر ، الحياة الاجتماعية .

وهنـاك أنواع أخرى من الزواج المصـلحي الصـوري وفيه العديد من المشـكلات أولها الخلاف الفقهي حول صـحة الزواج بعينه؛ لأن فيه شـبهة المفارقة بعد الحصـول على الجنسية الأجنبية وما شـاكل ذلك ، ناهيك عن عدم التزام الزوجة بالسـكن مع الزوج بل قد لا يعلم الزوج أين تذهب الزوجة ومن تعاشر وبمن تلتقي[1] .

ومن الأخطاء التي يقع فيها الشـاب المسلم في الغرب أثناء عقد الزواج هو أن يشهد على زواجه غير المسلمين ومن ثم يفسد شرط من شروط العقد الصحيح دون دراية[2] .

أمـا المشـكلة الثانية فهي مشـكلة الاختلاط ، حيث تسـود بلدان العالم غير الإسـلامية نزعة من التحرر من الضـوابط الخلقية فيما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة والاختلاط في الدراسـة وأماكن العمل والسـواحل خلال الاسـتجمام[3] . وتحاول الكثير من الأفكار المستحدثة تبني هذا الاتجاه كونه من مجريات العصر وتطوراته الطبيعية حتى أصبح من الصعوبة التعرف على أبناء الأقليّات الإسلامية في الخارج عن غيرهم من أبناء غير المسلمين وذلك نظراً لتزايد درجة التشـابه والتقليد لأبناء غير المسـلمين حتى في السـلوكيات التي يرفضها الدين الإسلامي[4] . وأول علامات الانصـهار التي بدأت تظهر هو تبدل الأسـماء الإسـلامية بغيرها خاصـة بين الاطفال من الزيجات من غير المسلمين[5] .

وفي بعض الحالات يصـبح المثل الأعلى للطفل المسـلم الممثل الفلاني الذي تبرزه وسائل الإعـلام كالبطل الخارق ناهيك عن الأفكار المغلوطة التي تصـف المجون بالفضـيلة والغرام بالرجولـة وشرب الخمر بالعزيمة وإدمان المخدرات بالمقدرة والسرقة بالشـجاعة والقتل بالقوة وكل ذلك من خلال الأفلام ووسائل الإعلام المختلفة[6] .

وينتـج عـن ذلك تفكك أسري يشـبه البيئة العامة لـدول أوروبا الأمر الـذي يؤدي إلى انحراف الأبناء دينياً وسلوكياً ومن ثم تمردهم على الأعراف الأسرية والاجتماعية الإسلامية بالنظر لضعف سلطة الأب والأم إما لعجز الوالدين عن ردع الأبناء نتيجة الضعف والفشل أو لعدم مبالاتهم بهذه الظاهرة وقد يجد الأبناء في صـداقات أبناء غير المسـلمين ملجأً للهروب

1 عجم ، المصدر السابق ، ص131 .
2 المصدر نفسه ، ص138 .
3 التسخيري ، المصدر السابق .
4 الداغر ، الحياة الاجتماعية .
5 دراسة وحلول موجزة بمشكلة الأقليّات www.osaimy.com
6 عجم ، المصدر السابق ، ص183 .

من ضغوطات المنزل، ومما يزيد في إهمال الآباء المسلمين لأبنائهم هو الأحوال المادية الصعبة التي تضطر الاباء لتخصيص كل أوقاتهم للعمل بهدف توفير لقمة العيش[1].

واستكمالاً لما سبق تجبر الأسر الإسلامية على إرسال أطفالها الصغار إلى دور الحضانة وتغذيتهم بروح المجتمع وعاداته وثقافته حيث يترك هؤلاء الأطفال بأيدي كوادر تعليمية تعرف مهمتها تمام المعرفة في فترة غياب الرقابة الأبوية لانشغال الاهل في العمل، حيث يقوم المعلمون بمعاملة الأطفال بالرفق واللين حتى يتعلقوا بالحضانة ويألفوا المعلمات اللواتي يرضعنهم عادات وقيم تلك المجتمعات مع الطعام والشراب الذي يتناولونه[2].

وفي المرحلة الابتدائية يتم إخصاب مخيلة الطفل بالسلبيات ففي الدنمارك يطلب من الأطفال في الصف في مادة الرسم أن يرسموا (الله) والعياذ بالله، كما جاء في أحد الكتب المدرسية التاريخية الاجتماعية صورة مرسومة لرجلين أحدهما يركب جملاً والآخر يمتطي ظهر حمار مشيرين إلى أن الأول الرسول محمد ﷺ والثاني هو سيدنا عيسى ابن مريم –عليه السلام–، معززين ذلك بموجة من الأفلام التي تصور الأنبياء للنيل من شأنهم، وجاء في أحد الكتب المنهجية ما نصه: «إن أكل الخنزير مهم، وجيد للصحة. وكذلك شحمه ودهنه، ومنه نصنع المأكولات والحلوى والجلاتين والزبدة، ويصنع من جلوده الثياب والأحذية، ويستخرج منه مواد مهمة في الحياة البشرية» وهذه العبارة توصل للطفل معلومات ومفاهيم تخالف عقيدته الإسلامية التي تؤكد على حرمة الانتفاع من الخنزير عموماً[3].

وكذلك تلقين أبناء الجاليات والأقليّات الإسلامية في المدارس الثقافة الجنسية كمادة أساسية مما قد يغري بعض الشباب بالانخراط في علاقات محرمة[4] لا سيما وأن تلك العلاقات هي جزء من طبيعة المجتمع الغربي ففي ألمانيا انتشر رأي يقول: «عار على بنات ألمانيا أن يبقين عذارى مع وجود عقاقير منع الحمل»[5].

والآفة الجديدة التي يتعرض لها مسلمو الغرب هي المخدرات والتي يحرمها الإسلام حرمة شرعية لا شبهة فيها[6]، وللإدمان على المخدرات أسباب تتصل بالحرمان العاطفي والاستهتار

1 التسخيري، المصدر السابق.
2 البرازي، المصدر السابق.
3 عجم، المصدر السابق، ص187.
4 الداغر، الحياة الاجتماعية.
5 عجم، المصدر السابق، ص173.
6 الداغر، الحياة الاجتماعية.

بـكل معاني المجتمع، والانخراط في مجتمع أساسـه الفسـاد والعدوانيـة واللامبالاة بالدين والأخلاق الحميدة والتنشـئة الاجتماعيـة والميل أما نحو التمرد أو الانطـواء وعدم الاهتمام بالـذات، كما أن انعدام الأمن الاجتماعي وانهيار سـلم القيـم، والتهجير والإحباط تلعب دوراً في تعزيز هذه الظاهرة[1].

أمـا المأكل والمشرب والذي يعد من ضروريات اسـتقامة الحياة البشرية. فيعد في الغرب احد معوقات الحياة الإسلامية فالإسلام يمنع أكل اللحوم إلا ما ذكر اسم الله عليه عند الذبح مع ذبحها على الطريقة الإسـلامية، أما في أوروبا فتتم عملية قتل الأغنام والدواجن بالصعق بالكهرباء أو بالضرب على الرأس بشـدة أو بتغطيسـ رأس الدجاج في ماء مكهرب أو الخنق كيماويـاً والذي يحدث الوفاة، وقد حرم الإسـلام هذه الطرق التي من شـأنها ابقاء الدماء داخل عروق وخلايا جسـم الحيوان والتي قد تصـيب الإنسـان بالأمراض الخطيرة، وكثير من اللحوم المجمدة التي تصـدر من دول أوروبا وكتب عليها ذبحت على الطريقة الإسلامية هـي عكسـ ذلك تماماً، وقد نجـح بعض المسـلمين في دول العالم في إقامة مطاعم خاصـة بالمسلمين[2].

وتضـاف قضـية دفن موتى المسـلمين إلى قائمة المشـكلات الاجتماعية فالمسلم في بلاد الاغتراب على ما يبدو (يعاني حياً وميتاً)، فقد رفضـت بعض الحكومات السـماح للأقليّات الإسلامية بدفن موتاهم وفق الشريعة الإسلامية، فالصين تزعم أن أراضيها غير كافية وضيقة لا تتسـع لاقامة مقابر للمسـلمين مع أن المسلمين في الصين وبحسـب آخر الاحصاءات بلغ عددهـم (150) مليوناً، كما أقـر القانون الألماني الالزام بدفن الموتـى في التوابيت، لذلك يقوم المسـلمون بعد تكفين الميت بوضـعه في تابوت، وكانت مدينة (آخن) الألمانية أول من اباح للمسـلمين الدفن من غير تابوت، في الوقت الذي أصـدرت فيه دار الفتوى في المملكة العربية السعودية فتوى بجواز دفن المسلم في التابوت إذا اقتضت الحاجة لذلك، أما في الهند وتايلاند فتجبر الحكومة المسلمين هناك على دفن موتاهم في مقابر عامة ناهيك عن تأخير دفن المسلم، ففي ألمانيا يمنع القانون دفن الميت إلا بعد مرور يومين من وفاته[3].

1 عجم، المصدر السابق، ص ص196–197.
2 الداغر، الحياة الاجتماعية.
3 المصدر نفسه.

رابعاً: النواحي الاقتصادية

يعد العامل الاقتصـادي أحد أبرز الأسباب المؤدية لتكوين بعض الجاليات الإسلامية ومن ثم الأقليّات في الخارج لاسيما في دول أوروبا الغربية، فالاقتصاد المتردي والتفكك الأسري والجشع الاستعماري والذي نتج عنه استنزاف خيرات البلاد الإسلامية، فضلاً عن ذلك عمليات تجميد الأموال في المصارف الأجنبية على أثر قيام بعض الزعامات بسرقة أموال الشعوب الإسلامية وإدخالها في المصارف الدولية ضمن حساباتهم الشخصية، ومن ثم وتجميد تلك الأموال على أثر أي تغيير سياسي وبالتالي حرمان البلاد من التقدم الاقتصادي أولاً وضمور الاقتصاد وما يتبع ذلك من مشكلات، مؤطراً بالانحطاط والتخلف والانشغال بالحروب والمواجهات العسكرية مع الكيان الصهيوني، كل ذلك دفع الشباب صوب الهجرة من بلدانهم الأم[1].

وتأتي البطالة على رأس قائمة المشكلات الاقتصادية ففي بريطانيا وحسب احصائيات سنة (2001) يصل مجموع السكان ذوي الاصول الباكستانية إلى (675) ألف نسمة، والبنغالية إلى (237) الف نسمة، وتبلغ نسبة العاطلين عن العمل من الباكستانيين والبنغاليين 5،2% ويسكن ثلاثة أرباع الباكستانيين والبنغال في مناطق لا ترقى إلى الحد الأدنى من متطلبات السكن الكريم[2].

كما نرى معظم أبناء الأقليّات الإسلامية يعملون في مجالات شاقة وبأجور متدنية من أجل تأمين لقمة العيش[3] ناهيك عن منع المسلمين من العمل في بعض الميادين المقصورة على السكان الأصليين للبلد[4].

وقد أشارت باحثة هولندية تعمل في معهد فورم إلى خشبة المجتمع الهولندي من ارتفاع المستويات العلمية لأبناء الجالية الإسلامية قائلة: «نحن الهولنديين عمليون، فنحن مجتمع مهدد بالشيخوخة بسبب ارتفاع معدل الحياة، وانخفاض معدل المواليد، ونحن بحاجة إلى الشباب المغاربي، فالاقتصاد الهولندي مُزدهر، إلا أننا لن نستفيد منهم في حال أن وصلوا إلى مستوى عالٍ من التعليم، حيث لن يعودوا راغبين في العمل في المهن اليدوية، مما يجعلنا

1 عجم، المصدر السابق، ص30.
2 المصدر نفسه، ص73.
3 الجيوشي، المصدر السابق.
4 بكر، المصدر السابق، ص15.

مضطرين لفتح الباب لهجرات جديدة»[1].

أما قارة أفريقيا ذات النصيب الأكبر من البطالة لا سيما لدى الأقليّات الإسلامية هناك فقد تمكن المستعمرون من استنزاف إمكاناتها الاقتصادية ولم يترك للمسلمين هناك من الموارد ما يمكنهم من العيش الرغيد[2]، إضافة إلى ذلك نقص الخبرات والمهارات بين مسلمي الأقليّات، بالمقابل نرى تفوق تلاميذ مدارس البعثات التنصيرية هناك بسبب ما تقدمه من فرص لتدريب نصارى أفريقيا يتيح لهم اكتساب المهارات، وعليه يجب على دول الأغلبية الإسلامية أن تقوم بواجبها لمد يد العون لإخوانهم من مسلمي أفريقيا لا سيما في مجالات التدريب[3]، لأن الأقلية الإسلامية هناك لا تتلقى من الدعم والمساعدات الدولية إلا ما يقدمه لها إخوانهم المسلمون من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية[4].

لذلك يعمل المسلمون بسبب تدني الأجور، والفاقة في التجارة المتنقلة برأسمال ضئيل ورغم صعوبة العمل إلا أنه لا يخلو من فائدة: فتحرك المسلمين بين الجماعات الوثنية في الشرق أتاح الفرصة لنشر الدعوة بين تلك الجماعات، فتجار قبائل (الفولاني والهوية) كان لهم الفضل في نشر الإسلام ونقله إلى قبائل في غربي أفريقيا، والوضع ذاته كان مع قبائل وجماعات (الهوى) الإسلامية في الصين[5].

كما أن تدهور الوضع الاقتصادي لا يكون بدرجة واحدة فهو يختلف من منطقة إلى أخرى، ففي كوريا الجنوبية على سبيل المثال نرى الوضع الاقتصادي للمسلمين هناك جيد بنسبة لا يستهان بها فمن جموع مسلمي كوريا نرى جماعات تعمل في مجال الطب والتدريس الجامعي والأعمال الحرة (رجال اعمال) فضلاً عن مجالات الصحافة والإدارة والجيش والقطاعات الخدمية[6].

الاضطهاد السياسي وتأثيره على الوضع الاقتصادي

تعرضت معظم الدول الإسلامية شرقية وغربية لاحتلال من قوى إما أن تكون أوروبية أو

1 المكيمي، المصدر السابق.
2 المحارب، المصدر السابق.
3 بكر، المصدر السابق، ص15.
4 المحارب، المصدر السابق.
5 بكر، المصدر السابق، ص15.
6 المصدر نفسه، ص74.

صينية أو هندية، وكانت هذه الدول تلجأ لإضعاف المسلمين اقتصادياً، من خلال الاستيلاء على الأراضي والأموال العامة للمسلمين والأوقاف والمؤسسات الإسلامية، كما مر بنا سابقاً في البوسنة والهرسك وفلسطين[1]، ففي الفلبين على سبيل المثال كانت جزيرة مندناو ذات الغالبية الإسلامية تساهم في رفد الاقتصاد الفلبيني بـ 53% من إنتاج الذرة في البلاد و55% من انتاج البن و50% من إنتاج جوز الهند و50% من صيد الأسماك و39% من اللحوم و29% من الارز و 100% من المطاط و50% من الفاكهة و100% من إنتاج الموز فضلاً عن اكتشاف النفط فيها، لذلك استولى النصارى على المناطق الإسلامية وانتزعوا الأراضي الزراعية الخصبة من أيدي المسلمين تساندهم في ذلك قوات الجيش الفلبيني، ناهيك عن استهداف تلك القوات للقرى الإسلامية وإحراق مزارعها وتخريبها، ونتج عن ذلك أن 80% من المسلمين في الفلبين يعانون من الفقر والجهل وانتشار الأمية وكثرة الخلافات بين الزعماء[2].

بالمقابل كان لمسلمي الأقليّات فضل كبير في تنمية اقتصاديات بعض الدول، فبلغت نسبة الأيدي العاملة من المسلمين في فرنسا حوالي (5) ملايين عامل، في مختلف قطاعات الإنتاج والاستثمار، وساهمت في تنشيط الاقتصاد الفرنسي، ولعبت الشعائر الإسلامية دوراً مهماً في هذا النشاط وعلى وجه الخصوص عملية نحر الأضاحي في عيد الأضحى المبارك، وحسب تقديرات المجموعة الأوروبية في بروكسل عام 2001 فإن المهاجرين وغالبيتهم من المسلمين يساهمون بما نسبته (15,7) من الناتج الإجمالي الفرنسي[3].

كما ساهم المسلمون عموماً في عمليات التعمير التي تلت الحرب العالمية الثانية في أوروبا الشرقية والمانيا، ولجأت العديد من الدول لاستقطابهم للعمل فيها، فقامت السلطات الهولندية خلال المدة (1960–1973) بتوظيف عدد كبير من المهاجرين لاسيما الأتراك والمغاربة بسبب نقص الأيدي العاملة الهولندية، لكن ومع بروز الركود الاقتصادي (1973–1974) بدأت بعض الاصوات ترتفع منادية بتقليص حقوق العمال بهدف دفعهم إلى الهجرة لكن ذلك لم يمنع تزايد اعداد المهاجرين الوافدين إلى هولندا[4].

ونرى أن الضعف الاقتصادي للأقليّات الإسلامية في الغرب أدى إلى غياب القوة المؤثرة

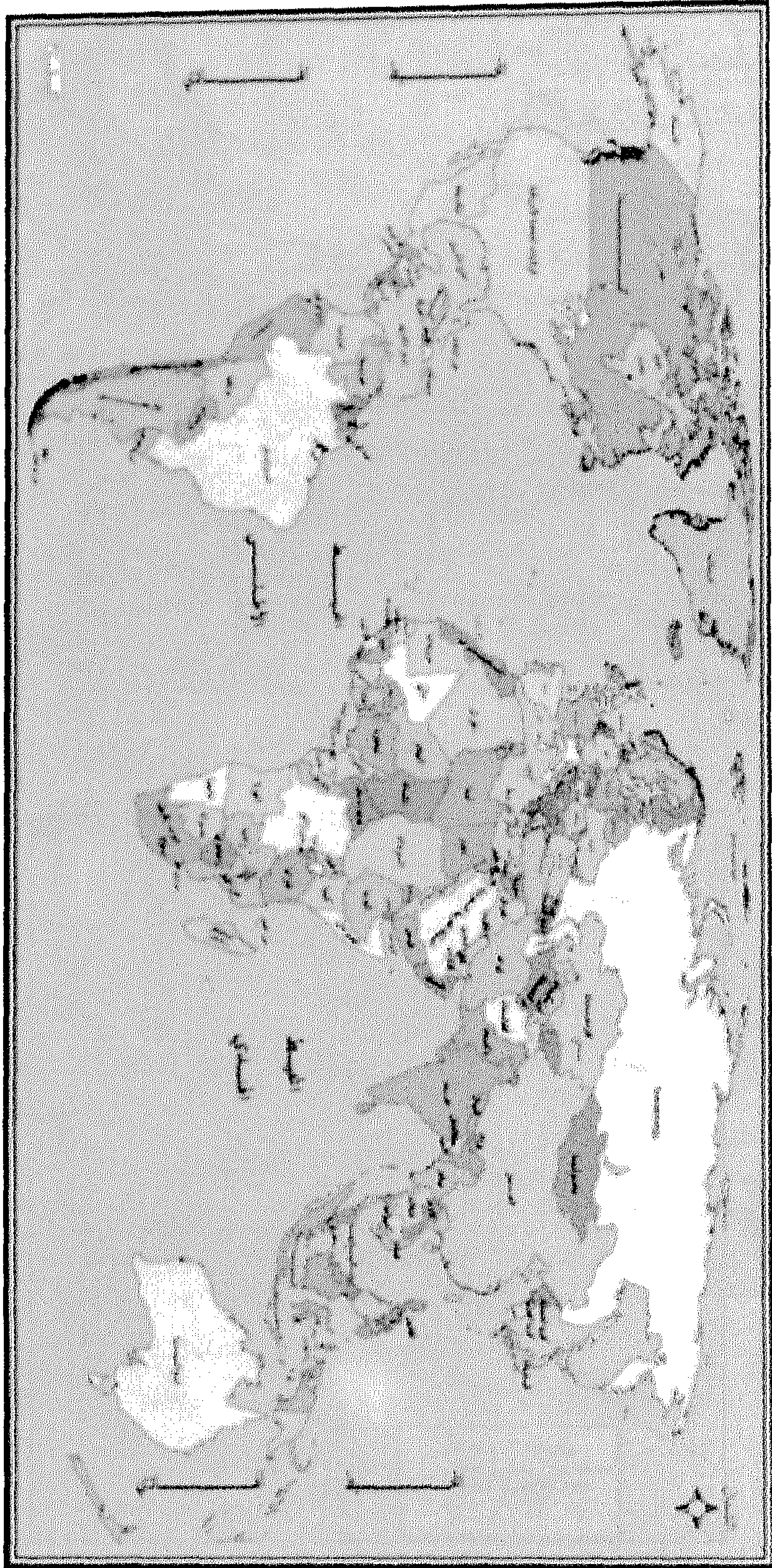
1 نواهضة، المصدر السابق.
2 بكر، المصدر السابق، ص151.
3 الداغر، مشكلات وتحديات.
4 المكيمي، المصدر السابق.

في صناعة القرار السياسي ، بالمقابل استطاع الصهاينة من خلال الاقتصاد التأثير في السياستين الأمريكيـة والأوروبية؛ فأكـبر الشركات وأهم الأثرياء وأضـخم المشروعـات تجد وراءها رأسماليين من الصهاينة ومن هم على شاكلتهم .

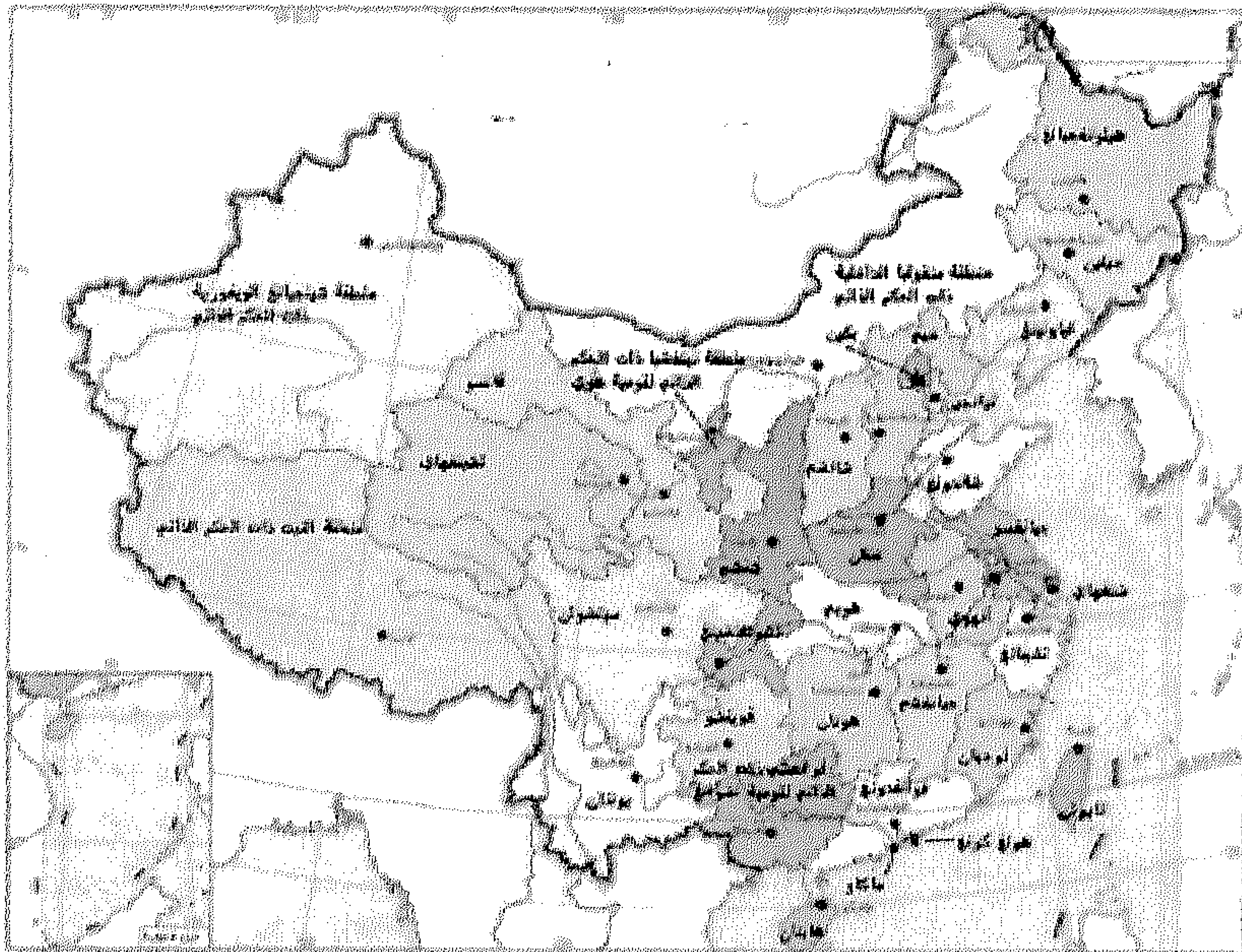
وعلـى الرغـم من قيام بعض الدول الإسـلامية بضـخ المليارات وايداعها في المصـارف الأوروبية والأمريكية إلا أنها لا تسـتثمر في المشـاريع التي تخدم مصـلحة مسـلمي المهجر وقضايا الأقليّات الإسلامية هناك[1] .

1 البرازي ، المصدر السابق .

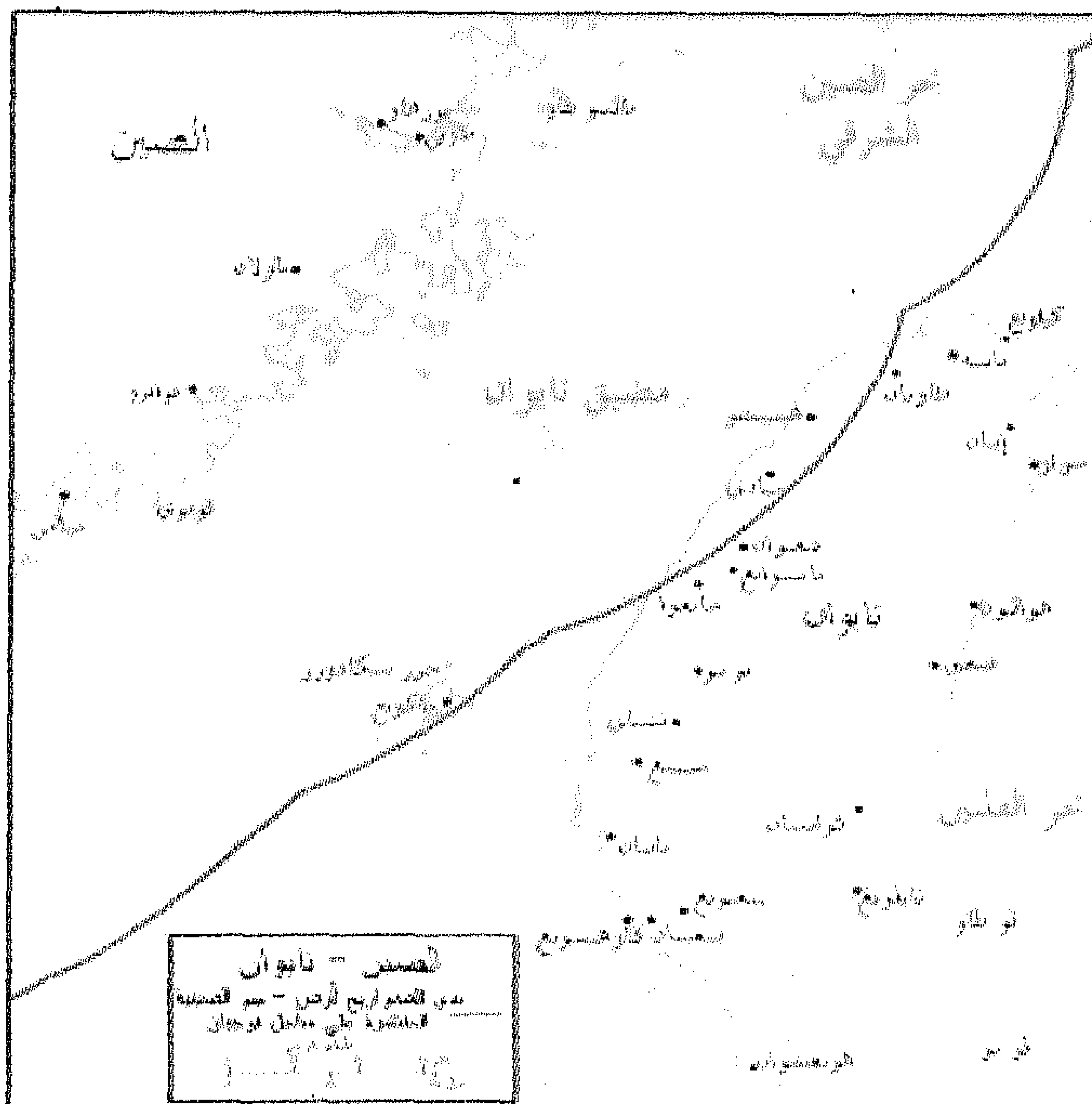
الملاحق



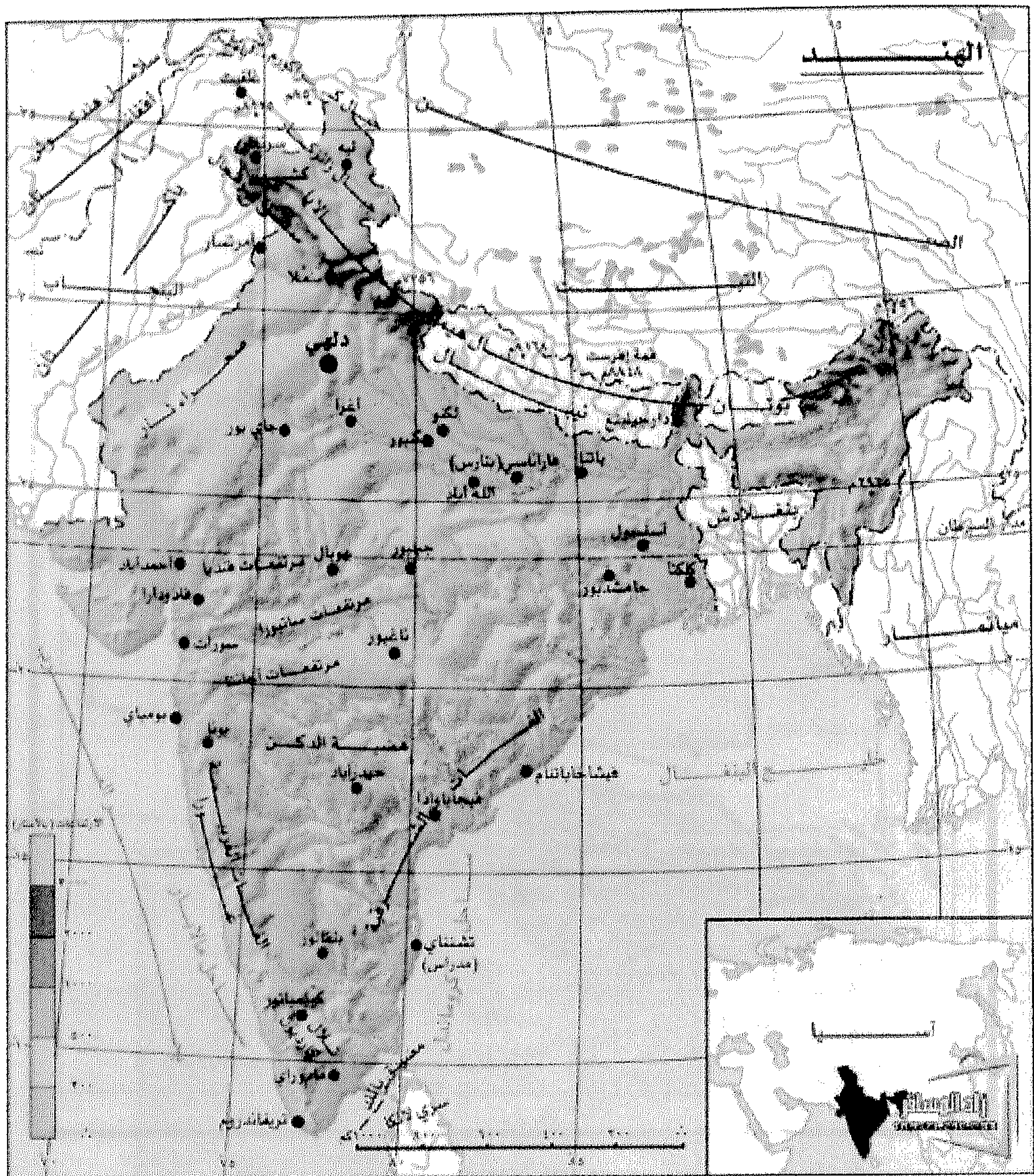
ملحق (1) خريطة العالم



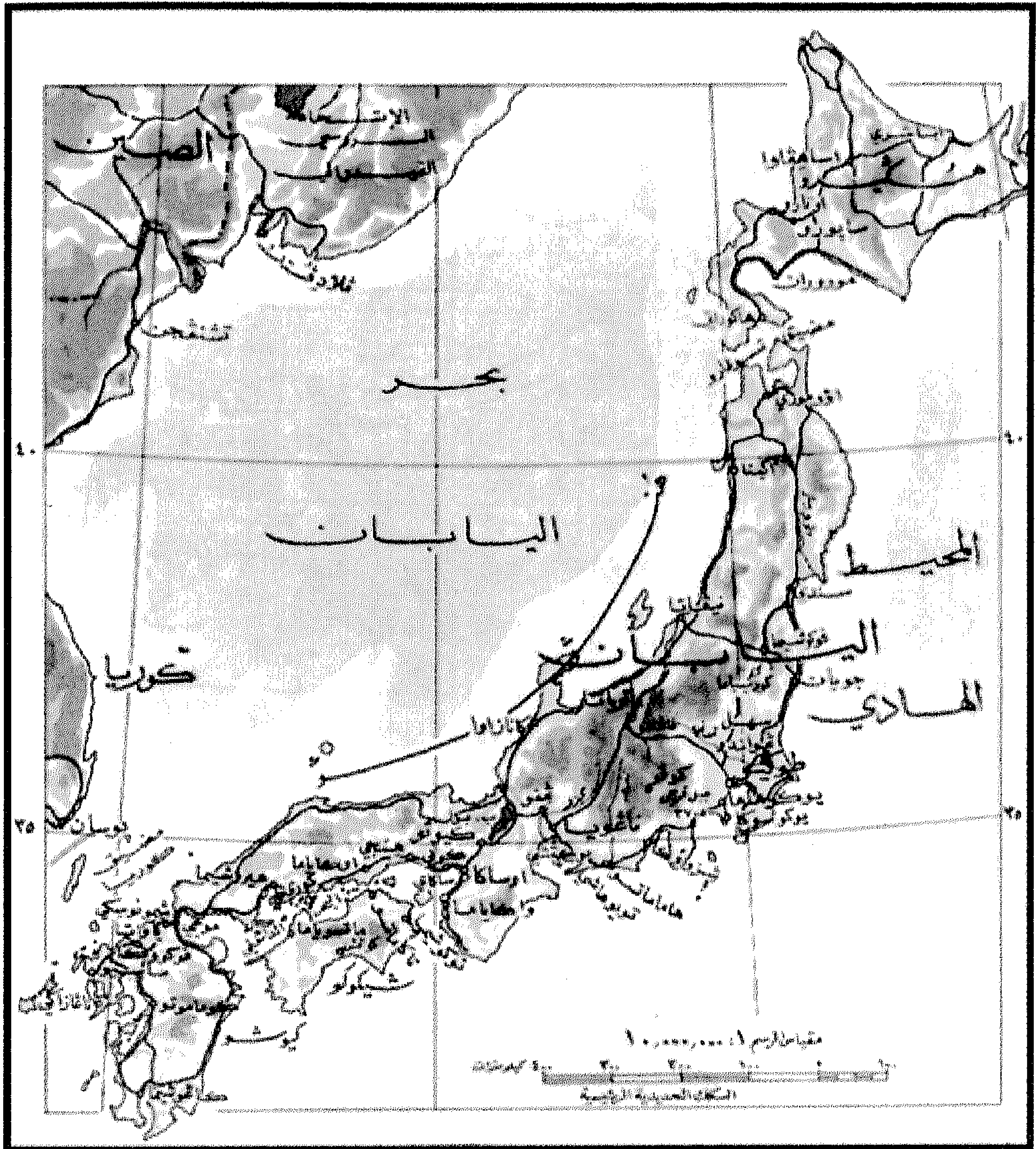
ملحق (2) خريطة الصين



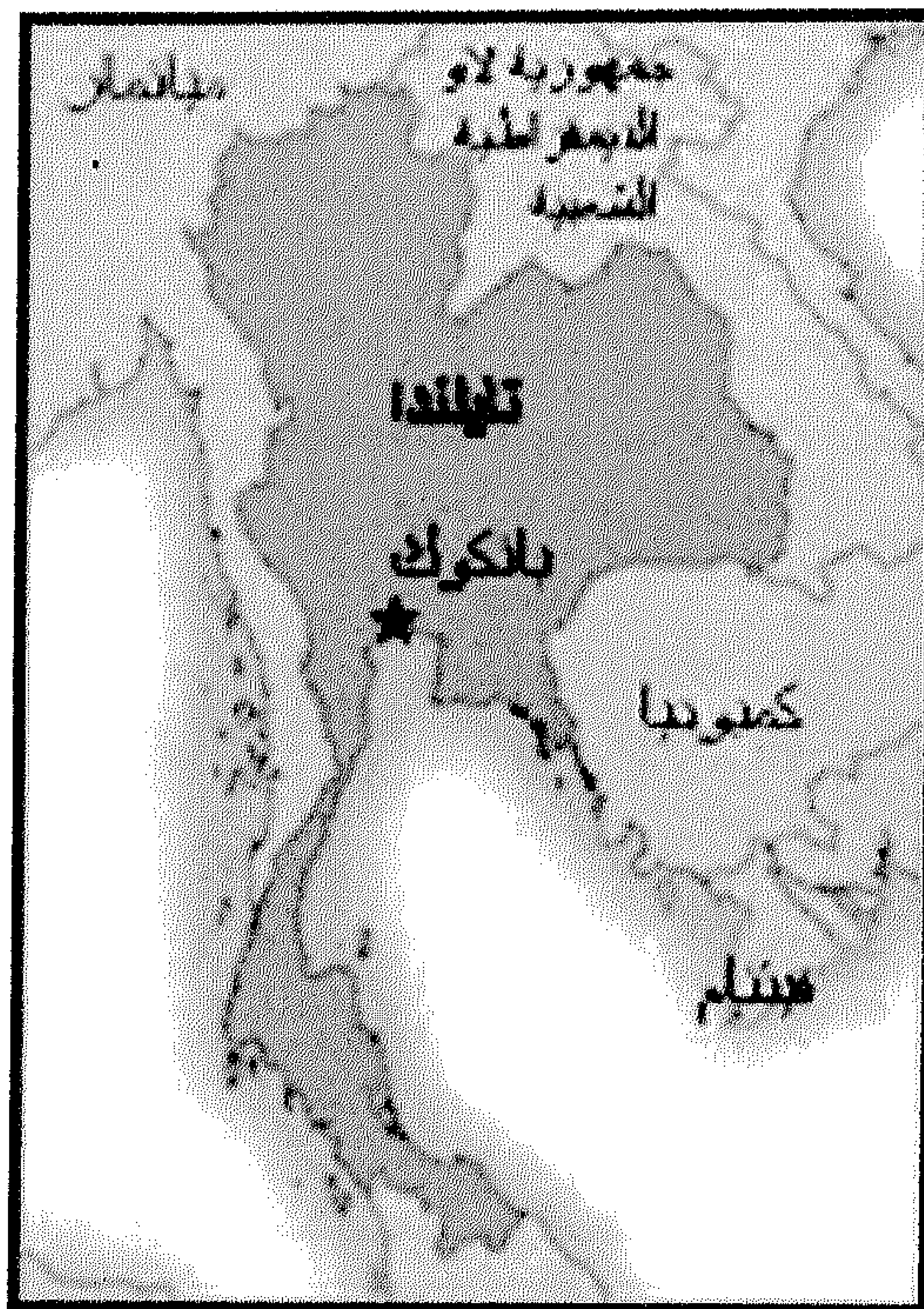
ملحق (3) خريطة تايوان



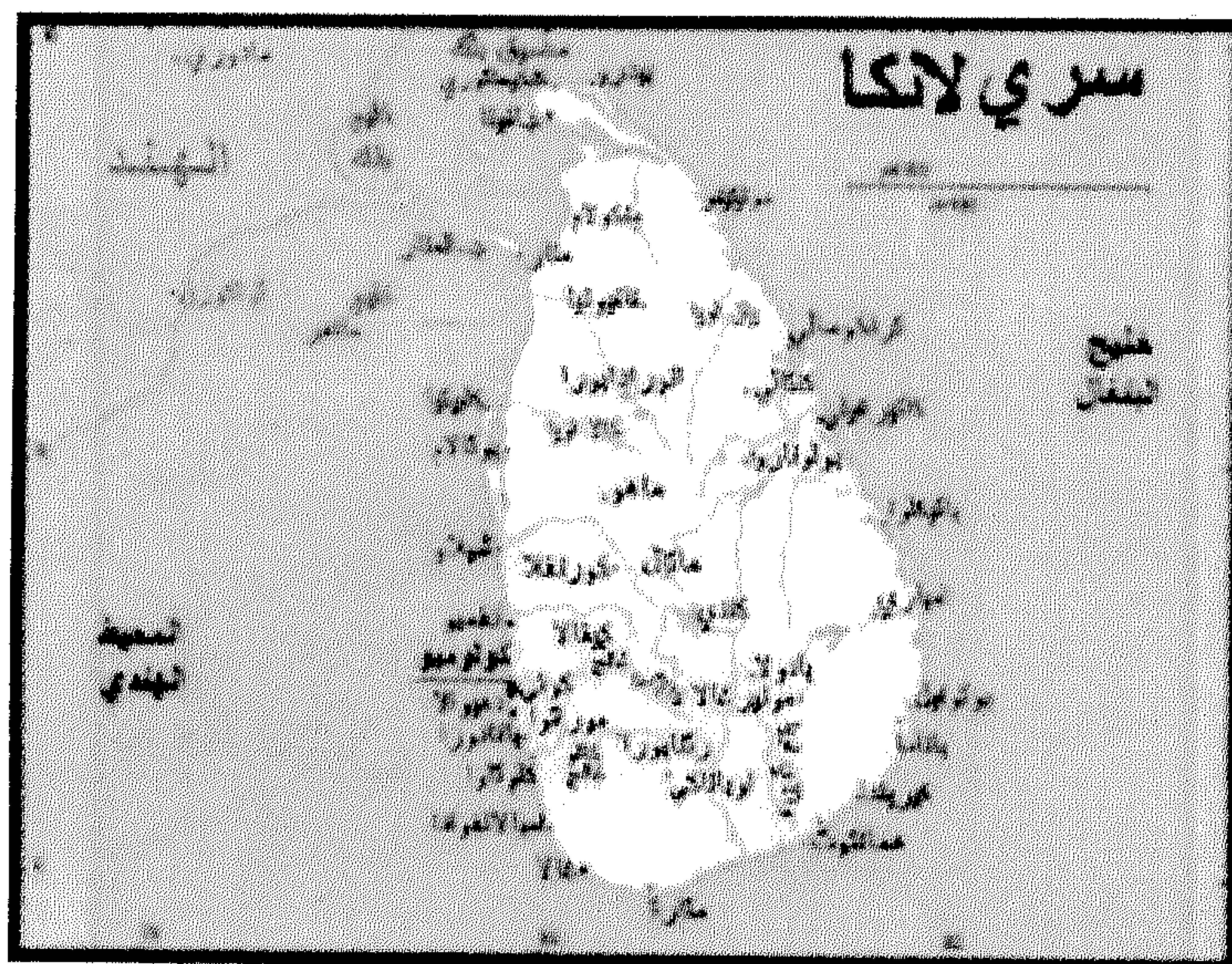
ملحق (4) خريطة الهند



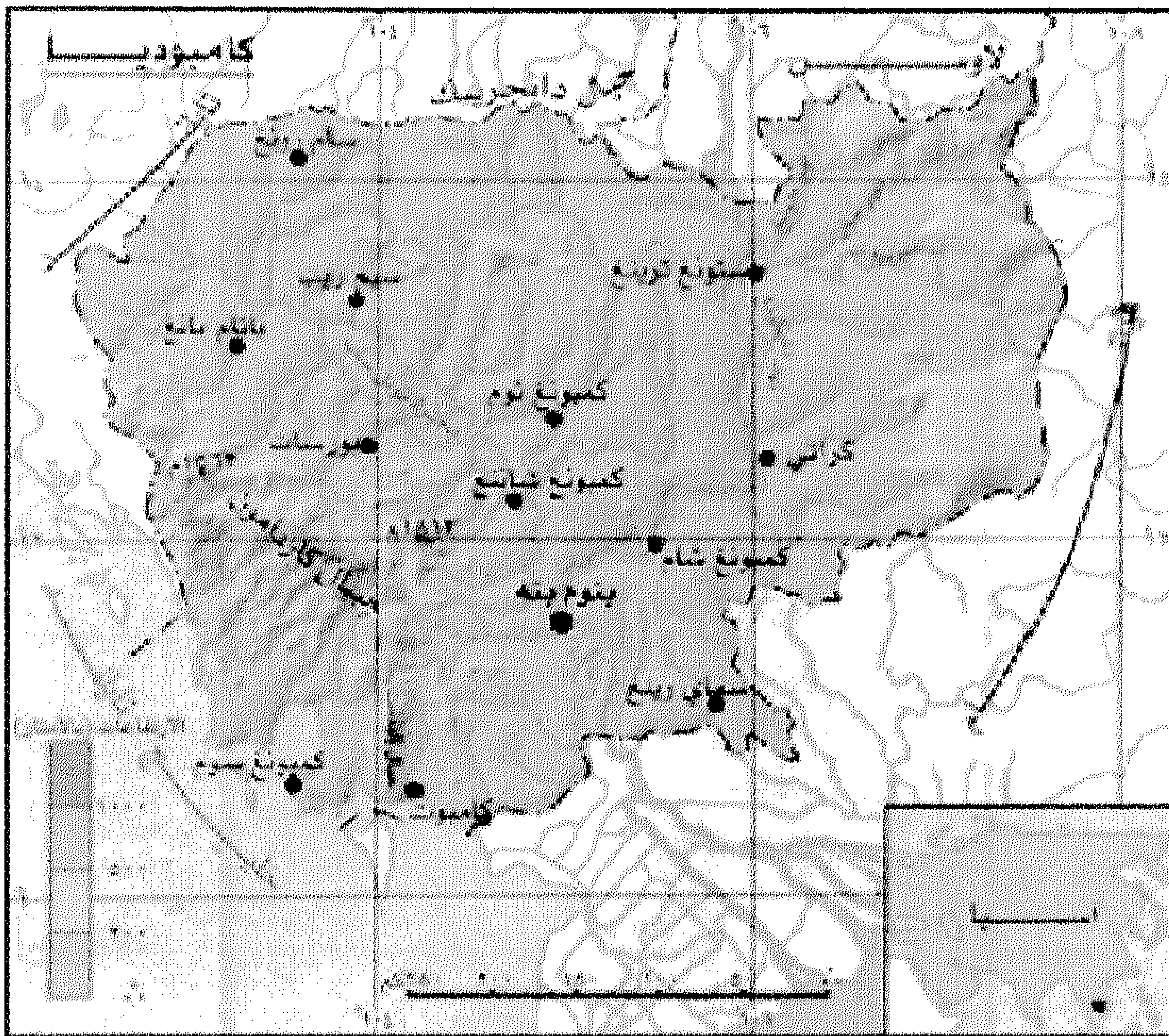
ملحق (5) خريطة اليابان



ملحق (6) خريطة تايلندا



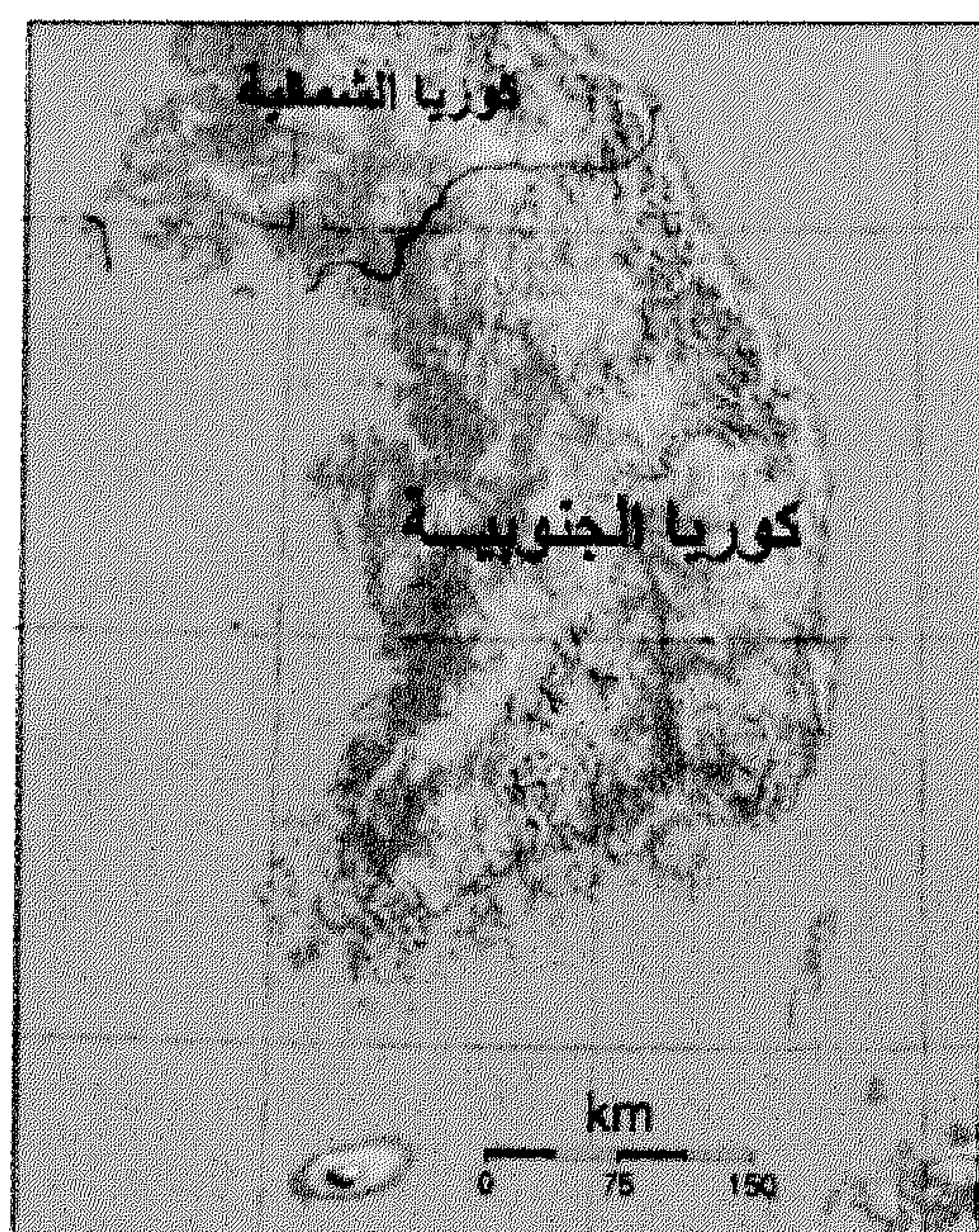
ملحق (7) خريطة سري لانكا



ملحق (8) خريطة كامبوديا



ملحق (9) خريطة نيبال



ملحق (10) خريطة كوريا الجنوبية

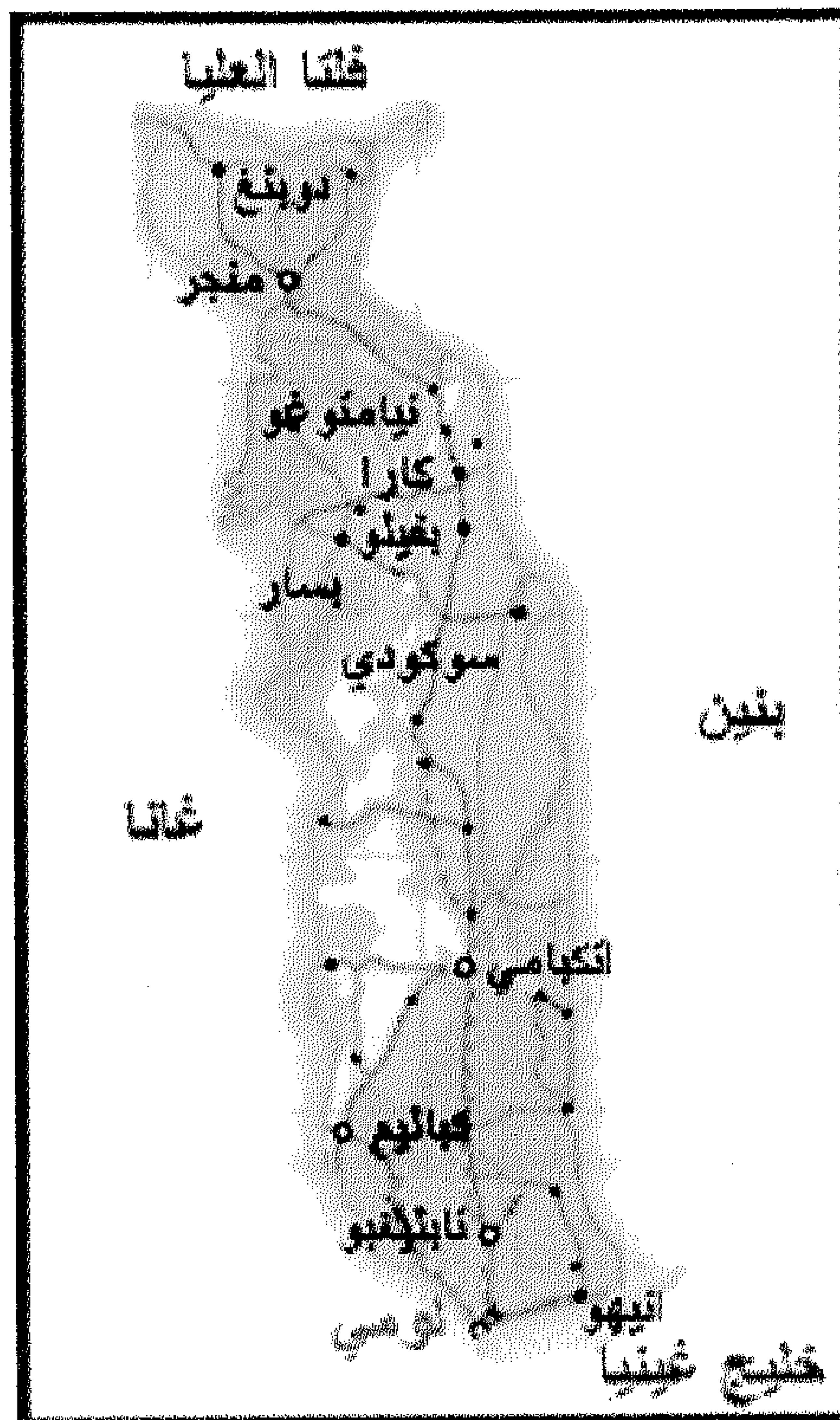


ملحق (11) خريطة ملاوي

ملحق (12) خريطة الكاميرون

ملحق (13) خريطة أوغندا

ملحق (14) خريطة بنين



ملحق (15) خريطة توغو



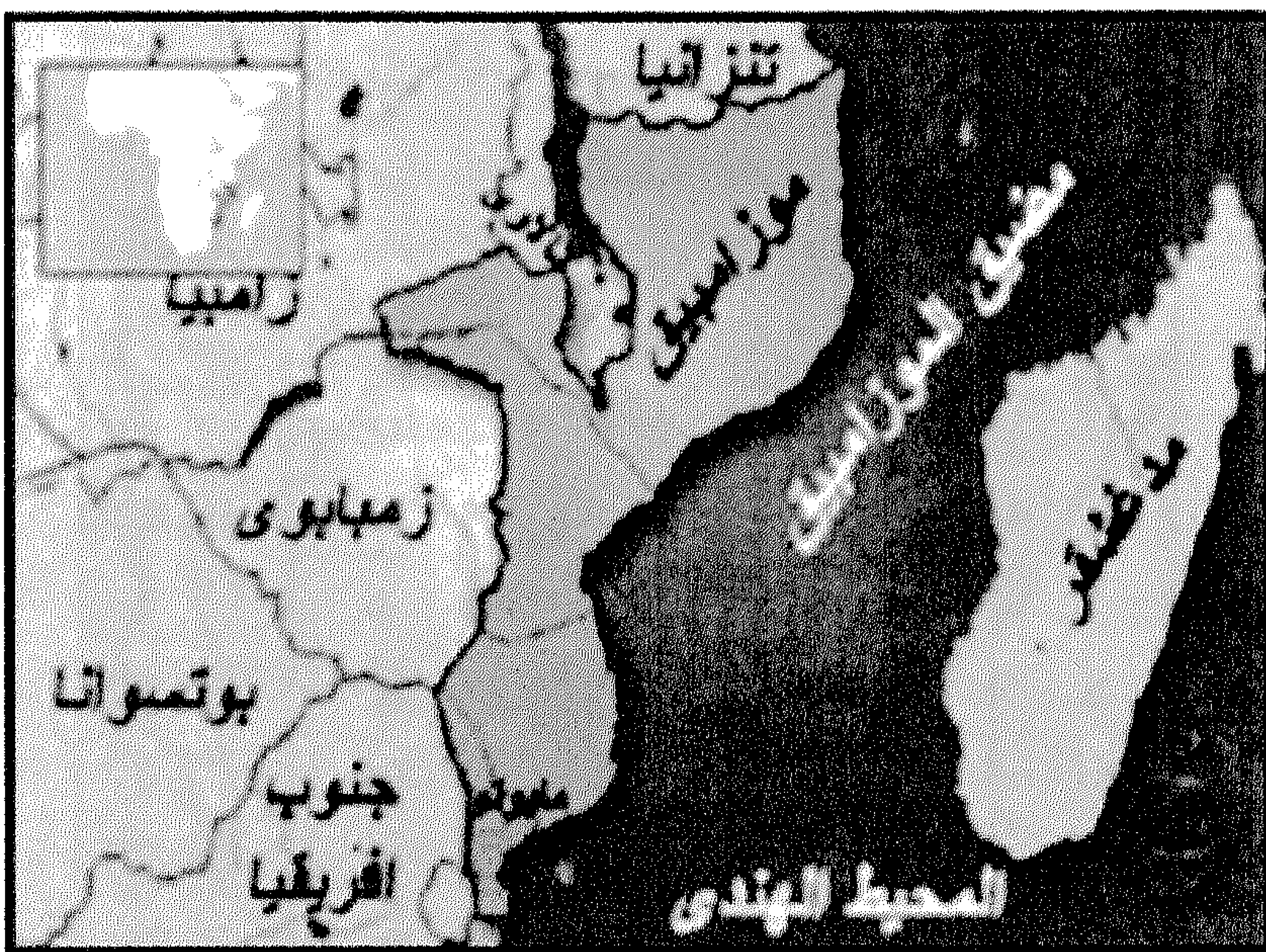
ملحق (16) خريطة زامبيا



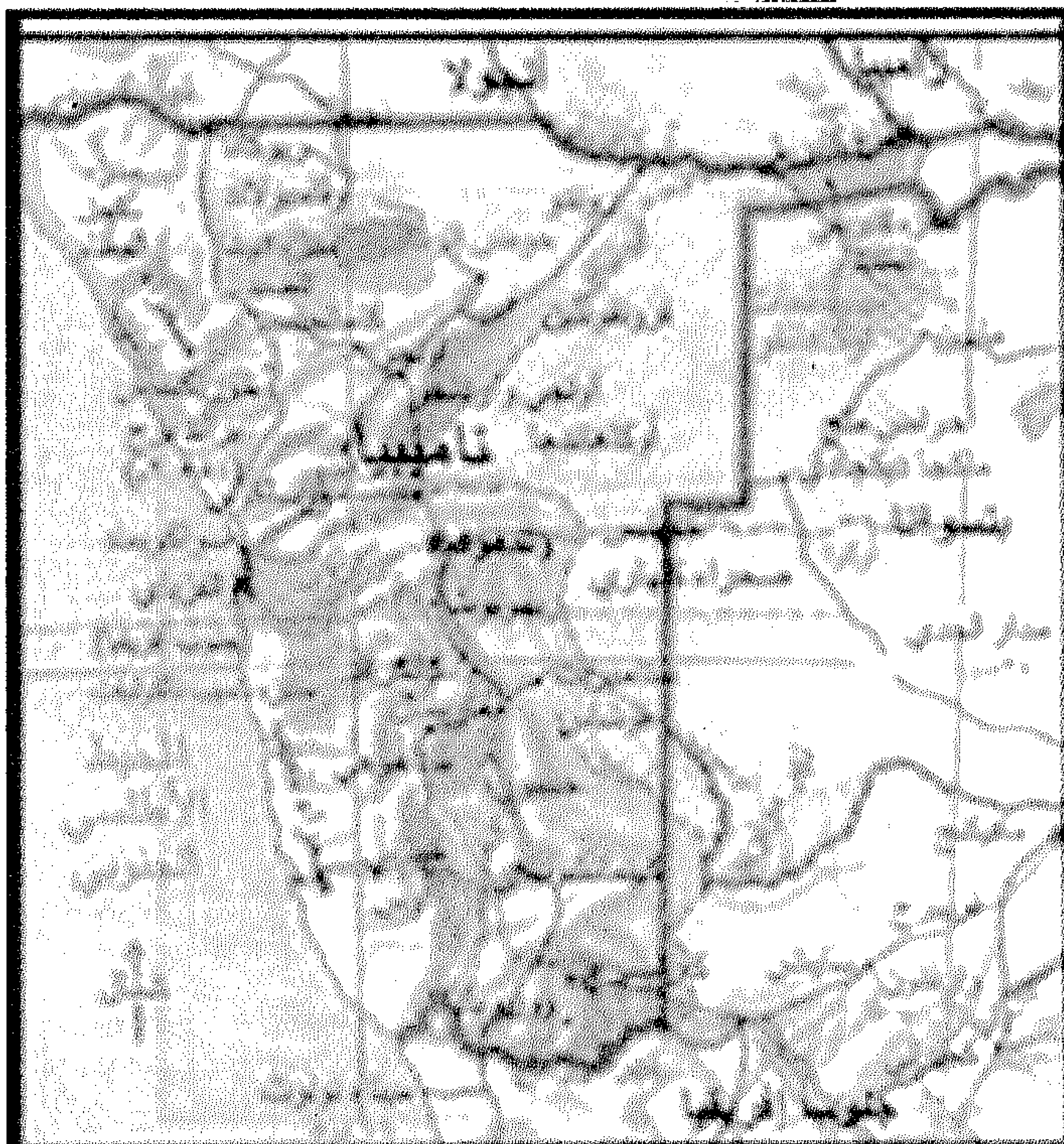
ملحق (17) خريطة زمبابوي



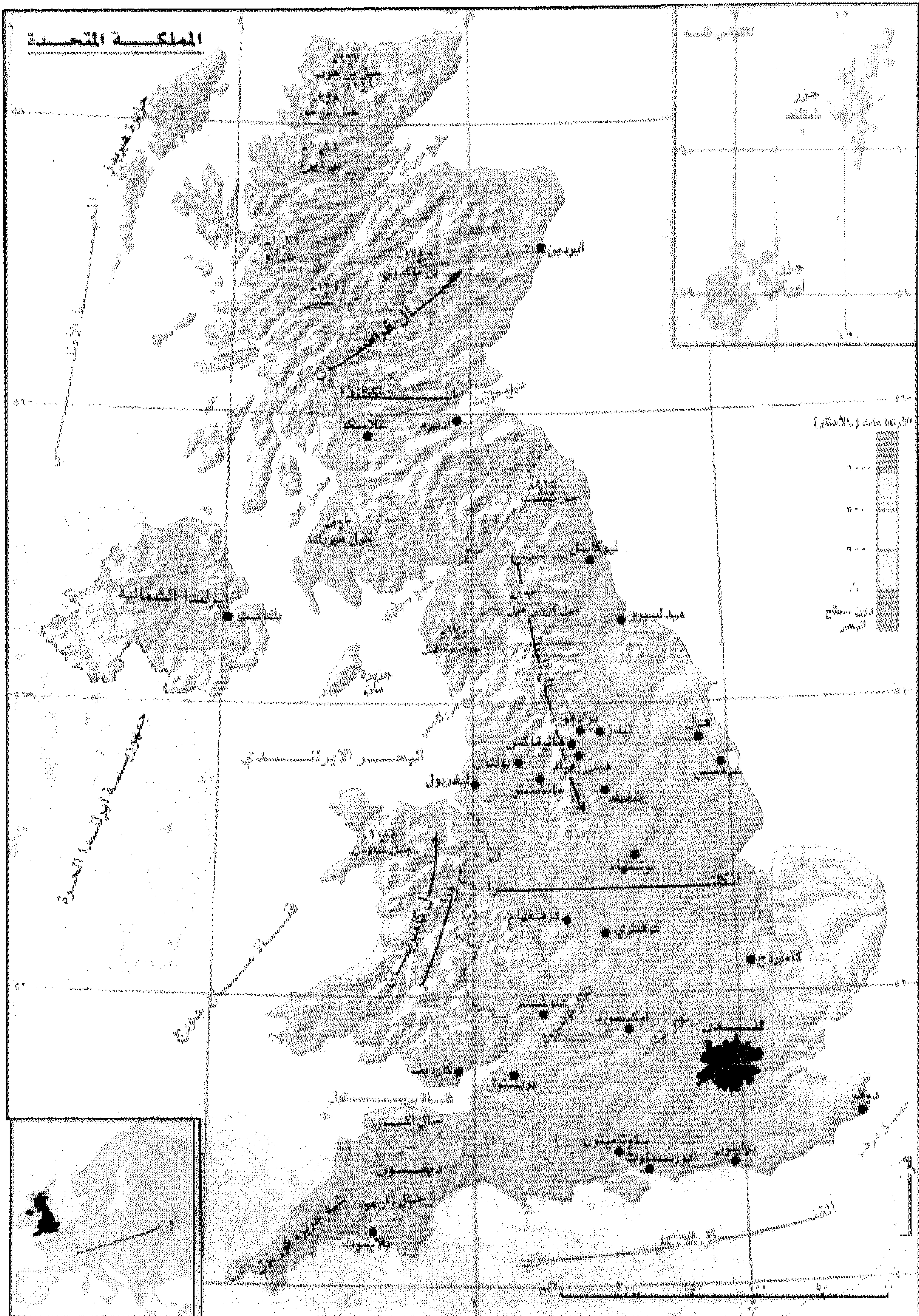
ملحق (18) خريطة كينيا



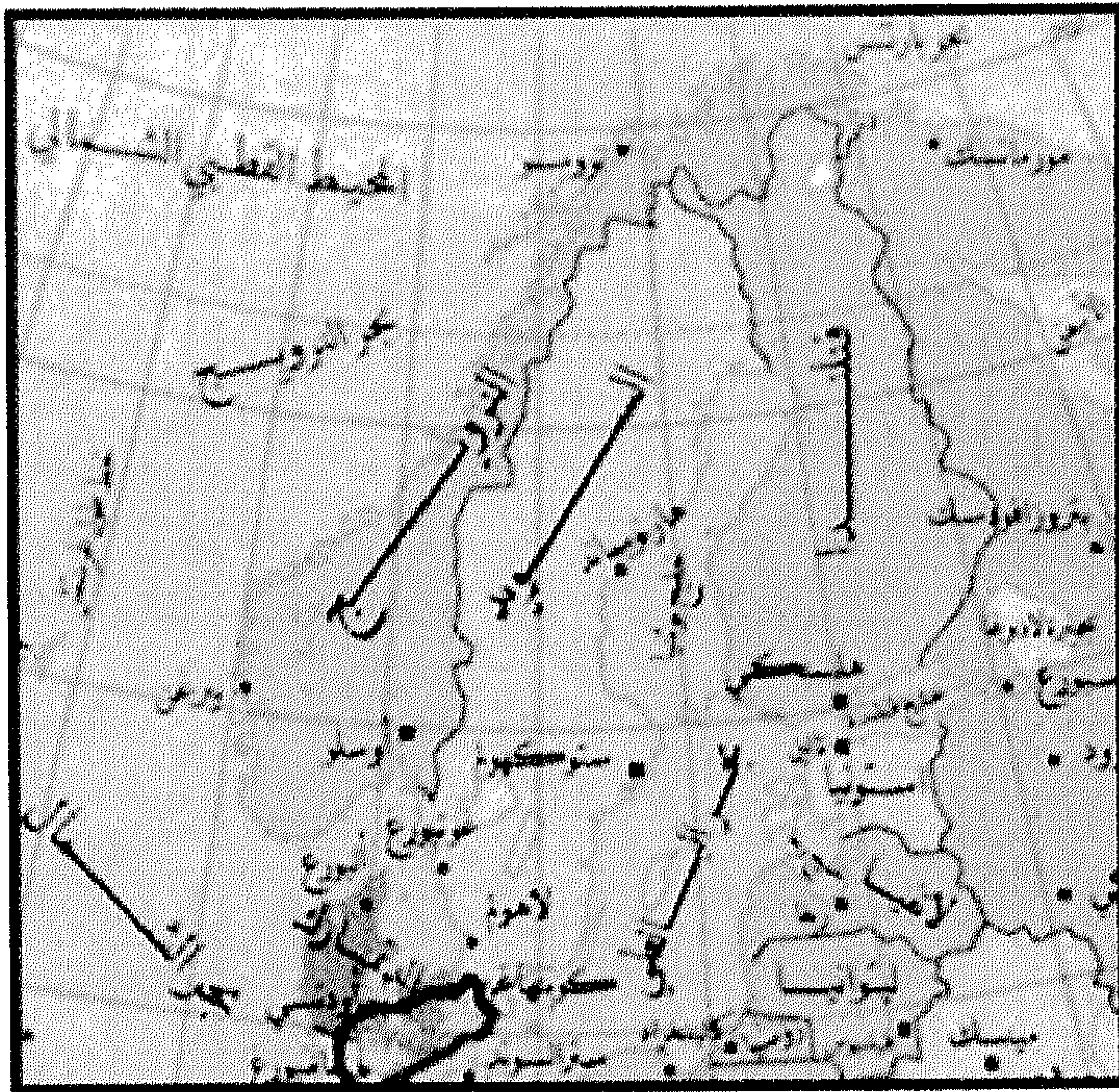
ملحق (19) خريطة موزامبيق



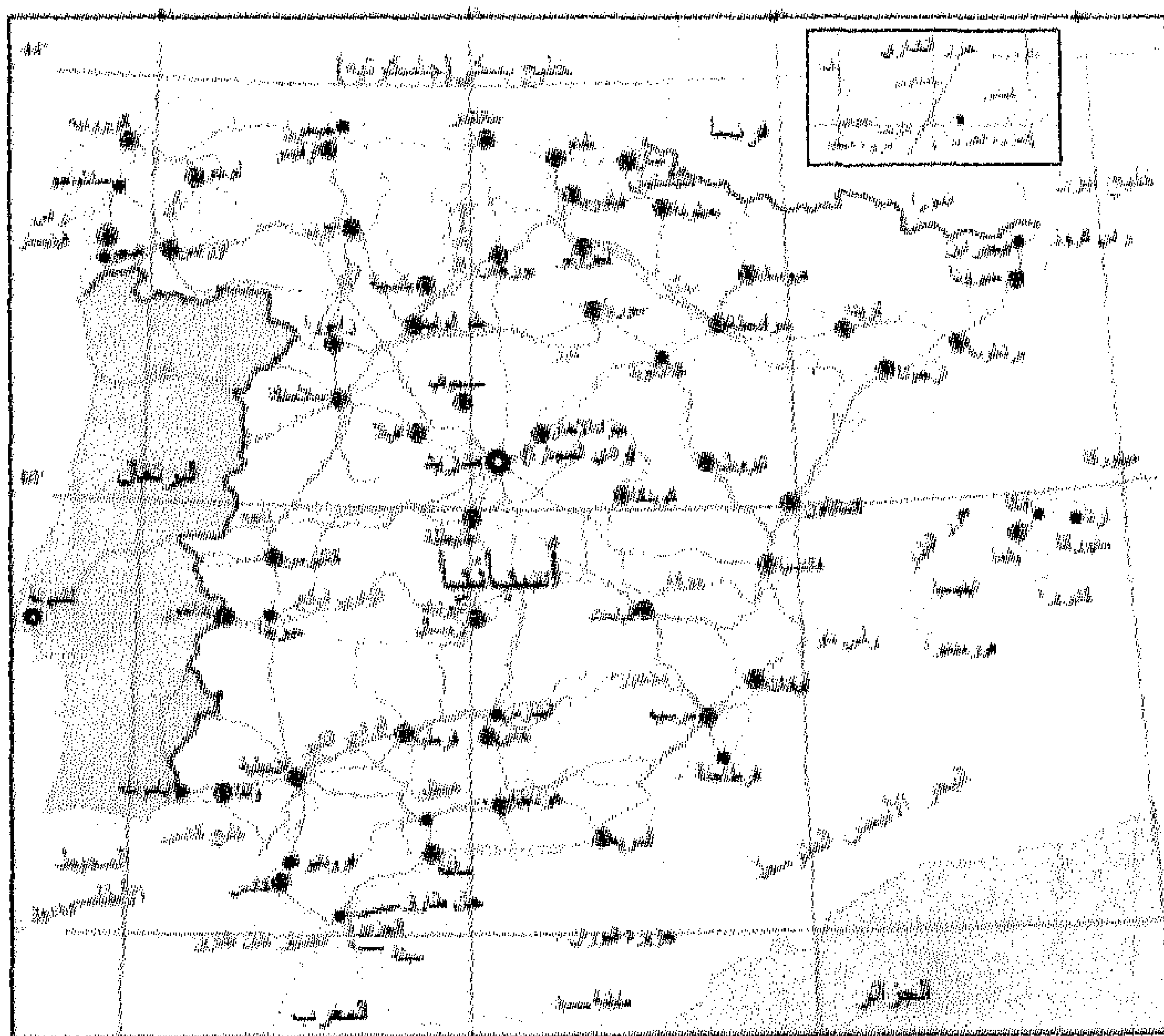
ملحق (20) خريطة ناميبيا



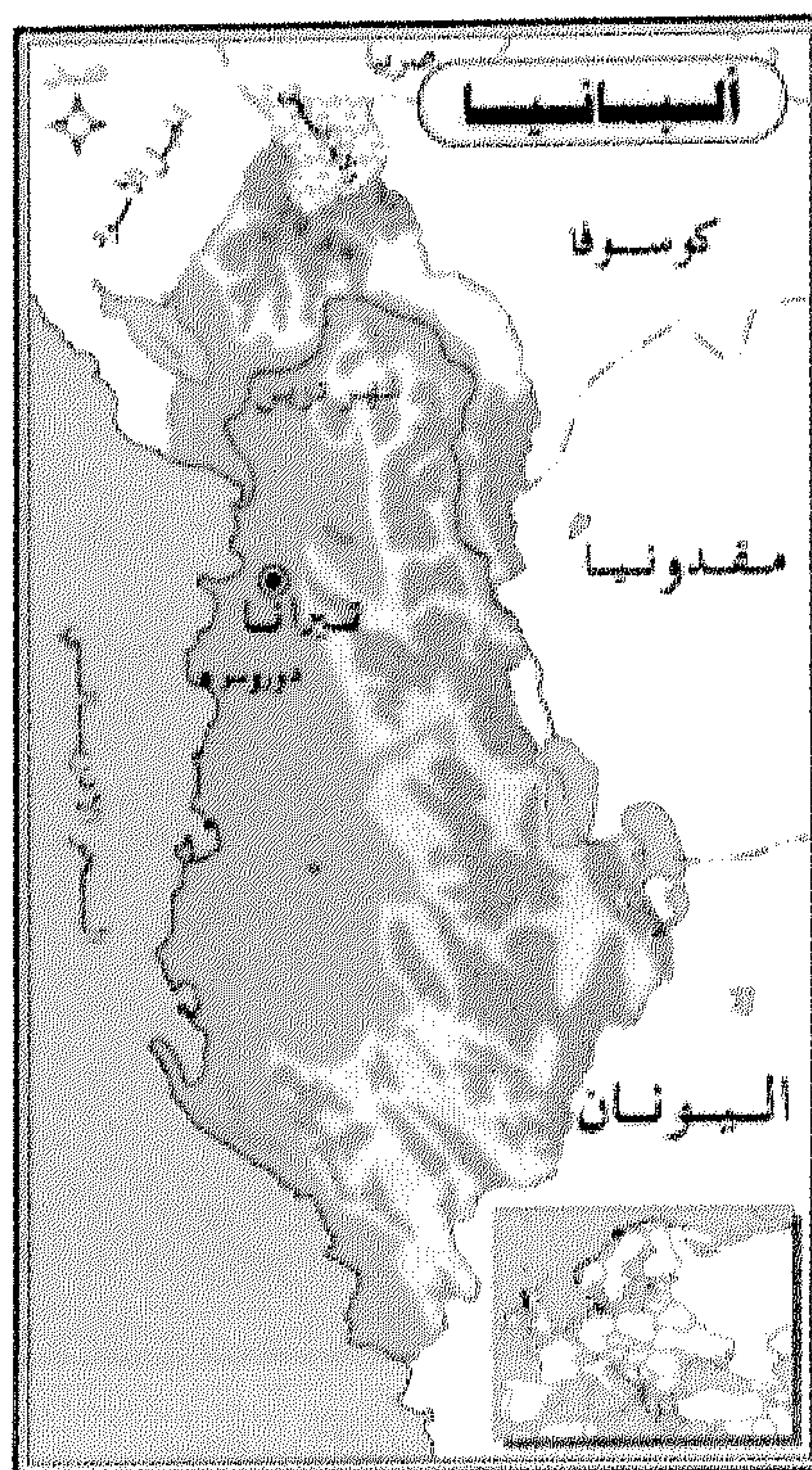
ملحق (21) خريطة المملكة المتحدة



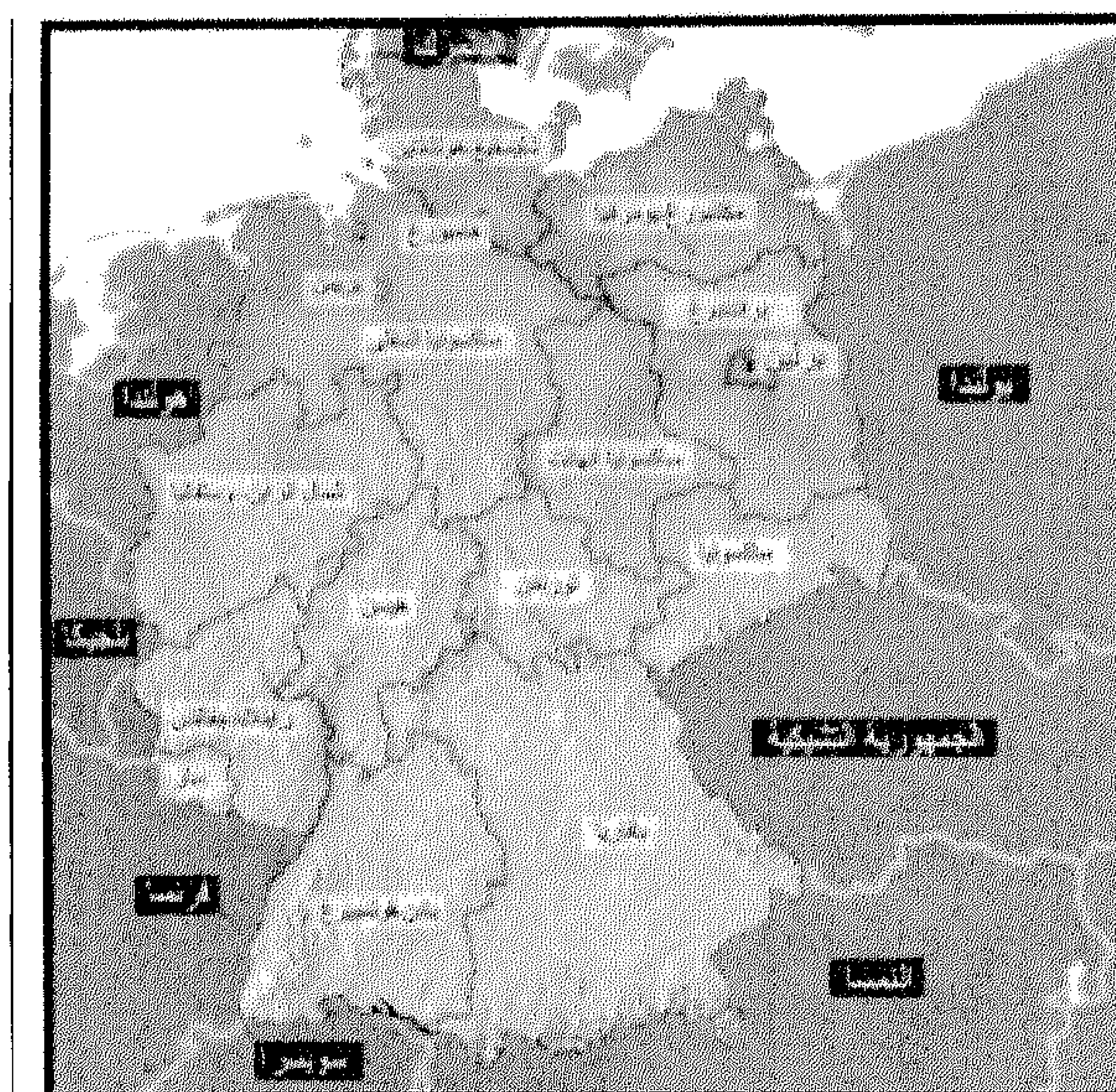
ملحق (22) خريطة الدول الإسكندنافية



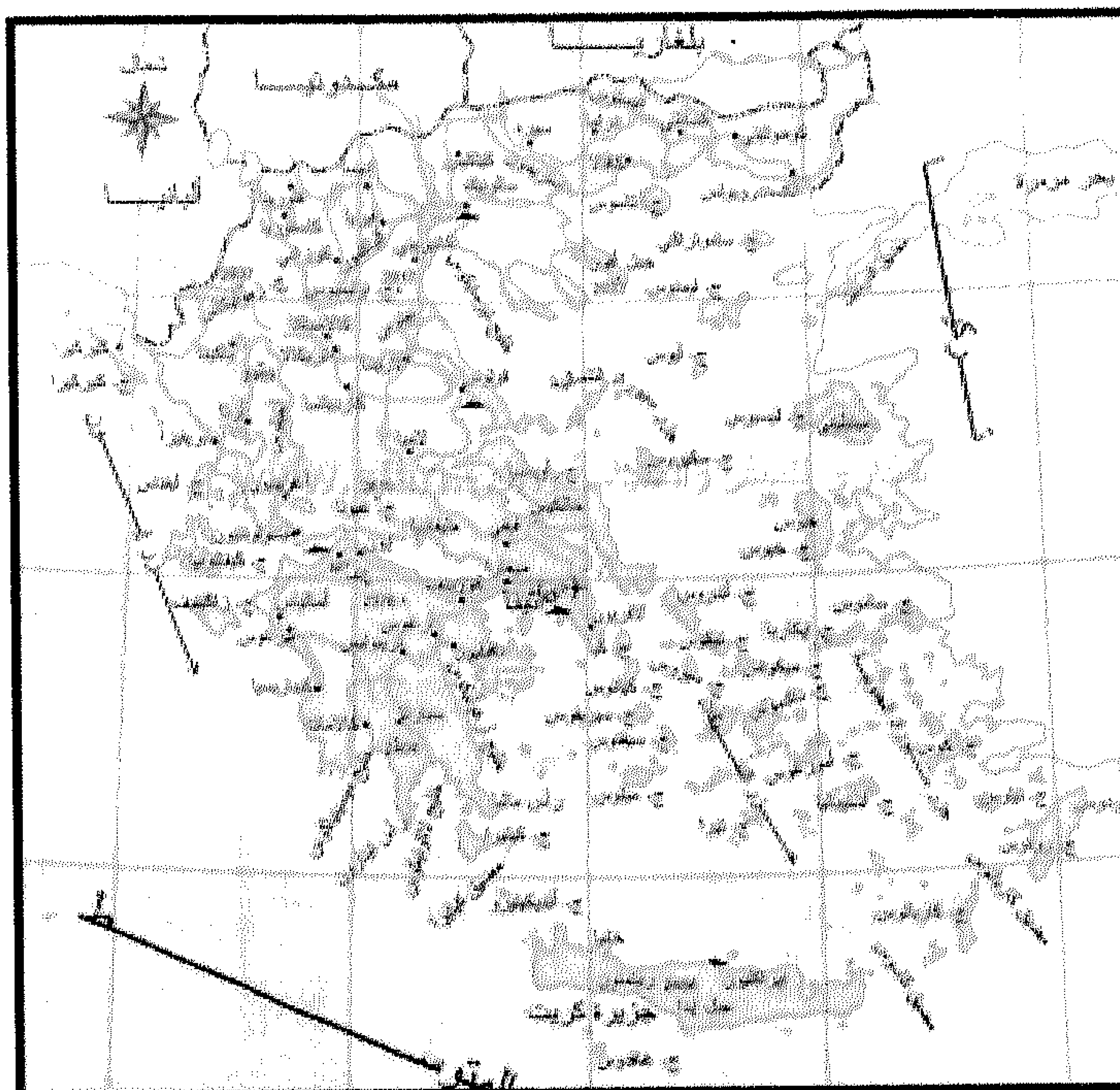
ملحق (23) خريطة إسبانيا



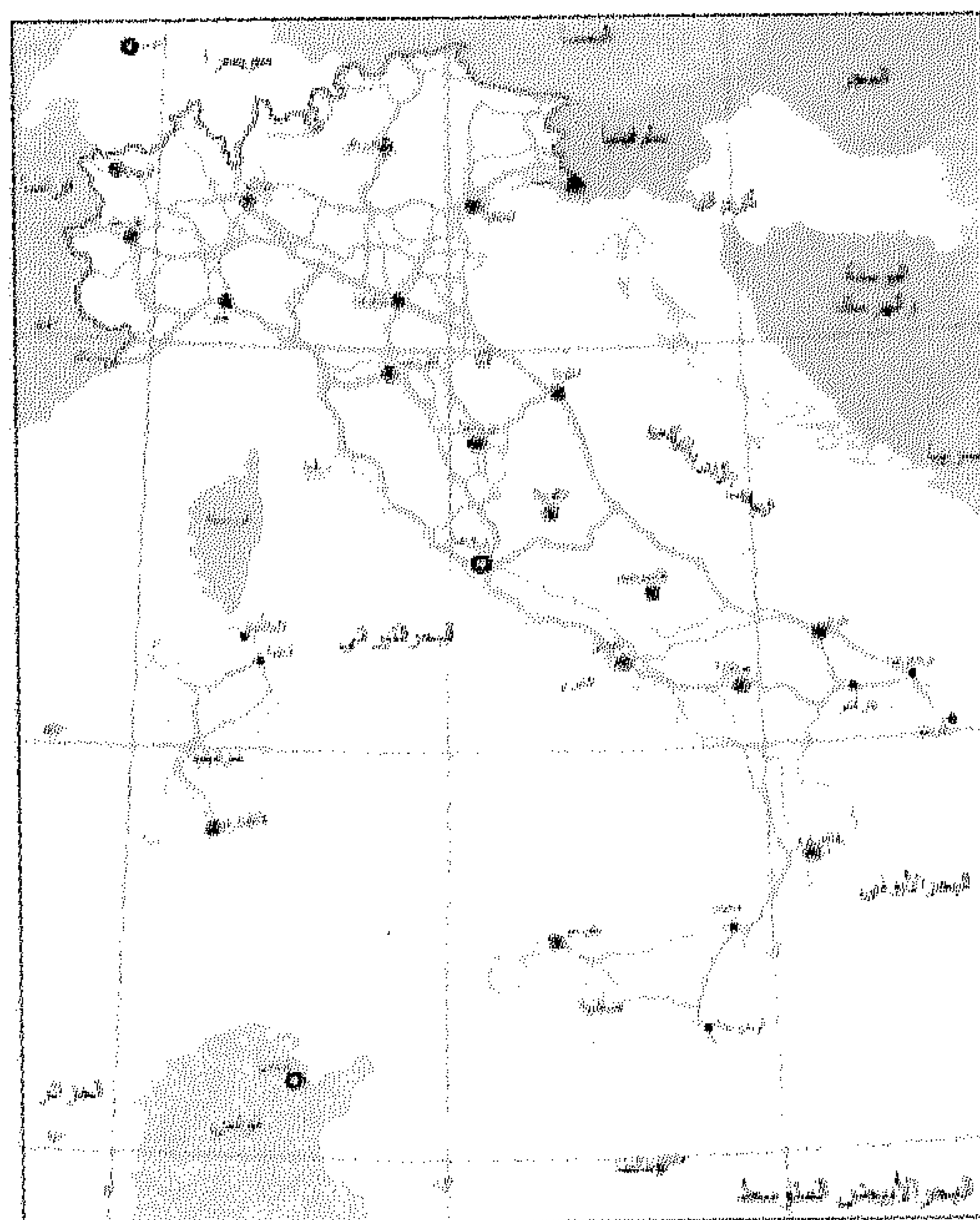
ملحق (24) خريطة ألبانيا



ملحق (25) خريطة ألمانيا



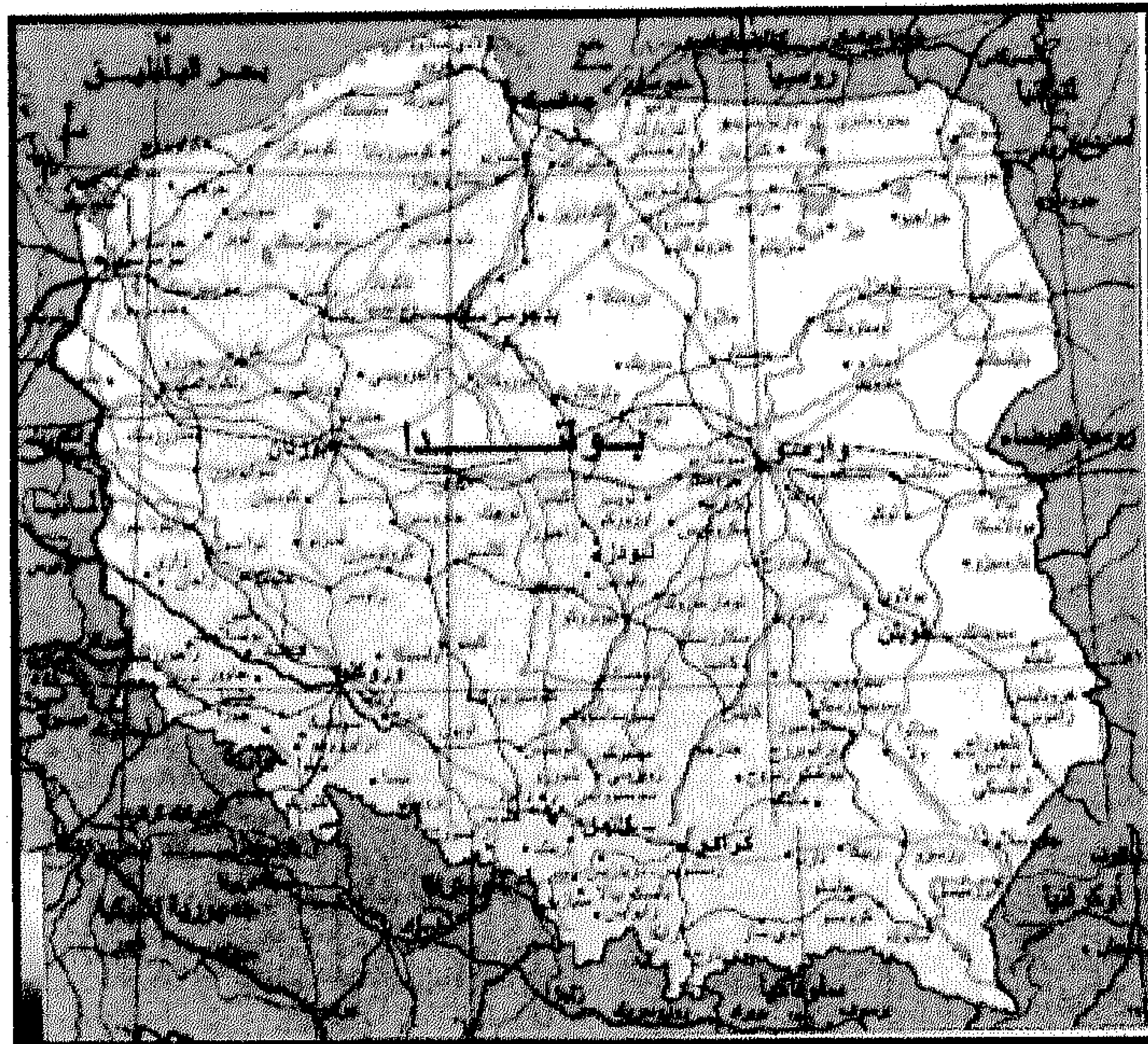
ملحق (26) خريطة اليونان



ملحق (27) خريطة إيطاليا



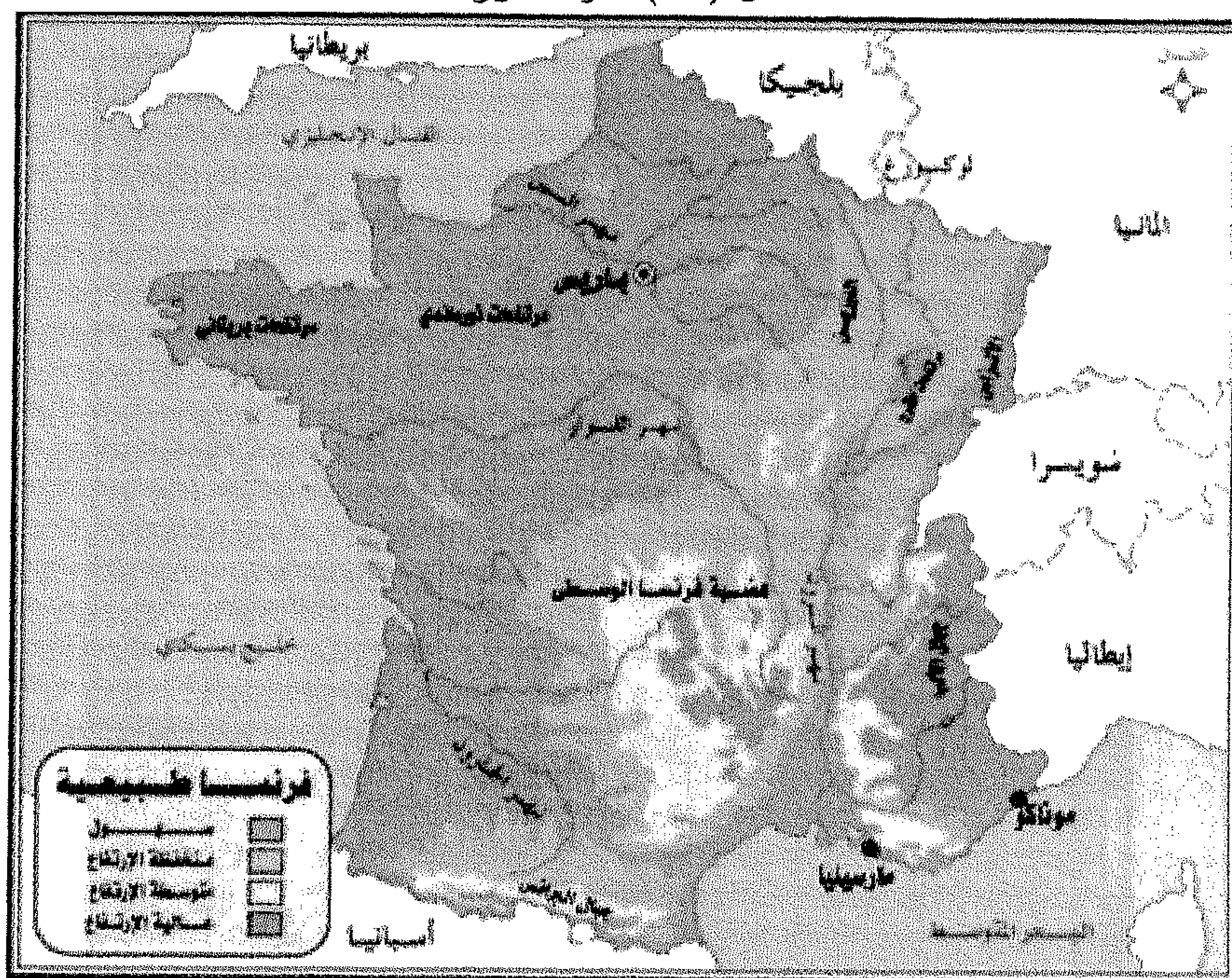
ملحق (28) خريطة بلغاريا



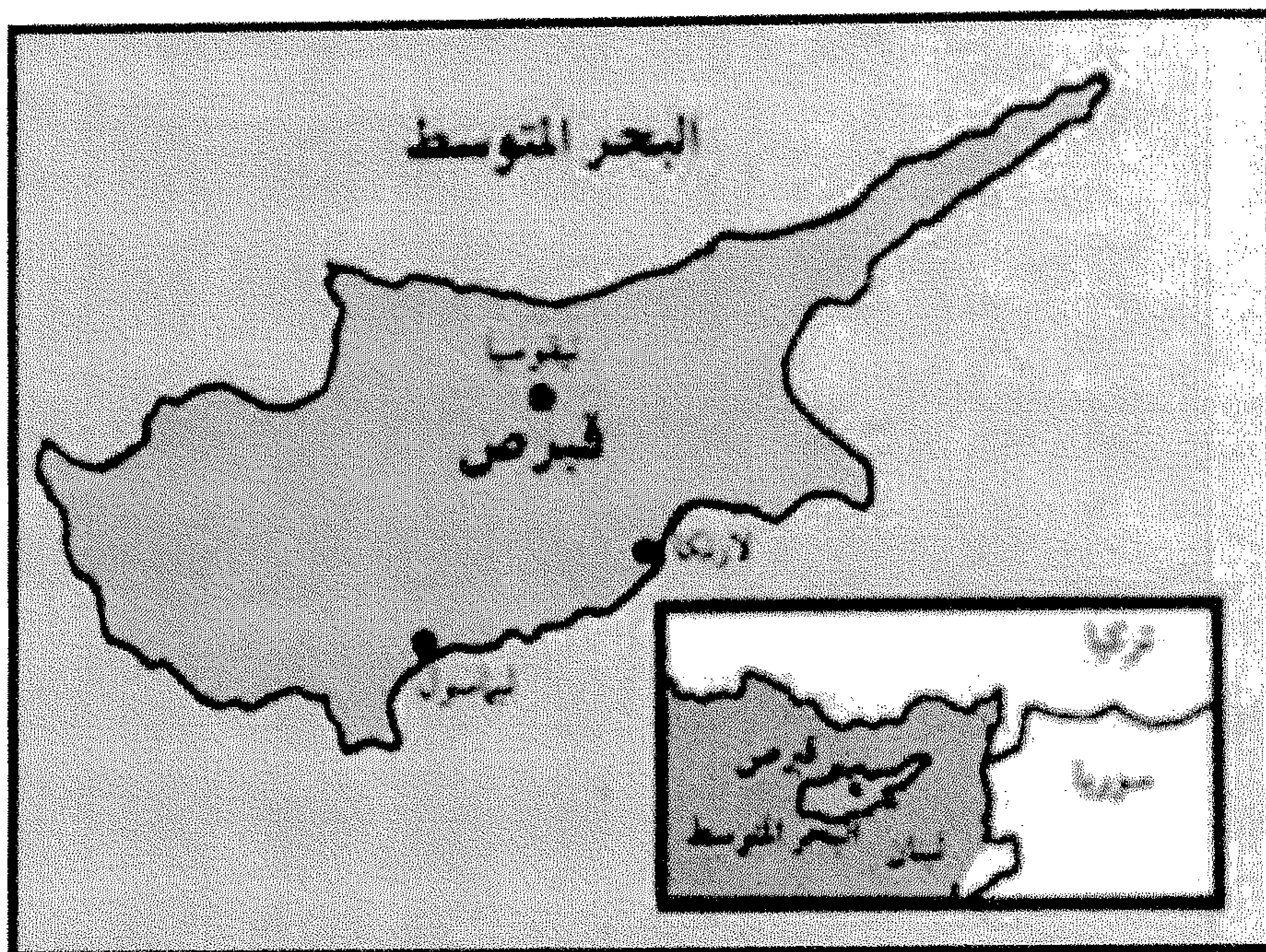
ملحق (29) خريطة بولندا



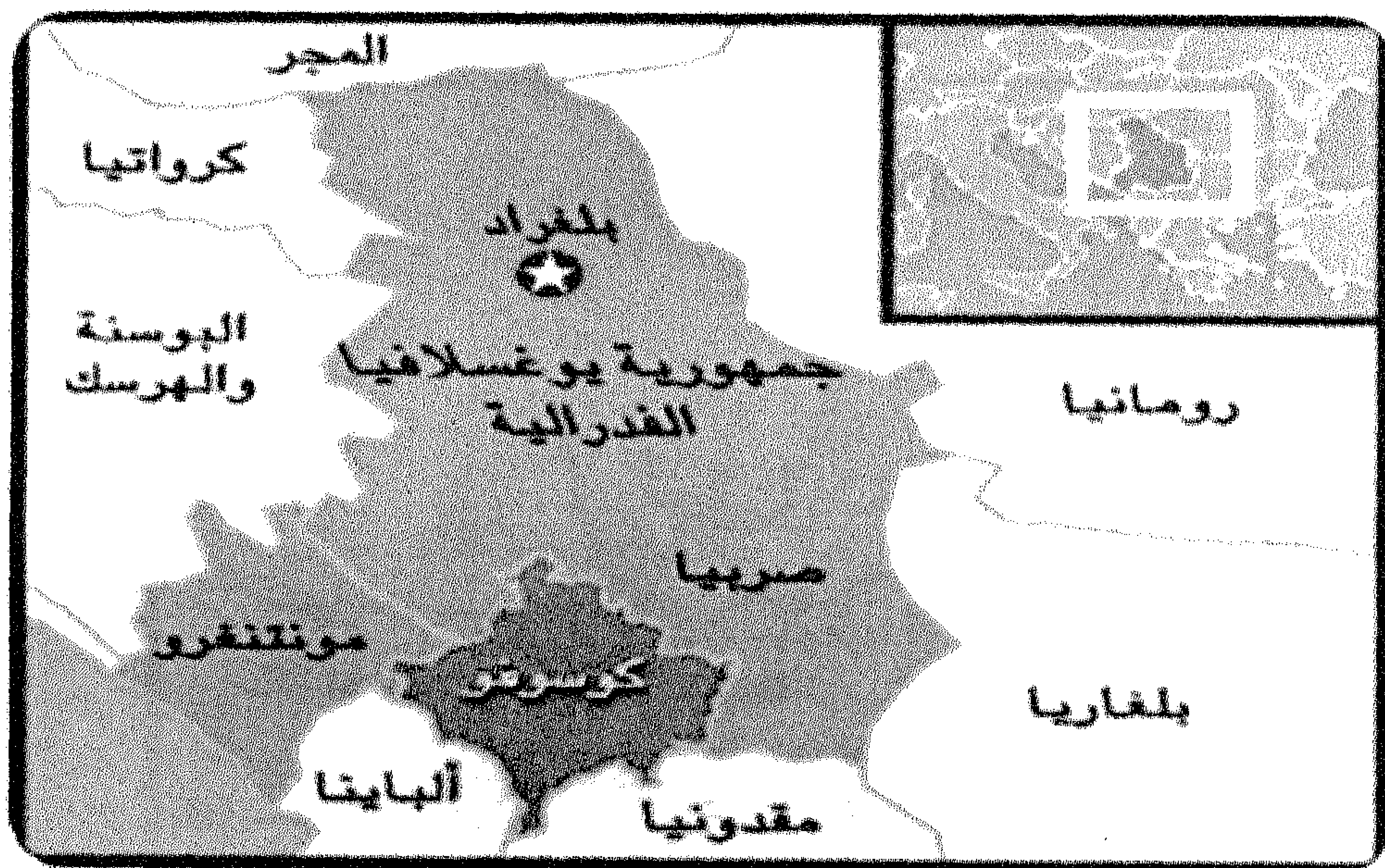
ملحق (30) خريطة رومانيا



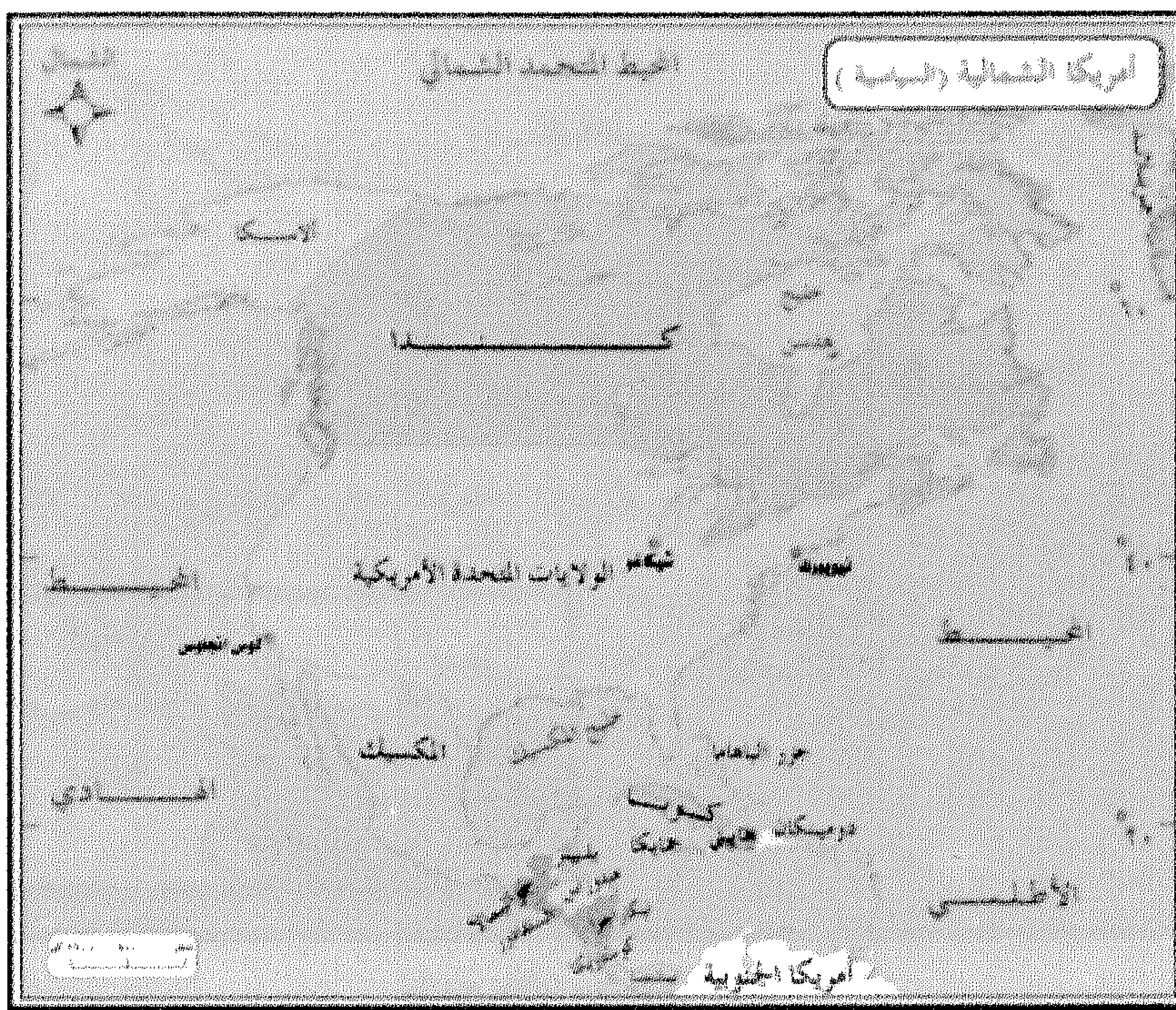
ملحق (31) خريطة فرنسا



ملحق (32) خريطة قبرص



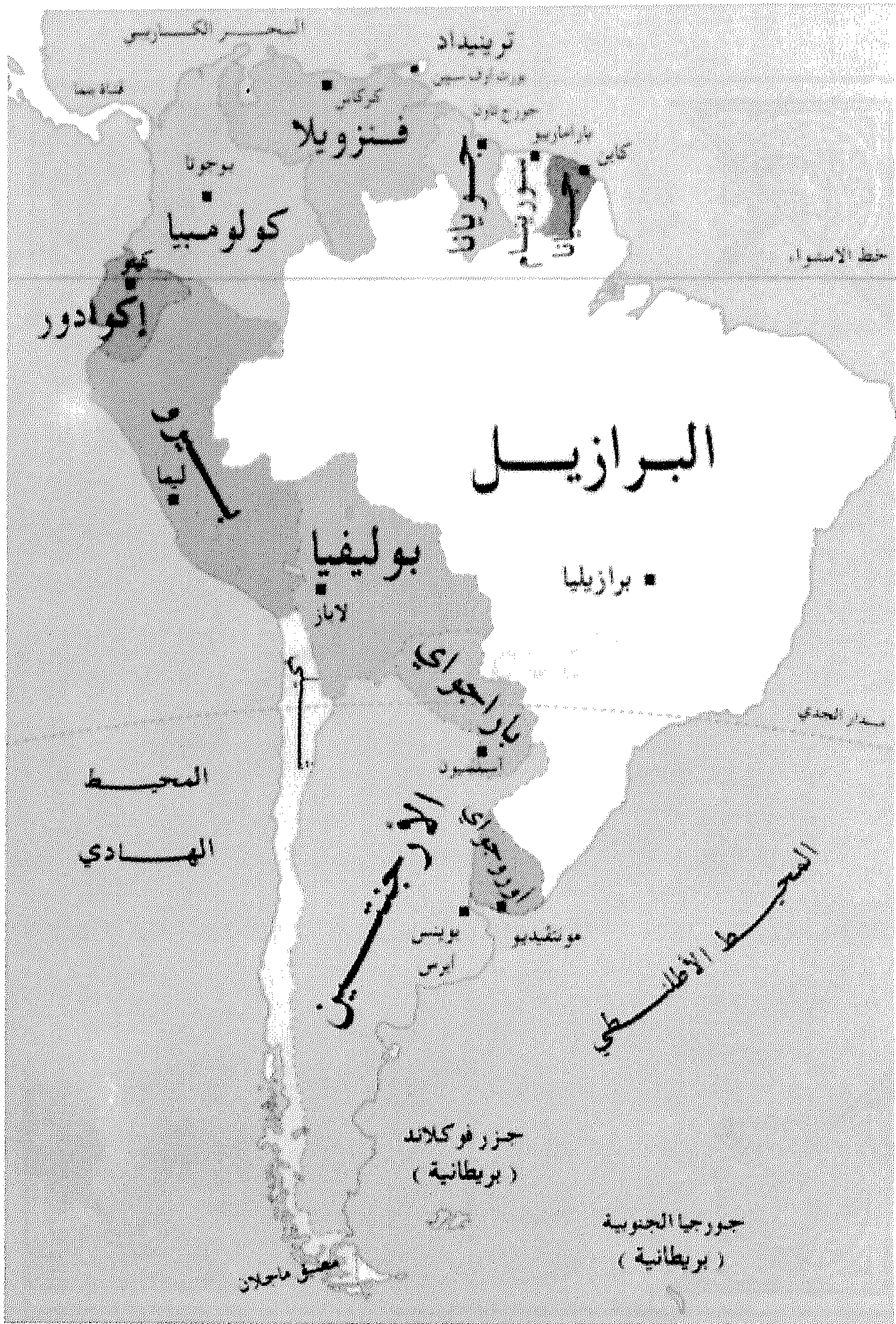
ملحق (33) خريطة يوغسلافيا



ملحق (34) خريطة أمريكا الشمالية



ملحق (35) خريطة أمريكا الوسطى



ملحق (36) خريطة أمريكا الجنوبية

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

- القرآن الكريم

أولاً- الوثائق العربية

- منظمة المؤتمر الإسلامي، الدار البيضاء/المغرب، بشأن البوسنة والهرسك، قرار 7/6 - س (ق . أ).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، الدار البيضاء/ المغرب، بشأن نزاع جاموا وكشمير، قرار رقم 8/-7 س(ق . أ).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، تدمير جمع شرار شريف الإسلامي، قرار رقم 23/-8 ث(ق . أ).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، داكار/ السنغال، قرار رقم 10/-6س(ق . أ).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، طهران، بشأن المساعدة الاقتصادية لمسلمي البوسنة والهرسك، قرار رقم 11/-8 أق (ت . إ).

ثانياً: الرسائل والأطاريح

1 - الرسائل

- الاشرم، طارق حسن: الخلافة الإسلامية معوقاتها وسبل إعادتها، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى الجامعة الإسلامية في غزة، 2009.
- التلباني، طارق عمر: ظاهرة عبادة الشيطان، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى الجامعة الإسلامية في غزة، 2008.
- الحيالي، عمر مهدي خليل: اليمن الشمالي 1948-1962 دراسة في العلاقات الخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2006.
- الشمري، عيسى فاضل نزال عيفان: منظمة (كاخ) -1968 2001 دراسة في الارهاب الصهيوني، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الاداب، جامعة الموصل، 2006.

- عبوش ، أحمد صالح: موقف فرنسا من الصراع العربي– الإسرائيلي 1948–1973 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2006 .

2 – الأطاريح

- الحيالي ، عمر مهدي خليل: الإخوان المسلمون في مصر 1949–1966 دراسة تاريخية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، 2010 .
- حاتم ، فخرية علي أمين: التطورات السياسية في الهند –1984 1995 دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 2005 .

ثالثاً: الدوريات

- أبو عز الدين ، حليم سعيد: «مؤتمر باندونغ التجمع الأول للدول الآسيوية والأفريقية 1955» مجلة تاريخ العرب والعالم ، (بيروت) ، العدد 11 ، 1979 .
- الحيالي ، عمر مهدي خليل: «دوافع تصاعد تيار الاحياء الإسلامي في مصر 1967–1981 دراسة تحليلية» مجلة التربية والعلم ، (جامعة الموصل) العدد 5 ، 2012 .
- الطائي ، حسن عبد علي كاظم: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه باكستان 1947–1960 ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، 2004 .

رابعاً: الكتب العربية والمعربة

- إبراهيم ، عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، 1989 .
- أأو غنيمة ، زياد: عداء اليهود للحركة الإسلامية ، عمان ، دار الفرقان ، 1983 .
- ارينال ، مرثيديس: محاكم التفتيش والمورسيكيون ، المجلس الأعلى للثقافة ، (القاهرة ، 2004) .
- التازي ، عبد الهادي: ابن ماجد والبرتغال ، ط3 ، مسقط ، 2005 .
- الجبري ، عبد المتعال محمد: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1995 .

- الجمعية الإسلامية الصينية: الحياة الدينية لمسلمي الصين، (د. م، 1981).
- الجمل، شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1996.
- الحميد، سعد: أهداف الاستشراق ووسائله، (د. م، د. ت).
- الخوند، مسعود: الأقليّات المسلمة في العالم. انتشار المسلمين في الدول والبلدان غير العربية وغير الإسلامية، (بيروت، 2006).
- الراوي، يونس أحمد: التبشير في أفريقيا، الموصل، 2004.
- السواح، فراس: تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ط3، دمشق: دار علاء الدين للنشر، 2003.
- الشوبكي، محمود يوسف: أثر الأحاديث الموضوعة في العقيدة، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية.
- الشيخ، رأفت غنيمي: ، أمريكا و العالم في التاريخ الحديث و المعاصر ، ط1، مصر: عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2006.
- العقاد، عباس محمود وأحمد عبد الغفور عطار: الشيوعية والإسلام، بيروت: مطابع دار الاندلس، 1972.
- الفيومي، محمد ابراهيم: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، القاهرة: المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، 1994.
- الكتاني، علي بن المنتصر: المسلمون في أوروبا وأمريكا، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005.
- الكعكي، يحيى أحمد: الغُلو والجمود والتقليد مخاطر تهدد الدين، بحث منشور على الشبكة الدولية للمعلومات.
- المصري، جميل عبد الله محمد: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ج1، (السعودية، د. ت).
- المومني، محمد أحمد عقلة وعبد علي الخفاف: آسيا أوروبا أفريقيا أمريكا الشمالية أمريكا الجنوبية أستراليا نيوزلندا وجزر المحيط الهندي، عمان: دار الكندي للنشر والتوزيع، 1998.

- الندوي ، ابو الحسن علي الحسيني: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، القاهرة: دار الغد الجديدة ، 2009 .
- الواقدي ، ابو عبد الله محمد غربن واقد : فتوح الشام ، ج1 ، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 2005 .
- بكر ، سيد عبد المجيد: الأقليّات المسلمة في أوروبا ، (د. م ، د. ت) .
- جبيب ، كمال السعيد: الأقليّات والسياسة في الخبرة الإسلامية ، القاهرة: مكتبة مدبولي ، 2002 .
- حجي ، طارق: الشيوعية والأديان ، ط3 ، (د . م ، 1980) .
- حوى ، سعيد: جند الله ثقافة وأخلاقاً ، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، 2008 .
- خالد ، حسن: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية ، بيروت: معهد الانماء العربي ، 1985 .
- خوري ، إبراهيم: أحمد بن ماجد حياته مؤلفاته استحالة لقائه بفاسكو دي غاما ، رأس الخيمة :مركز الدراسات والوثائق ، 2001 .
- سليمان ، عبد العزيز وعبد المجيد نعنعي: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث ، بيروت: دار النهضة العربية ، 1973 .
- شوسوا ، روبير: المعارك البحرية الكبرى في التاريخ ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1988 .
- صالح ، محمد محمد: تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ، بغداد ، 1981 .
- عبد الوهاب ، أحمد: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، القاهرة: مكتبة وهبة ، 1981 .
- عبد الوهاب ، منصور: فتاوى الحاخامات ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2010 .
- عبوش ، أحمد صالح وعمر رشيد زنكنة: تجارب الوحدة في أوروبا في القرن التاسع عشر ، الموصل: مطبعة ابن الأثير للطباعة والنشر ، 2008 .

- عبوش، أحمد صالح: سياسة فرنسا تجاه التطورات السياسية الأوروبية 1919–1939، الموصل: مطبعة ابن الأثير للطباعة والنشر، 2009.
- عبوش، أحمد صالح: نظرة في الامبريالية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 2009).
- عطار، أحمد عبد الغفور: الشيوعية وليدة الصهيونية، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1974.
- علي، حيدر إبراهيم وميلاد حنا: أزمة الأقليّات في الوطن العربي، دمشق: دار الفكر، 2002.
- عمارة، محمد: الإسلام والأقليّات الماضي والحاضر والمستقبل، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003.
- فرحات، يوسف علي: الأحاديث الموضوعة عند الصوفيّة واثرها على الأمة، بحث منشور على الشبكة الدولية للمعلومات.
- قطب، سيد: معركتنا مع اليهود، بيروت: دار الشروق، ط12، 1993.
- لامب، لاستر: كشمير ميراث متنازع عليه 1846–1990، ترجمة: سهيل زكار، (د.م، د.ت).
- متولي، محمود: إسرائيل الحقيقة والمستقبل، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1974).
- مجموعة باحثين: الأقليّات والقوميات في السلطة العثمانية بعد 1516، لبنان: منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، 2001.
- مجموعة باحثين: الصهيونية والعنصرية، مج1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977.
- محمد، مازن مرسول: مشكلة الوعي ووعي المشكلة، بيروت: دار الفارابي، 2012.
- محمود، جمال الدين محمد: الإسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، القاهرة، بيروت: دار الكاتب المصري واللبناني، 1992.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية: من هم الارهابيون، بيروت، 1973.
- مونو، مارتين: إسرائيل كما رأيتها، ترجمة حليم طوسون، الهيئة المصرية العامة للتأليف

والنشر، (د. م، 1971).
- هوارد، س: أشهر الرحلات إلى غرب أوروبا، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
- هويدي، فهمي: الإسلام في الصين، الكويت: عالم المعرفة، 1990.
- جوقة باش، سليمان: السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته و سياسته، ترجمة: عبد الله أحمد ابراهيم، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008.
- علي حيدر سليمان: تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، ط1، بغداد: دار واسط للدراسات و النشر و التوزيع، 1990.
- ابا الخيل، محمد بن ابراهيم بن صالح: تاريخ الخلفاء الراشدين، ط1، المنصورة، الرياض: دار الهدي النبوي ودار الفضيلة، 2009.
- ابو بكر، محمد عثمان: تاريخ ارتيريا المعاصر ارضاً وشعباً، ط1، القاهرة، 1994.
- ابو خليل، شوقي: اطلس دول العالم الإسلامي، ط2، دمشق: دار الفكر، 2003.
- أحمد، ابراهيم خليل: تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر، الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر، 2005.
- أحمد، ابراهيم خليل واخرون: قضايا عربية معاصرة دراسة تاريخية، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1988.
- أرسلان، شكيب: تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دمشق، بيروت: دار ابن كثير ودار التربية، 2001.
- ارمغان، مصطفى: السلطان عبد الحميد والرقص مع الذئاب، ترجمة مصطفى حمزة، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.
- الأرناؤوط، محمد: الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سراييفو، ط1، عمان: دار البشير، 1993.
- البطريق، عبد الحميد ومحمد مصطفى عطا: باكستان في ماضيها وحاضرها، القاهرة: دار المعارف، 1955.
- البغا، مصطفى: حاضر العالم الإسلامي، ط6، دمشق: جامعة دمشق، 1999.

- البغدادي ، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهي ابن واضح اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ط2 ، بيروت: دار الكتب العلمية ، 2002 .
- البكاء ، طاهر خلف : فلسطين من التقسيم إلى اوسلو ، (1937-1995) ، ط1 ، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، 2001 .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر: البلدان فتوحها وإحكامها ، ط1 ، بيروت: المكتبة العصرية ، 2008 .
- البنعلي ، أحمد بن حجر ال بوطامي: القاديانية ودعايتها الضالة والرد عليها ، ط1 ، بيروت ، عمان: المكتب الإسلامي ، 2010 .
- الحمدي ، صبري فالح: قضايا تأريخية عربية ودولية ، ط1 ، بغداد: شركة دار الحوراء للتجارة والطباعة والنشر ، 2006 .
- الخلاليلة ، أحمد وآخرون: جامعة الدول العربية في عصر التكتلات الاقليمية ، ط1 ، بغداد: بيت الحكمة ، 2002 .
- الداغر ، مجدي: أوضاع الأقليّات والجاليات الإسلامية في العالم قبل وبعد احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، ط1 ، القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، 2006 .
- الزعاترة ، ياسر: الظاهرة الإسلامية قبل 11 أيلول وبعده تجارب وتحديات وآفاق ، ط1 ، بيروت: الدار العربية للعلوم ، 2004 .
- الزعبي ، الارقم: قضية البوسنة والهرسك دراسة تاريخية وإنسانية ، ط1 ، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1993 .
- السلماني ، تركي عبد مجيد: الفكر والسلوك السياسي عند ابي الحين الندوي ، ط1 ، دمشق: دار العلم ، 2004 .
- الصلابي ، علي محمد محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ط3 ، دمشق ، بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، 2008 .
- العدول ، جاسم محمد حسن وآخرون: تاريخ الوطن العربي المعاصر ، ط5 ، الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر ، 2005 .
- العريس ، محمد: موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر العثماني) ، ط1 ، بيروت: دار

اليوسف للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

- العلوي، مجيد: التاريخ العسكري للشرق الاوسط (1940-2000)، ط1، لندن: دار ابن رشد للبحوث، 2003.
- العنجري، وليد ابراهيم: الدعوة الإسلامية في شمال القوقاز في الفترة من عام 1412 هـ حتى 1420هـ، دمشق: مؤسسة الرسالة والدار العامرة، 2009.
- الفريضي، سامي: الرئيس علي عزت بيجو فيتش المفكر المجاهد، ط1، دمشق: دار القلم، 2012.
- المجاهد، شريف: علمانية الهند، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989.
- المحامي، محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط10، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
- المصري، جميل عبد الله: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ج2، ط1، منشورات كلية الدعوة وأصول الدين (المملكة العربية السعودية، د. ت).
- المقرحي، ميلاد. أ.: تاريخ أوروبا الحديث 1453-1848، ط1، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، 1996.
- المودوي، أبو الأعلى وآخرون: القادياني والقاديانية دراسة وتحليل وعرض علمي، ط2، دمشق، بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
- الموسوعة المسيرة في الاديان والمذاهب المعاصرة: ج1، ط5، الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
- النبراوي، فتحية ومحمد نضر مهنا: قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، ط1، الاسكندرية: دار المعارف، 1983.
- النعيمي، أحمد نوري: أثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1982.
- الهاشمي، عبد المنعم: الخلافة العثمانية، ط1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.
- الهمشري، محمد علي وآخرون: القاموس الإسلامي للناشئين والشباب، ج11، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1997.

- الهندي، هاني: التقويم الفلسطيني محطات في تاريخ القضية، ط، عمان، 1997.
- الواعي، توفيق: كبرى الجماعات الإسلامية الاصلاحية في العالم المعاصر، ج2، ط1، المنصورة: مؤسسة شروق للنشر والتوزيع، 2006.
- اليوزبكي، توفيق سلطان وآخرون: دراسات في الوطن العربي الحركات الثورية والسياسية، الموصل: مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، 1973.
- بكر، سيد عبد المجيد: الأقليّات المسلمة في آسيا وأستراليا، جدة: دار الاصفهاني للطباعة والنشر، 1393هـ.
- تايلور، أ. ج. ب: الصراع على السيادة في أوروبا، ترجمة: كاظم هاشم النعمة ويوئيل يوسف عزيز، الموصل: جامعة الموصل، د. ت.
- جريشة، علي: حاضر العالم الإسلامي، ط4، دار التجمع للنشر والتوزيع، (جدة، 1989).
- جوهر، حسن محمد وآخرون: الصومال، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1965.
- حجاج، محمد فريد السيد: صفحات من تاريخ الصومال، القاهرة: دار المعارف، د. ت.
- حرب، محمد: الإسلام في آسيا الوسطى والبلقان، ط2، بيروت: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.
- حرب، محمد: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، ط2، القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان، 1994.
- حقي، احسان: افغانستان نشأتها وكفاحها، ط1، دمشق، بيروت: دار الفكر، 2004.
- حلاق، حسان: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد عن العرش 1908–1909، ط2، بيروت: دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، 1993.
- حميدة، عبد الرحمن: جغرافية أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1984.
- حوراني، البرت: تاريخ الشعوب العربية، ترجمة أسعد صقر، ط1، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1997.

- خليفة، سيد أحمد: جيبوتي وما حولها، الكويت: مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، د. ت.
- درويش، مروان: البوسنة والهرسك تاريخ ومشاهد، ط1، بيروت: دار سبيل الرشاد، 1996.
- درويش، هدى: العلاقات التركية اليهودية واثرها على البلاد العربية، ج1، ط1، دمشق: دار القلم، 2002.
- سري الدين، عايدة العلي: السودان والنيل بين مطرقه الانفصال والسندان الإسرائيلي، ط1، بيروت: دار الافاق الجديدة، 1998.
- سعيد، امين: ثورات العرب في القرن العشرين، دار الهلال، (د. م، د. ت).
- سمك، نزار: البوسنة والميراث الدامي، ط2، القاهرة: مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، 1997.
- سيتورت، دزموند: تاريخ الشرق الاوسط الحديث معبد جانوس، ترجمة: زهدي جار الله، بيروت: دار النهار للنشر، 1974.
- شهاب، زكي: حماس من الداخل، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت، 2008).
- طقوش، محمد سهيل: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، ط1، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
- عبد الرحمن، محمد: تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، ط2، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
- عبد الفتاح، عصام: راسبوتين بين القداسة والدناسة، ط1، القاهرة، دمشق: دار الكتاب العربي، 2008.
- عبداللطيف، عبدالشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي (41-132هـ/661-750م) دراسة سياسية، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة: 2008.
- عجم، جميل عبد الهادي: المولودون المسلمون في بلاد الاغتراب بين الاندماج والمحافظة على الهوية، واقع وآمال خلال خمسة عقود 1949-2005، ط1، بيروت: دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع، 2012.

- علي، اكرم عبد: تاريخ أوروبا الحديث، ط1، عمان: دار الفكر ناشرون وموزعون، 2010.
- عمر، عمر عبد العزيز: تاريخ المشرق العربي 1516-1922، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت.
- عوض الله، حامد: التين والزيتون والبوسنة والهرسك، ط1، الشرقية: رسالات إعلاء كلمة الله، 1993.
- فشر، هـ. أ. ل.: تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط9، القاهرة: دار المعارف، 1993.
- قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين 1947 - 1972، جمع وتصنيف: سامي مسلم، ط1، أبو ظبي: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الوثائق والدراسات، 1973.
- قريشي، اشتياق حسين: سيرة ميلاد أمة، ترجمة: خليل جواد، ط1، دمشق: مؤسسة علا للصحافة والطباعة والتوزيع، 2000.
- كتانة، زكي الشيخ حسين عثمان: وسقطت الشيوعية صورة عن الفشل الشيوعي في العالم، ط1، بيروت، عمان: المكتب الإسلامي ودار عماد، 1990.
- كواترت، دونالد: الدولة العثمانية 1700-1922، ترجمة: ايمن ارمنازي، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 2004.
- منصور، أحمد: تحت وابل النيران في سراييفو، ط1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1995.
- منصور، أحمد: الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ودار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
- مورو، محمد: الحرب الصليبية من البابا اربان إلى البابا بوش، ط1، القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، 2005.
- موستراس، س: المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد السحادات، ط1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.
- ميكال، بيار: تاريخ العالم المعاصر 1945-1991، ترجمة: يوسف خومط، ط1،

بيروت: دار الجيل، 1993.

- نجيب، أحمد عبد الكريم: البوسنة والهرسك دراسة عامة، ط1، دمشق: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
- نيكسون، ريتشارد: القادة، ترجمة: خضر ابراهيم، ط1، دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، 1986.
- هاينة، بيتر: الإسلام، ترجمة أسامة الشحماني، ط1، الامارات العربية المتحدة: مؤسسة شرق غرب وديوان المسار، 2012.
- هرتزل، ثيودور: يوميات هرتزل، ترجمة هلدا شعبان صايغ، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973.
- ويلسون، ارنولد: تاريخ الخليج، ترجمة: محمد أمين عبدالله، لندن: ط1، دار الحكمة، 2001.
- ياغي، اسماعيل أحمد: تاريخ أوروبا المعاصر، ط1، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 2003.
- يحيى، جلال ومحمد نضر مهنا: مشكلة القرن الافريقي وقضية شعب الصومال، الاسكندرية: دار المعارف، 1981.
- يونس، محمد عبد المنعم: الصومال وطناً وشعباً، ط1، القاهرة: دار النهضة العربية، 1962.
- أحمد، محمود عباس: الأزهر وأفريقيا دراسة وثائقية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، (د. م، 2004).
- الصالح، منال: نجم الدين أربكان ودوره في السياسة التركية 1969–1997، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.
- الكيالي، عبد الوهاب وكامل الزهيري: الموسوعة السياسية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974.
- الالوائي، محيي الدين: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، دمشق: دار القلم، 1986.
- تامر، عارف: المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، بيروت:

منشورات دار الأفاق الجديدة، 1982.
- حسن، علي إبراهيم: تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963.
- شاكر، محمود، فطاني: منشورات العصر الحديث، (د. م، 1974).
- مجموعة من الباحثين: الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليّات في العالم الثالث، بغداد: مركز دراسات العالم الثالث، 1989.

خامساً– الموسوعات الأجنبية

- The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 8, (N. P, 1994).

سادساً– الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت)

- .www.Islamweb.net/newlibrary
- الداغر، مجدي: "الحياة الاجتماعية للأقليّات المسلمة في المجتمعات الغربية"، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.almsloob.com
- التسخيري، محمد علي: "الأقليّات المسلمة في الغرب"، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.Iranarab.com
- الجيوشي، محمد ابراهيم: "موقف المجتمعات الغربية من المسلمين"، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.elazhar.com
- "التعلم في الأقليّات الإسلامية": النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.Islammemo.com
- "استقلال جمهوريات وسط آسيا وبلاد القوقاز": النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Islamstory.com
- البرازي، محمد فؤاد: "المسلمون في أوروبا واقعهم ومشكلاتهم"، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع .www.muslimunion.org
- المكيمي، هيلة حمد: "الأقليّات المسلمة في هولندا أو مشاكل الاندماج"، صحيفة الأهرام الإكترونية، النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على

الموقع www.digital_ahram.org
- نواهضة ، اسماعيل أمين: "الإسلام والآخر في العلاقات الدولية – أوضاع المسلمين في المجتمعات غير الإسلامية" النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)على الموقع www.nawahdah.com
- الداغر ، مجدي: "مشكلات وتحديات الأقليّات الإسلامية في فرنسا قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001" ، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.annabaa.org
- "معاناة وهموم الأقليّات المسلمة في العالم": النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقعwww.muslm.net
- "دراسة وحلول موجزة لمشكلات الأقليّات الإسلامية في شرق أوروبا": النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.osaimy.com
- المحارب ، فيصل: "الأقليّات المسلمة في العالم ومشكلاتها" ، النص متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.ejtemay.com
- "اسيا الوسطى والقوقاز تحت الاستعمار الروسي": النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولة (الانترنت) على الموقع www.Islamstory.com
- "المسلمون في الاتحاد السوفيتي سابقاً": النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولة (الانترنت) على الموقع www.al-Islam.com
- "مشكلة كشمير": النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية(الانترنت) على الموقع www.geografhy.com
- "جبهة تحرير جامو وكشمير": النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.assakina.com
- "منظمة المؤتمر الإسلامي": النض الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.wikipedia.org
- " لياقت علي خان" : النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Wikipedia. Org
- ابو ضاهر ، كامل: "مشكلة كشمير دراسة في الجغرافية السياسية" النص الكامل متاح

على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Site. Iugaza. Edu

- الشريدة، محمد حافظ: "قضية كشمير" النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Najah. Edu.
- "فتح كشمير ودخول الإسلام إليها" / الموسوعة التاريخية: النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. Dorar. Net
- " محمد علي جناح": النص الكامل متاح على شبكة المعلومات الدولية(الانترنت) على الموقع www.rohama.org
- "الحرب الأهلية في الصومال": النص الكامل للتقرير متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.maqatel.com
- "دولة أرتيريا": النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.wikipedia.com
- "أرتيريا دولة للإيجار . . أم نمط جديد من الدولة الحديثة": النص الكامل للمقال متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www.arabc.asmarino.com
- صبري، عكرمة سعيد و إسلام عبد التواب، "مجتمع الأقلّيات الإسلامية"، النص الكامل للبحث متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) على الموقع www. almdina.com





تاريخ القضايا والأقليات الإسلامية المعاصرة








ISBN 9789957920739
9 789957 920739



دار الفكر
ناشرون وموزعون
www.daralfiker.com